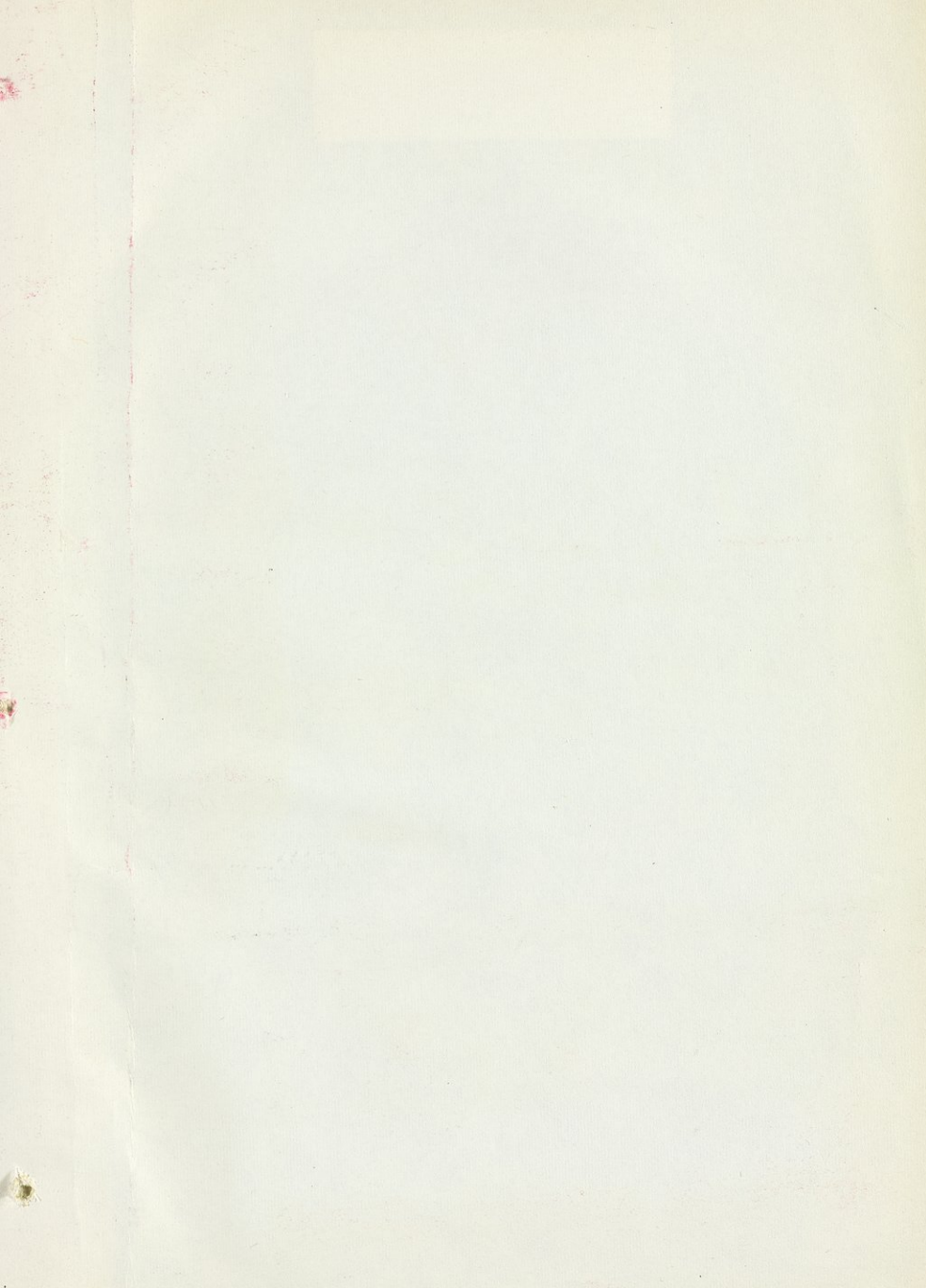


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR



32101 020131361



وزارة الثقافة والإرشاد القومي

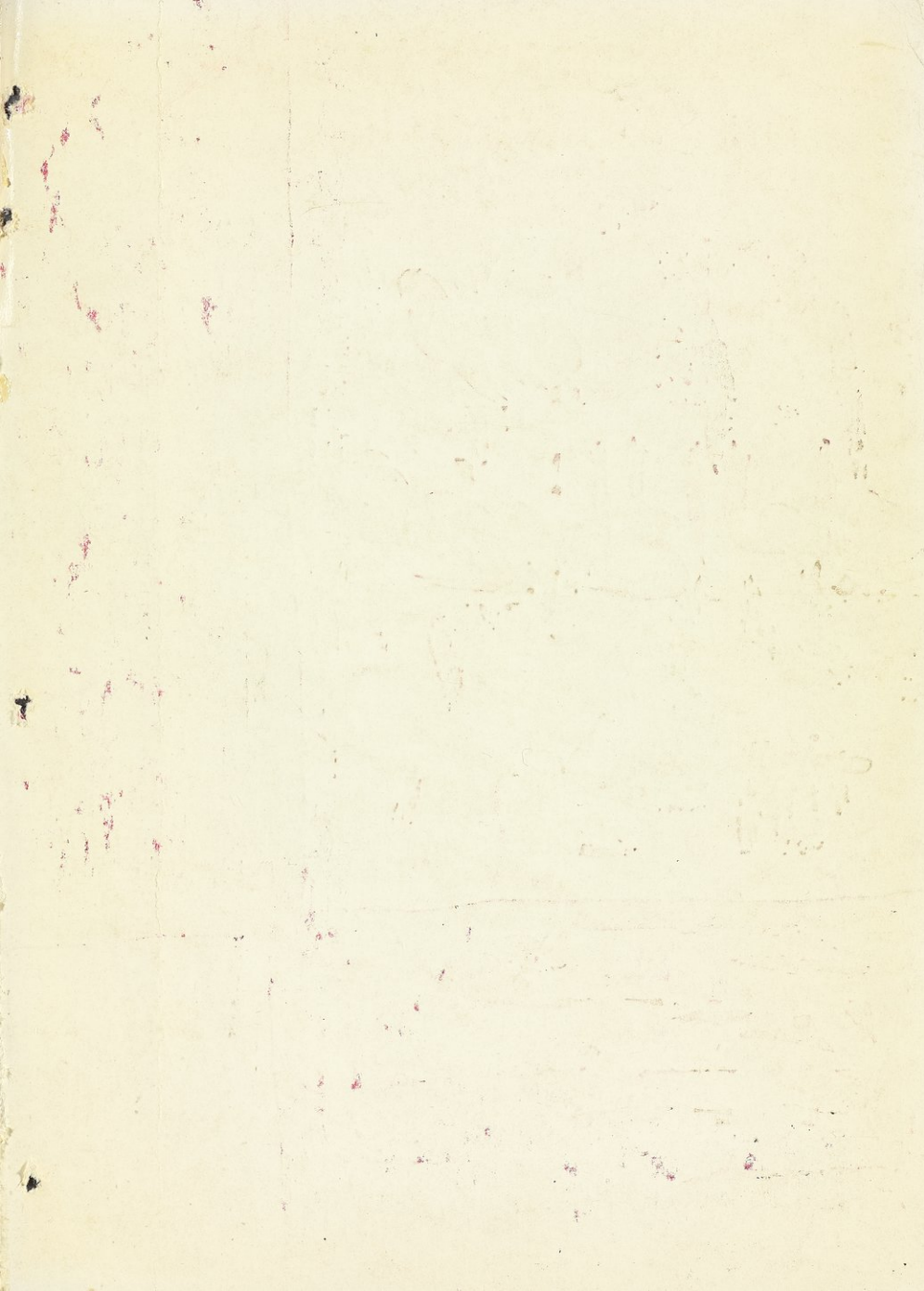
إدارة التاليف والترجمة

توراة

الشيخ صالح العلي

عبد اللطيف اليونس

مسلسلة رواد التحرر العربي



تجدد و رشد و تنه

صمم الغلاف
الفنان هشام زمريق

al-Yūnis, 'Abd al-Latīf

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

مديرية التأليف والترجمة

Thawrat al Shaykh Sālih
al-'Alī

توراة

الشيخ صالح العلي

تأليف

عبد اللطيف اليونس

ملتزم الطبع والنشر

دار الأيقونة العربية

لتأليف والترجمة والنشر

سلسلة رواد التحرير العربي

١

2276
9722

.3895

الاهداء

الى ارواح الشهداء في كل ارض عربية

والى

روح الشهيد يوسف العظمة

المؤلف

١-٤-٦٢ ٥٦٦ (Farm.)



تعب الجهاد من الطواف فلم يجد
شرفاً أعزّ ، ولا مقاما أكرما

الشيخ صالح العلي

أول سوري أطلق الرصاص في وجه الفرنسيين

لمعالي المجاهد الكبير السيد احسان الجابري

انه لمن الصعب أن يعرف المرء أهمية الثورة التي قام بها الشيخ صالح العلي - من الوجهتين المادية والمعنوية - قبل ان يعلم نوايا الفرنسيين الحقيقية ومقاصدهم الاستعمارية التي دفعتهم الى دخول الحرب الكبرى بقصد الاستيلاء على ممتلكات في حوض البحر الابيض المتوسط ، وخاصة سورية ولبنان . حيث كانت تعتبرهما فرنسة مركز اشعاع لمدينتها وثقافتها في سائر أنحاء المشرق .

ولما وقف الانكليز - أولا - في وجه مطامع الفرنسيين في جميع المؤتمرات والمفاوضات - تحقيقا لمطامعهم هم - كان الفرنسيون يزعمون أن السوريين واللبنانيين ينتظرون جيوشهم بفارغ الصبر ! ويدعون أنه لا يوجد في سورية ولبنان من يرفض اتدابهم واحتلالهم !

وقد أثبتت الاحداث فيما بعد بطلان هذه الادعاءات والافتراءات وبرهنت على ان الشعب السوري بأسره يرفض أي اتداب واحتلال .

لهذا كانت ثورة الشيخ صالح العلي صدمة عنيفة لادعاء
الفرنسيين، وتبجحهم ، وغرورهم . وكان لها - بالنسبة للفرنسيين -
صدى سيء في المحافل الاوربية جمعاء . وقد مني دعائهم بخيبة
مريرة ، واخفاق شديد .

ولقد كنا في جنيف نجابه الفرنسيين بذكر الثورة العلوية ، حينما
كان دعائهم المغرضون يزعمون بأن العلويين لا يرغبون في الوحدة،
ويريدون الانفصال . والذي يقيض له الاطلاع على سجلات جامعة
الامم يرى أننا كثيرا ما استشهدنا بثورة الشيخ صالح العلي لدحض
افتراءات الفرنسيين ، ومزاعمهم ، ضد العلويين خاصة ، والسوريين
عامة .

من هذا ، وهذا وحده ، يدرك القارئ مدى انتفاعنا من تلك
الثورة العنيفة ، التي دامت ما ينوف على ثلاث سنوات .
وان من أعظم مزايا ثورة الشيخ صالح العلي انها استمرت
ما يقارب السنة ، بعد خروج الملك فيصل من الشام ، وانقطاع
المساعدات المنظمة عن الثورة . ولم يكن لها ما يغذيها في فترة تلك
السنة الاخيرة ، الا ايمان الشيخ صالح ، وثباته ، ومتانة عقيدته .
وما أزال أحتفظ بين مذكراتي ببعض الرسائل التي كانت تردنا
من دمشق ، وهي مملوءة بالعزيمة الصادقة ، والاخلاص الشديد .
ووشمة منافع أخرى كثيرة أتت عن طريق تلك الثورة ودلت على
أن فائدتها لم تنحصر ضمن نطاق معين . ومن ذلك الثورات التي

قامت بعدها في جبل الدروز ، وجبل الزاوية ، وجبل عامل ،
والغوطة ، وبقية المناطق الاخرى . والتي لم تكن الا بمثابة
تموجات طبيعية للثورة الاولى التي أطلق الشيخ صالح العلي
رصاصتها الاولى . ولو كانت اليقظة العربية مثلها اليوم لما تخلل
تلك الثورات ما تخللها من فترات الهدوء والسكينة . ولكن مصير
فرنسة في هذه البلاد - الذي تقرر منذ عامين ، قد تقرر منذ
عشرين عاما .

والذي يبعث على تقدير الشيخ واحترامه أن سورية كانت
بعيدة عن الاستثمار . وأن شخصه كان ارفع وامنع من ان تؤثر
فيه المغريات المادية والمؤثرات السياسية . . أو ان تخرجه من عزلته
للاستفادة التي كانت تعرض عليه بكل مناسبة ويعرض عنها بكل
شرف واباء .

ولم يتلكأ الشيخ عن القيام بواجباته الوطنية حينما كانت
المصلحة العامة تدعوه الى ذلك . بل كان يقوم بها خير قيام ،
ويؤديها خير اداء . وقد لقيت منه يوم كنت محافظا للاذقية في
أقصى الظروف والاحوال ، أصدق معونة ، وأنبل اخلاص .
مد الله في عمر الشيخ صالح العلي ، وعمر رفاقه المجاهدين
الميامين . وحفظهم ، وحفظ البلاد العربية من كل أذى ومكروه .
والله جل جلاله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

حلب في ١ - ١٥ - ١٩٤٧

احسان الجابري

الشيخ صالح العلي قائد الثورة العلوية

طلبنا من السيد جميل ماميش - الضابط الذي أرسله الملك فيصل للانخراط في الفوج الملكي الذي نظمه المرحوم عزيز هارون - ان يكتب لنا وصفا موجزا عن حياة الشيخ ، وظروف الثورة .
وبما أن السيد ماميش كان أحد أركان الشيخ صالح ، وكان يرافقه في أكثر العمليات الحربية ، فإن باستطاعته ان يعطينا صورة واضحة عن حياة المجاهد الكبير .

لقد تأكد لي بعد الاطلاع والتجربة والبرهان ، ان الشيخ صالح العلي ، قائد الثورة العلوية ، رجل عظيم ، وعظيم جدا .
وان قيادته الحكيمة للثورة كانت مستوحاة من ايمانه ، ومن خبرته العسكرية التي كانت تدهشنا نحن الضباط النظاميين .
وقد أظهر في جميع المواقع تفهما صحيحا لوضعية المعارك الفنية ، واستنتاجاتها . وانه خير بالوقت الذي يجب فيه الكر والفر ، والتقدم والتأخر ، والالتفاف والهجوم .
وكان يرسم لنا الخطط الحربية ، ثم يدعونا للتناقش فيها ، وقرارها . ويرسم لكل منا الخطة التي يجب عليه اتباعها وقت

الهجوم ، وقبله وبعده • واذا صدف واختلفنا معا في تخطيط بعض
المعارك ، فانه كان يصّر على رأيه — ثم تأتي النتائج فتثبت انه
كان على صواب ، واتنا على خطأ •

وكان كثير الحذر ، فلا يطلعنا على خططه الحربية أمام
احد ، حتى حرسه الخاص • وانما كان يتكتم بها ، ويتستر • فلا
يعرف احد من امرها شيئا حتى نبدأ بالتنفيذ •
وكان يحسن الرماية واصابة الهدف • واذا نصبت مباراة بين
الجنود ، فانه دائما يكون الاول • ولم يتغلب أحد عليه ، حتى
ولا مرة واحدة • وكان يصرح لنا قبيل المعركة انه سيقتل مائة
جندي فنعرف بداهة انه يحمل مائة طلقة •

رجل حديدي الارادة ، شديد المراس • لا يعرف الخوف
سبيلا الى قلبه • وكان أجراً الناس على اقتحام المصاعب ، وتحمل
المشاق • ولم يصدف مرة أن دارت معركة الا وكان في طليعة
المهاجمين أو المدافعين •

ولم يكن ينفر من الخشونة ، ولا يهرب من الصعوبات •
وسيان عنده أبات ليلة على الارض في ظل شجرة ، او الى جانب
صخرة ، أم بات على فراشه ، أم قضى ليله كله يراقب ويفكر ••
واذا جاءت أخبار من خفاء الحدود فانه كان يستيقظ عند
اقتراب وقع الاقدام ، وقبل ان ينتبه حراسه انفسهم •
وصدف مرة أن بقينا في احدى المعارك ثلاثة أيام دون طعام •

فلم يشك من ذلك ، ولم يتألم • وكان يؤثر الجنود على نصيبه
من الزاد حتى لا يتسرب الاعياء الى نفوسهم •

عظيم الثقة والايمان بالله • كنا نستيقظ مبكرين كل يوم فنجد
وقد استقبل الكعبة الشريفة ، وشرع بالصلاة •

وكان يدفع الى المعركة ما تحتاجه من الرجال ، ويحتفظ وراء
الجهة بجنود كثيرين بمثابة احتياط • وهي نفس الخطة العسكرية
الصائبة التي يتبعها القواد العظام •

وكان يستعرض الجنود ، ويتفقد احوال ضباطه قبل الهجوم —
كما يفعل القادة الماهرون المحنكون • وكثيرا ما كان يغيب عنا
فنتنظر مجيئه من جهة ، واذا به يجيء من جهة اخرى • وكثيرا
ما كان يفارقنا عند احتدام المعركة ، ثم يقول سنلتقي هناك •
وفعلا كنا نلتقي في المكان الخطير الذي كان يشير اليه •

وكان في المعارك التي يزداد علينا الضغط فيها ينتهرنا بشدة ،
ويأمرنا بالثبات • ويظل يحارب معنا حتى آخر لحظة • فقد كان
دائما اول من يهجم وآخر من يتراجع • واشهد اننا كنا نقتدي
به • وان المجاهدين كانوا يخلطون في المواقع العسيرة ان يتراجعوا
وقائدهم لا يزال في الميدان • وكثيرا ما كان يعود الفضل في ربنا
المعركة الى ثباته ونضاله العجيبين •

وكان مهيمنا على جميع مرافق الثورة • فكان يعزل الضباط ،
ويعين آخرين ممن يجدهم موافقين • وينقلهم من هنا الى هناك ،

ويستبدل بأحدهم آخر • ولم يكن يستمع الى نصيحة أحد ،
ولا يصغي الى ملاحظة انسان في القضايا التي قد كوّن فكرة
عنها • اذ كان يحتفظ لنفسه بجميع السلطات والصلاحيات • فلا
سلطة الا سلطته ، ولا ارادة الا ارادته • ولم تكن تتبرم من ذلك
نحن الضباط النظاميين • اذ كنا على ثقة ويقين انه لا يقصد الا
حفظ الثورة من الفوضى والبلبله • ولولا صرامته وقساوته ،
 واحتفاظه لنفسه بجميع الصلاحيات لما بقيت الثورة كل ذلك الوقت
الطويل •

واما عدد المجاهدين فائنا لا نستطيع الجزم به • اذ انهم كانوا
يتزايدون ويتناقصون حسب الحاجة وحسب الطلب • وقدّرنا
مرة عدد المجاهدين بعشرة آلاف في جميع الجبهات ، من الشمال
الى الجنوب •

وكنا حينما نحتاج الى الذخيرة نستوردها من تجار حماه ،
وندفع لهم ثمنها بعد انتهاء المعركة ، اذ ان موعد الدفع بيننا وبينهم
كان هجومنا على الحملة او هجوم الحملة علينا •
والاغرب من ذلك ان الاهلين أنفسهم كانوا يستدينون
حوائجهم حتى تطلع الحملة ، فيدفعونها منها •
واما عدد الجيش الفرنسي المحارب والاحتياطي فقد كان
يزيد في بعض الاوقات عن الخمسين ألفا مجهزة بأحدث أنواع
السلاح •

وقد لعبت النساء العلويات دورا هاما في الثورة • اذ كن
يحمسن الجنود ، ويحملن الطعام الى الجبهة • وكثيرا ما كانت
تجلس المرأة وراء زوجها تجهز له البندقية ، وتعبئها بالطلقات •
وكانت الثورة العلوية أشبه بحرب نظامية منها بثورة عادية •
ولولا الظروف السياسية التي رافقتها وخيانة بعض المارقين
الذين كانوا يشكلون طابورا خامسا داخل الثورة وخارجها ، لكننا
نأمل أن تكون الاداة الوحيدة لتخليص البلاد من ربة الانتداب •
وسوف يتحدث التاريخ المنصف عن هذه الثورة بكثير من
الفخر ، وعن قائدها البطل الشيخ صالح بكثير من الاعتراز والشكر •
ويتحدث عنها وعن صحائفه الذهبية بأحرف من نور •
ولو ألقت بالشيخ صالح عدة كتب كبيرة ، لما وفيته حقه
من الاطراء والاطناب •

الرئيس
جميل ماميش

المقدمة

الطبعة الاولى

فكرة كتابة هذا التاريخ تساورني منذ أكثر من خمس عشرة سنة . بل انها الفكرة الاولى ، التي راودتني منذ عرفت كيف أمسك القلم ، واكتب للنشر ، أو منذ بدأت أقرأ التاريخ ، وأتفهمه .

وقد قويت هذه الرغبة في نفسي ، بعد الحفلة التكريمية الكبرى التي اقيمت في اللاذقية للمجاهد الكبير الشيخ صالح العلي - قائد ثورته المعروفة باسمه في الشرق والغرب ، والتي هرعنا جميع الفئات القومية الواعية للمشاركة فيها .

وشمة سبب آخر . . لعله أقوى من هذا السبب ، وأدعى الى التأثير . وهو اهمال أكثر المؤلفين والمدرسين أمر التحدث عن تلك الثورة رغم جبروتها الذي لم يضاه ، وعنفها الذي لم يجار . حتى أن اكثر الطلاب السوريين يعرفون عن بعض المجاهدين ، في بعض البلدان الاخرى ، أكثر مما يعرفون عن جهاد مواطنهم الشيخ صالح العلي . وانه لاهمال يحز في نفس الرجل المؤمن بقضيته ،

المتمسك بعقيدته ، عندما يرى الفضل ينكر ذووه ، ويحاربه حاسدوه (١) .

ثم ان المطالبة بهذا التاريخ ، من هنا وهناك ، لا تقف عند حد ، ولا تقع تحت حصر . فهي مطالبة مستمرة صارخة ، وانه لجوع قومي لا يشبعه الا كرم التاريخ الامين ، الطيب المذاق .

والامة التي بدأت تنفس الصعداء بعد جهادها الدامي ، طوال ربع القرن الاخير ، أحوج ما تكون الى هذه الاسفار التاريخية ، تضم بعضها الى بعض ، وتشكل منها سفرا واحدا ، يكون خيرة المستقبل ، وذخر الغد ، والتراث الذي يورثه الآباء للابناء والاجداد للاحفاد . ولا يمكن ان تكتمل هذه الاسفار الا اذا سجلت جميعا ، وتوحدت جميعا ، واما ان تظل متفرقة متشعبة ضائعة ، فمعنى ذلك أن جزءا من جهادنا القومي قد ضاع وتبدد ، وان ثغرة كبيرة تظهر في بنائه العتيد .

(١) ما تزال الكتب المدرسية تقف بضعة أسطر - فقط - للتحدث عن ثورة الشيخ صالح العلي ...! فلا تعطيهما من الاهمية الا جزءا يسيرا ضئيلا - رغم أن هذه الثورة تشكل سفرا نفيسا من أسفار الجهاد المقدس . حتى أن بعض الكتب المدرسية تذكر عن الشيخ صالح العلي أنه كان « اميا » ! مع أنه كان من العلماء في فقه الشريعة الاسلامية . وكان مشهورا بحسن خطه وجمال حرفه . وتنسب اليه قصائد رائعة فيها تصوير جميل ودقيق ، لبعض المعارك التي خاضها . وقد نشرنا بعضها على هامش الفصول التي عرضنا فيها لتلك المعارك . وكانت وزارة الارشاد والثقافة - مشكورة - قد جمعت قصائد الشيخ المنسوبة كلها في ملازم طبعتها على الآلة الكاتبة . وأعدتها للنشر .

ومما يؤسف له حقا ألا يكون في متناول اليد « مستندات »
يوثق بصحتها ، لتلك الثورة الكبرى - في الوقت الذي توجد فيه
« مستندات » كثيرة لثورات - ولا نقول لحركات - قليلة
الاهمية . محصورة في نطاق سياسي ضيق ، ونطاق عملي أضيق .
ولكن الصعوبات التي حالت بالامس دون هذا التأليف ، أكثر
من ان تعد وان تحصى . وهي نفس الصعوبات التي تحول اليوم ،
وتكاد تحول بين الفكر ومجراه ، وترد القلم عن القرطاس في غير
رفق أو لين .

غير ان الضرورة القصوى لوجود هذا التاريخ ، وتسجيل هذه
الاحداث ، قد تغلبت على جميع الصعوبات ، وانتصرت على سائر
الموانع والعقبات . واما هذه الضرورة فانها مستمدة من حاجة
الامة الى تاريخ جهود ابناءها في هذه الثورة الدامية التي استمرت
ثلاث سنوات ونصف ، دون توقف ولا هوادة ، والتي استنزفت
قوى الفرنسيين وأرغمتهم على تعديل الكثير من خططهم في الشرق ،
ومن هذه الخطط الانسحاب من كيليكيا - كما سيجيء .

بلى . . توجد ثمة « مستندات » لمعارك محدودة في ذلك
الاتون المتهب . ولكنها لا تروي ظمأ ، ولا تنقع غلة ، ولا بد لمن
يعمد الى كتابة مثل هذا التاريخ ان يجد حتى تتوفر لديه أسباب
الكتابة ، وتكتمل عنده المعلومات الكفيلة بابرار التأليف وقد
استوفى جميع شرائطه من : احصاء للحوادث ، الى تنقيب عن

مصادرها ، الى دقة في روايتها ، الى غير ذلك من الواجبات والمتطلبات ... وهو ما عملت له جاهدة في كثير من السهر والحذر . فاتصلت بسماحة الشيخ قائد الثورة وكبير المجاهدين ، واتصلت برفاق الشيخ ، ومعاصري ثورته ، ومساعديه وضباطه وجنوده . كما انني استحصلت على بعض الكتب الاجنبية والعربية ، التي كتبت عن الثورة بايجاز أو اسهاب ، وراجعت حتى الروايات المحلية - العامة - عليّ أستطيع الحصول على أشياء مجددة منها . ولم أكتف بذلك كله ، بل أذعت بيانات عامة في مختلف الصحف السورية واللبنانية ، وطلبت من كل من له اطلاع على تلك الثورة ، أو بعض أقسامها ، وعنده بعض المعلومات والوثائق عنها ، أن يبعث بها الي ، حرصا على أمانة التاريخ وسلامته . وقد وردتني رسائل كثيرة قابلت بينها وبين ما لديّ من معلومات ، ثم تبينّيت كل ما رأيته منها معقولا ومقبولا ، وموافقا للحق والمنطق ، وأهملت ما عداه .

وبعد أن انتهيت من تأليف هذا الكتاب ، طفت على بعض المجاهدين في المدن والقرى ، وقرأت عليهم هذا التاريخ ، وأصغيت بكل اهتمام الى ملاحظاتهم ومقترحاتهم ، وناقشتهم بها - على ضوء ما عندي من معلومات - في كثير من الدقة والصراحة والامانة . وتبينت كل ما رأيته منها معقولا ومقبولا ، وموافقا للحق والمنطق ، وأهملت ما عداه .

وما أزعجهم ان هذا التاريخ قد بلغ الكمال — من حيث الدقة ،
والتحديد والاتقان — ولكنني أجزم بأنه قد بلغ الكمال من حيث
الامانة برواية الحوادث التي وصلت الي ، وتوفرت لدي .
وأكثر ما آسف له أن يكون ثمة مجاهدون وشهداء ، أبلوا
في معارك الثورة خير البلاء . . ثم ضاعت أخبارهم ، وطُمست
آثارهم ، فخير التاريخ هذه الاسماء الكريمة ، وخسرت أسماؤهم
هذا الذكر الخالد العبق .

ولكنني غير مسؤول عن هذا الاهمال ولا مطالب بهذا التقصير .
فالمسؤول عنه ، والمطالب به هو نفس المصدر الذي استقيت منه
هذه الفصول . وأصرح علنا أنني لم أهمل اسم مجاهد واحد
بلغت عنه ، وتيقنت أنه كان من اللامعين في صفوف المجاهدين .

ومن يدري ؟ فقد يقدر لهذا الكتاب أن يطبع مرة ثانية ، ثم
يقدر لنا أن تتلافى بعض ما حصل فيه من نقص ، فتجيء الطبعة
الجديدة ، وقد بلغت الكمال أو قاربته .

وما أكتهم القارئ أنني قد تصرفت — بعض التصرف — في
رواية هذه الوقائع ، وسرد تلك الحوادث . وهو تصرف في سياق
الرواية ، وتسلسل الاحداث ، وليس في الفكرة والموضوع . فأما
الفكرة فقد بقيت سليمة نقية ، دون أن تمس في زيادة أو نقصان .
بلى أنني أشفقت على بعض « المسيئين » فلم أذع أسماءهم ،

ولم أتحدث صراحة عنهم ، وذلك صونا لهم من شتائم الاحفاد والتاريخ .

فأما الاحياء منهم . . فهم أعرف بأنفسهم من الناس ، ويكفيهم عذاب الفكر ، وتأنيب الضمير . وأما الاموات . . فقد أصبحوا في ذمة الله و . . الذكريات .

وصدق الله العظيم : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » .

عبد اللطيف اليونس

مقدمة

الطبعة الثانية

منذ أن أنشئت وزارة الارشاد والثقافة ، وهي تدأب على نشر الملاحم من تاريخ جهادنا القومي • وتبحث وتنقب عن الاحداث الهامة ، في تاريخ هذه الامة ، لتعمل على جمعها ، ونشرها ، وتعميمها بين المواطنين كافة •

ووافقت على نشر كتاب « الثورة العلوية » وقائدها الشيخ صالح العلي — بعد أن فقد من المكتبات العامة ، وبعد أن كثرت المطالبة به ، والسؤال عنه •

وهذه الثورة نسيج وحدها ، بالنظر لطول مدتها ، وغنفا ، والظروف القاسية التي مرت بها • وبالنظر لصوفية قائدها ، ومثاليته ، وترفعه عن المغريات • ولأن هذه الثورة كانت أمّ الثورات السورية جميعا ، وملهمة قادتها ، واللبنه الاولى في تاريخ كهاحنا ونضالنا ، منذ الحرب العالمية الكبرى •

ولقد كتب هذا التاريخ في عهد صالح العلي ، واستقيت أكثر

فصوله ، ومعلوماته ، منه ومن المجاهدين الذين كانوا أحياء
يرزقون •

وقرىء هذا التاريخ على الشيخ قبل ان يطبع للمرة الاولى •
فالمعلومات التي وردت فيه مستقاة من المصدر الوثيق ، الذي
لا يتطرق اليه الشك ، ومن مصادر اخرى كانت عميقة الصلة
بالثورة وبقائدها •

وبالنظر لكثرة المعارك وتعددتها ، وكثرة الاحداث التي مرت
خلالها وتشعبها ، فقد كان يجب أن تضاعف هذه الصفحات ، وأن
نطيل الوقوف في أمكنة كان يجب أن تقف عندها طويلا •

ولكننا آثرنا الاختصار والاقتضاب • لان قارئ هذه الايام
مرهق الاعصاب ، يكره الاطالة ، ويجب الايجاز ، ويؤثر القراءة
التي لا تكلفه وقتا طويلا ، ولا جهدا عميقا •

ويجب أن تراعى رغبة القارئ ، مثلما تراعى الحقيقة حين
تسرد ، والواقعة حين تلخص وتنشر •

كلاهما واجب : مراعاة وقت القارئ ونزعاته ، والامانة في
سرد الحقائق ، ونشر الوقائع •

وخلال هذه البضعة عشر عاما — بين الطبعتين الاولى والثانية —
قدر لنا ان نطلع على وقائع جديدة ، وان نحصل على معلومات
مفيدة • وقد أضفنا ذلك الى الطبعة الثانية ، مثلما حذفنا كثيرا
من الصفحات في الطبعة الاولى ، وعدلنا كثيرا في الاسلوب
والسياق •

ومما حذفناه تلك النبذة عن تاريخ العلويين — بعد أن غيرنا عنوان الكتاب ♦♦♦ فجعلنا الثورة باسم قائدها ، حتى لا تفسح مجالاً للطائفية أن تبرز في واجهة التاريخ ♦

وقد كان لهذه التسمية الطائفية ، في ذلك الوقت ، ما يسوِّغها ويوجبها ، فقد كانت الدسائس الفرنسية ما تزال تسعى لايهاام الناس بأن العلويين كانوا من مؤيديها ومناصريها ! فكان اسم « الثورة العلوية » وحده كافياً لدحض مفترياتها وادعاءاتها ♦

ورأينا ان تؤرخ تلك الفترة الرهيبة بين انتهاء الحرب العالمية الاولى ، واحتلال الفرنسيين البلاد وتقسيمها الى دويلات ، حتى يكون القارئ على صلة وثيقة بالاحداث التي رافقت الثورة ، ومرت بها ، أو مرت من حولها ♦

وكانت هذه الدراسة ، على ايجازها ، شاملة ومستوفية لجميع شروط الدقة والواقعية والنزاهة ♦

وبعد : فلولا غيرة وزارة الارشاد والثقافة ، وعنايتها لما قدر لهذا الكتاب ان تعاد طباعته — الآن — وان ينشر ويوزع ♦
فلها شكرنا ، وشكر التاريخ ♦

المؤلف

عبد اللطيف اليونس

يا صالح بن علي

للشاعر الكبير : « بشارة الخوري »

من شاعر نسق الرياض ونظما
أكبرت فيه العبقري الملهما
قالوا : الربيع • فقلت : ما أنكرته
رشف الدموع وردهن تبسما
حمل المشاعل لا يسر بربوة
الا وخضب باللهيب وضرما
فاذا الاريج سحائب وردية
خاض الهزار عبابها وتحمما
ثم استقر على مخبأ وردة
فشكا ودأب لحظة وترثما
واذا الفراءش رسول كل عشيقة
لعشيقها بأبي الرسول الابكما

★ ★ ★

يا صالح بن علي هل لك في يد
فلقد وجدت لكي تغيث وترحما

هذا الربيعُ عِشْيَةٌ وصباحُها
 وافى ربيعك لائِذاً مُتَذَمِّمًا
 حتى يَظُلَّ على الزمانِ مُخَلِّدًا
 وتَظُلُّ تَذكره القِصائدُ كلما ...
 صرَحَ العروبةَ أين كان مَقرُّه
 أوما اليك ، وقد تَهَلَّلَ وانتَمَى
 اني لمحتُ لِوَاكٍ فوق قِبابه
 مترنحًا ، ولمحتُ رُوحَكَ حَومًا
 لو أنصفوا كتبوا على شُرُفَاتِهِ
 هذا الذي نَفَحَ الحُسامُ المَرقَمَا
 ليس الذي صقل البناءَ وزائنه
 مثل الذي رفع البناءَ وأحكما
 زرع المَهْنَدَ واليراعَ ليعرب
 وجنى الذي جهلت يداه كليهما



تعب الجهاد من الطواف فلم يجد
 شرفاً أعزَّ ، ولا مقاماً أكرما
 فرمى الاكاليل التي ضفرت له
 لما رآك معمَّماً ، وتعمَّماً

قل للمعري ان ظفرت بروحه
 أو وقف على مشواه ناج الاعظما
 واقبل اليه الضجة الكبرى التي
 غمرت بهذا النور هذا الموسما
 أنى التفت ، وكيف طفت ترى به
 حباً تنصر أو اخاءً أسلما
 ان كنت أجهل أرضها وسماها
 ما كان يمنعني الهوى أن أحلما
 وأنا الذي غذى الجمال بشعره
 وحنا عليه سافراً ومثلثما
 طالعت وجهك والصبح فلم أكد
 أتبين الصبح المنورَ منها
 وذكرت في الجلى شبابك والفدا
 فعرفت كيف تصان بالمهج الحمى
 وكأنا الاخوان خلقك والندى
 ولدتهما أم المكارم توأما

★ ★ ★

خذها اليك أبا الجهاد فانها
 لولاك ما طبعت على فمها فما
 صغرت فبهما في الآلى حبة
 أو لا ٠٠ فبهما في الازاهر برعما

نمريد

من عام ١٩١٦ - ١٩٢٤

كانت الامة العربية في حال تحفز وتوثب عند قيام الحرب العالمية الاولى . وكان الحكم التركي قد وصل من الظلم الفادح ، والضغط المتماذي ، الى أبعد مداهما .

وكانت سياسة الاتراك تهدف الى تترك العرب ، وصهر القومية العربية في بوتقة القومية التركية ، وذلك بالقضاء على اللغة العربية ، وعلى كل حركة تحررية وتقدمية تصدر من الشعوب العربية .

وكان أحرار العرب قد أسسوا جمعيات كثيرة ، بعضها سري : كجمعية « العربية الفتاة »^(١) ، و « الجمعية القحطانية » ، وجمعية « العهد » ، و « حلقة دمشق الكبرى » ، وبعضها علني ك « المنتدى الادبي »^(٢) ، و « حزب اللامركزية » .

(١) أسست الجمعية « العربية الفتاة » سنة ١٩٠٩ في باريس .

(٢) أسس « المنتدى الادبي » سنة ١٩٠٩ في الاستانة .

ومع ان « حزب اللامركزية » الذي أسس في القاهرة سنة ١٩١٣ كان يعمل علنا ، ويطالب باعطاء البلاد العربية استقلالاً ذاتياً ضمن اطار الدولة العثمانية ، فقد رأى فيه الوالي التركي جمال باشا خطراً على الخلافة العثمانية ، وتهديماً لكيان الدولة التركية . فآلف في « عالية » محكمة عسكرية سنة ١٩١٥ لمحاكمة أحرار العرب بتهمة اشتراكهم في « حزب اللامركزية »^(١) ، وكانت أحكامها صارمة وموجهة من السفاح التركي جمال . فقد حكمت على جمهرة كبيرة من احرار العرب بالاعدام ، وعلى فريق كبير بالسجن والنفي .

وفي ٢١ آب سنة ١٩١٥ أعدمت القافلة الاولى من الشهداء في بيروت ، و في طليعتها : صالح حيدر ، ومحمد المحمصاني ، ومحمود المحمصاني ، ومسلم عابدين ، ونايف تملو ، وعبد القادر الخرسا ، وعلي الارمنازي ، ومحمود العجم ، وسليم عبد الهادي ، ونوري القاضي .

وفي ٦ أيار سنة ١٩١٦ أعدمت القافلة الثانية من الشهداء

(١) أصدر السفاح جمال باشا « كتيباً » بعد اعدام الشهداء سماه « ايضاحات » حاول فيه تبرير جريمته الوحشية باعدام الاحرار العرب ، متهما اياهم بأنهم اشتركوا في تأسيس جمعية غايتها سلخ سورية وفلسطين والعراق من السلطنة العثمانية ! مع أن هذه الجمعية كانت علنية ، وكانت مطالباتها تقتصر على اعطاء العرب حقوقهم بالحكم الذاتي ضمن كيان الدولة العثمانية .

في دمشق ، وهم : شكري العسلي ، وعبد الوهاب الانكليزي ،
وعبد الغني العريسي ، والامير عارف الشهابي ، وسليم الجزائري ،
وأمين لطفي الحافظ ، وعمر حمد ، وتوفيق البساط ، ورفيق
رزق سلوم ، وسيف الدين الخطيب ، ورشدي الشمعة ، وعبد
الحميد الزهراوي ، وأحمد طيارة ، وجلال البخاري ، وجرجي
الحداد ، وسعيد عقل ، ومحمد الشنطي ، والامير عمر الجزائري ،
وشفيق العظم ، وباترو باولي ، وعلي الحاج عمر^(١) .

وذهب السفاح جمال باشا الى أبعد من ذلك ، فاحتكر الحبوب
باسم الجيش بغية تجويع العرب ، وابداء قسم كبير منهم . وقد
تم له ما اراد . وحصلت مجاعة رهيبة ستظل حديثا مرعبا يتناقله
الناس عبر الاجيال^(٢) .

وكان لا بد من أن تثور النفوس لهذا الظلم الفادح ، والسياسة
الخبيثة الرامية الى شل كل نشاط فكري وقومي عند العرب .
وجاء فيصل ابن الملك حسين الى دمشق للاتصال بأحرار
العرب . وانتسب الى جمعية « العربية الفتاة » سنة ١٩١٥ ولما

(١) تحتفل الدولة بعيد الشهداء في ٦ أيار كل عام .

(٢) كانت تنكة القمح - ١٦ كيلو غراما - تباع في دمشق بليرتين ذهبيتين .

فتأمل ! وأما لبنان فقد هلك ثلث سكانه من الجوع . . كما هلك في سورية قسم كبير
من السكان بتأثير الجوع والمرض والتشريد . وكان تجويع لبنان وسورية خطة مقصودة
يريد الاتراك بواسطتها اهلاك عدد كبير من العرب .

علم السفاح جمال باشا بنشاطه وضعه تحت المراقبة ، وكاد أن يفتك به ، لولا أن فيصل أوهمه بأنه عائد الى الحجاز لينظم أمر المتطوعين العرب في الجيش العثماني • وهكذا استطاع أن ينجو بنفسه ، ويفلت من شباك السفاح •

ولما وصل فيصل الى الحجاز في ١٦ أيار سنة ١٩١٦ ، وجد الاتراك يحشدون جيوشا جرارة حول (المدينة) للفتك بوالده الحسين ، وبالقبايل التي تسانده ، فبادرهم واخوه الاكبر علي ببضعة آلاف من رجال القبائل في ٨ حزيران من السنة نفسها • وكان ذلك اول صدام مسلح مع الاتراك •

وفي العاشر من حزيران سنة ١٩١٦ الموافق ٩ شعبان سنة ١٣٣٣ أعلن الملك حسين الثورة العربية في مكة المكرمة ، حيث التحق بها عدد كبير من المجاهدين العرب في سورية والعراق • وتتالت بعد ذلك الاحداث •

واستطاع العرب ان يجمدوا اربعين الف جندي من الاتراك في البلاد العربية لمواجهة الثورة • وكان مفروضا بهذه القوة أن توجه الى اوروبا لمساندة حلفائهم الالمان • وهكذا يكون العرب قد قدموا الى الحلفاء خدمة كبرى ، لم يقدروها حق قدرها في نهاية الحرب •

وتبادل الملك حسين المراسلات مع الحكومة البريطانية بواسطة ممثلها مكماهون ، وكانت تدور كلها حول مستقبل البلاد العربية ووحدتها ، واستقلالها •

وأقرّت بريطانيا في رسائلها حق العرب في الوحدة والاستقلال،
وموافقتها على تشكيل حكومة عربية تضم الحجاز ، والعراق ،
وسورية ، ولبنان ، وفلسطين . مع احتراسات قدمتها انكلترا بشأن
سورية الغربية وحقوق فرانسوا المزعومة ، وكان مقدرا لتلك الثورة
ان تصل الى أهدافها القومية ، وتظفر بالاماني الوطنية وتحقق
الآمال المعقودة عليها ، والمرجوة منها ، ولكن مكائد الاستعمار
كانت لها ولاهدافها القومية بالمرصاد . ففي الوقت الذي كانت تبذل
فيه الحكومة البريطانية وعودها للعرب بسخاء ، وتبعث برسائلها
الى الملك حسين - بواسطة ممثلها مكماهون - تتعهد فيها
بمساندة الامة العربية في كفاحها لتحقيق وحدتها ، وعدم المساس
بأي جزء من أقاليمها ، أو التعرض لها من قبل الحكومة البريطانية،
أو احدى حليفتها بطمع أو سوء - في ذلك الوقت الذي كانت
تناضل فيه الامة العربية الى جانب الحلفاء ، ضد الاتراك ، كان
وزير خارجية بريطانيا « بلفور » يمنح اليهود وعدا بفلسطين !
وكان الحلفاء قد عقدوا اتفاقية « سايكس - بيكو » التي تقسم
الاقطار العربية فيما بينهم ، وتجعلها تحت حمايتهم أو وصايتهم . . . !
وقد عقدت هذه الاتفاقية في شهر ايار سنة ١٩١٦ وهو نفس الشهر
الذي قضى فيه الاتراك على القافلة الثانية من الشهداء العرب . . . !

وتكشفت الاحداث بعد ذلك عن أعظم خيانة تاريخية ، وجريمة

انسانية كان أبطالها الانكليز والفرنسيون ، وضحاياها العرب^(١) .

(١) تلخص اتفاقية « سايكس - بيكو » وهي مؤلفة من اسمي التدوين البريطاني والفرنسي بما يلي :

أولا : اقامة دولة عربية مستقلة ، أو عصبة دول عربية في منطقتين : اولاهما - تكون تحت النفوذ الفرنسي ، وتشمل سورية الداخلية - أي دمشق ، وحمص ، وحماء ، وحلب ، ودير الزور ، والجزيرة ، وولاية الموصل . والثانية : تكون تحت النفوذ الانكليزي - وتشمل العقبة ، وشرق الاردن ، والقسم الجنوبي من بادية الشام ، والاراضي الواقعة بين بغداد والموصل - مثل كركوك واطرافها . وهذه الدولة ، أو الدول ، يرأسها رؤساء من العرب ويكون لكل من فرنسا وانكلترا حق الرجحان في منح القروض المالية ، وتعهد المشروعات الاقتصادية ، وتقديم المستشارين ، والموظفين الاجانب الذين تطلبهم الدولة العربية ، أو عصبة الدول العربية .

ثانيا - اطلاق يد فرنسا في لبنان ، وسواحل الشام ، ويد انكلترا في ولايتي بغداد والبصرة . فيكون للدولتين حق جعل الحكم في تلك الاماكن حكما مباشرا ، أو غير مباشر ، أو ايجاد المراقبة التي تجدها كل منهما موافقة ، وذلك بالاتفاق مع الدولة العربية ، أو عصبة الدول العربية .

ثالثا - تقام في فلسطين ادارة دولية يعين شكلها بعد الاتفاق مع الحلفاء الآخرين ، وممثلي شريف مكة « الحسين » .

رابعا - تمنح انكلترا مينائي حيفا وعكا .

وجاء في الاتفاق المذكور فقرات تتعلق بالامور الاقتصادية ، والجمركية ، والمائية ، والامتيازات الممنوحة ، وغيرها : كضمانة مقدار من ماء دجلة والفرات للمنطقة التي هي تحت نفوذ انكلترا ، وكجعل مرفأ الاسكندرونة حرا ، ومفتوحا لتجارة انكلترا ، ومرفأ حيفا مفتوحا لتجارة فرنسا ، وكاحترام الامتيازات والحقوق التي منحتها الدول العثمانية الى انكلترا في منطقة النفوذ الفرنسي ، أو الى فرنسا في منطقة النفوذ الانكليزي .. الخ وهذا الشرط الاخير ضمن للشركة الانكليزية بقاء الامتياز الذي كانت حصلت عليه من الدولة العثمانية في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٤ في استنباط نفط الموصل . وكان هذا الشرط فيما بعد أي سنة ١٩١٨ سببا لتخلي فرنسا عن نفوذها في الموصل لقاء أخذ حصة من النفط . فتبعت ولاية الموصل العراق وأصبحت جزءا منه .

وكان في الحجاز يومئذ المرحوم خالد الحكيم ، والفريق عزيز المصري . فحذرا الملك حسين من الأعيب الانكليز وخداعهم ، ومن عبثهم بالوعود ، ونكثهم بالعهود ، ولكن الملك حسين كان مدفوعا برغبة صادقة ، ونية سليمة ، فاعتقد أن خطابات « مكماهون » مستندات قوية ، ووثائق دولية لا تستطيع بريطانيا التراجع عنها ، ولا التنصل منها . فلم يحتط للامر كما حذره ذلك الناصحان المخلصان ، بل أعرض عنهما ، وثقاها من الحجاز !

وقد تجلت بعدئذ خدع بريطانيا ، وأكاذيبها وألأعيها ، وظهرت نتائج تلك المؤامرات الدنيئة التي قامت بها مع حليفتها فرنسة دون وازع من ضمير ، أو رادع من وجدان ، أو مانع من أعراف دولية يفترض أن لها بعض الحرمات والتقدير . وكان الملك حسين يسعى الى ايجاد جيش عربي قوي ، مزود بالاسلحة والمعدات ، يحتل الاقطار العربية ، ويدافع عنها في أوجه الغاصبين والمعتدين ، اذا وجد من تسوّل له نفسه الاعتداء على بعض الاقاليم العربية ، ومحاولة الاتقص من وحدتها مع اخواتها ، أو النيل من استقلالها وحريرتها . ولكن الحلفاء بما فطروا عليه من خبث دحذر حالوا دون توسع الجيش العربي وزيادة عدده الى أكثر من عشرة آلاف جندي نظامي^(١) معظمهم ، ومعظم ضباطهم من الشام والعراق ، عدا ألوف من افراد القبائل في الحجاز ، وقد ابلوا في المعارك التي دارت رحاها بينهم وبين الجنود الاتراك ، أحسن البلاء .

(١) كتاب القومية العربية للامير مصطفى الشهابي .

وكان الملك حسين يتطلع الى ايجاد ثورات محلية في المناطق العربية التي يحتلها الجيش التركي . وقد أوفد الرسل الى الاقاليم العربية يستحث المواطنين ، ويستثير غيرتهم وحميتهم . ولبنى الشيخ صالح العلي نداء الملك حسين فقطع على الاتراك الطريق التي تصل طرطوس بحماه — عن طريق مصياف . وكان مقره في « ناحية الشيخ بدر » التي تمر بها هذه الطريق .

واصطدم لأول مرة مع الجنود التركية قرب قرية « النيجا » واستولى على معدات وذخائر عديدة بعد أن شتت جنود الحملة ، وقتل عددا كبيرا منهم . وكان ذلك في ربيع سنة ١٩١٨ فاضطر الاتراك الى ان يلتمسوا لنقل معداتهم وذخائرهم طريقا اخرى . ولم يكونوا في حال تمكنهم من تعقب الثائرين ، وشن حملة قوية عليهم .

وهكذا ظل الشيخ صالح في مكمنه يترصد الجنود الاتراك ، فيهاجمهم ويكبدهم الخسائر الفادحة ، ويوقع بينهم الاصابات ، الى أن انسحبت الجيوش التركية من سورية .

وكان قد تجمع لدى الشيخ صالح العلي خلال هذه الفترة عدد من الثائرين تدربوا على حمل السلاح واستعماله ، وكانوا نواة صالحة للقيوى التي وقعت في وجه الفرنسيين طوال ثلاث سنوات ونصف ، كما سيجيء .

★ ★ ★

في أواخر ايلول سنة ١٩١٨ تقدمت كتائب الثورة العربية بقيادة

الامير فيصل بن الحسين الى دمشق فاحتلتها ، ورفعت أعلامها فوق أسوار المدينة ، ومباني الحكومة فيها • ودخلت الكتائب العربية قبل جيوش الحلفاء التي كان يقودها المارشال « ألنبي » وكانت تحتل المدن الداخلية في سورية واحدة بعد اخرى ، وتأتي بعدها جيوش الحلفاء •

وفي ٥ تشرين الاول سنة ١٩١٨ اذاع فيصل بيانا على الشعب السوري يشكره فيه على معاونته الحلفاء في مهمتهم التحريرية • ويطلب من الشعب الاسراع بالبيعة لوالده الشريف حسين ، ويعلن أنه سيؤلف حكومة عربية مستقلة تشمل كل أجزاء الوطن السوري •

وغمرت الافراح قلوب الناس ، واستقبلوا هذا النبأ سعداء مغتربين • وكانوا على أثره يهنئ بعضهم بعضا في البيوت والطرق •

وكانت سورية ، وبقية المناطق العربية التي تحررت من سيطرة العثمانيين ، يطلق عليها الحلفاء اسم « بلاد العدو المحتلة » • ولا يخفى ما وراء هذه التسمية من قصد سيئ لتغطية اسم البلاد المتحررة من ربة الاستعمار ، وما يكمن وراءه من خطط وترتيبات تتنافى مع شرف الوعد ، وصدق العهد •

ورغم مؤامرات الحلفاء الخفية والعننية ، وتركيز جهودهم

لخندق سورية ، بعد احتلالهم كل شواطئها وشواطئ لبنان وفلسطين ،
وعدم اعطائها ممراً على البحر الأبيض المتوسط ، فقد أُرست فيها
قواعد حكم عربي ديمقراطي سليم • وأمّتها خيرة رجال العرب
من عراقيين وفلسطينيين ولبنانيين وحجازيين • واشتركوا جميعهم
بعدئذ في مجالسها التشريعية والتنفيذية ، والتحق بها كل الضباط
الذين كانوا في الجيش العربي ، وحتى الجيش العثماني • وخيل
للعرب ان سورية ستكون نواة لوحدة عربية ، أو لاتحاد عربي
يشمل الاقطار العربية كلها •

وكانت الادارة عسكرية في بادئ الامر — اذ كان الى جانب
الامير فيصل « حاكم عسكري عام » يعاونه في تسيير شؤون
الدولة ، ورئيس « ديوان الشورى الحربى » الذي كان مرجع
الجيش • وظلت هذه الادارة الحربية حتى منتصف شهر آب ١٩١٩
حيث شكل بعد ذلك « مجلس مديرين » كان يجتمع برئاسة
الامير فيصل • وكان الحاكم العسكري ينوب عنه في حال غيابه •
ثم ألغى منصب « الحاكم العسكري » ومنصب رئيس « ديوان
الشورى » • وعين الامير زيد شقيق فيصل الاصغر ، رئيساً
لمجلس المديرين •

وبدأت الحكومة منذ اضطلاعها بالاعباء تعمل على تنظيم

الادارة الحكومية على أسس ديموقراطية صحيحة ، وتعنى عناية تامة بالتشريع والقضاء ، فأنشأت لذلك « مجلس شورى » ينظر بالقوانين والانظمة والقرارات الادارية^(١) ومحكمة تمييز تنتهي اليها درجات المحاكم .

وفي هذه الفترة بدأ أحرار البلاد بتشكيل « حزب الاستقلال » وكان « حزب الاستقلال » فتحا جديدا في تنسيق العمل السياسي وتنظيمه ، وحشد القوى الشعبية استعدادا لكل طارئ ، وتهيئة لكل احتمال .

ولشكري القوتلي^(٢) يد طولى ، بل يد أولى في تشكيل هذه المنظمة القومية وتمويلها ، وتعميمها بين أوساط الشعب . وكان لها فضل كبير في مساندة الحركات الوطنية وتبنيها ، وحشد القوى والامكانيات في سبيلها .

(١) بعد انتهاء العهد الفيصلي اقتضت صلاحية « مجلس الشورى » على الطعن بالقرارات الادارية . وظل يمارس صلاحيات شكلية في عهد الاحتلال الاجنبى . وفي سنة ١٩٥٠ أنشئت لأول مرة « محكمة عليا » بموجب الدستور كان أعضاؤها ينتخبون من مجلس النواب . وكان من صلاحياتها ابطال القرارات الادارية ، والنظر في صحة انتخاب النواب ، وجميع الهيئات التمثيلية . ومن صلاحياتها أيضا محاكمة رئيس الجمهورية والوزراء وابطال القوانين التي يصدرها مجلس النواب . وبعد قيام الجمهورية العربية المتحدة حل محل « المحكمة العليا » في ابطال القرارات الادارية « مجلس دولة » يعينه رئيس الجمهورية وفق الاسلوب المتبع في مصر .

(٢) كتاب « شكري القوتلي » - للمؤلف .

وكان « حزب الاستقلال » — في الواقع — اسما جديدا لجمعية « العربية الفتاة » وعنوانا لها ، واستمرارا لنشاطها وتقوذا بين الاوساط الشعبية . وقد حل محلها ، وأدّى دورها على نطاق أوسع وأشمل — تساعده العلنية ، ويدعمه اجماع المواطنين .

وأسس بعد ذلك « حزب العهد » و « النادي العربي » الذي كانت تعقد فيه المؤتمرات القومية . وهو نفس « النادي » الذي ما يزال يحمل هذا الاسم ، ويقوم بنشاط مُجدد في جميع المجالات القومية ، والادبية ، والاجتماعية .

وبعد أن استمر « مجلس المديرين » في اعماله بضعة أشهر ، اتجهت انظار البلاد الى اعطاء الحكم صبغة نيابية تمثيلية . فجرت الانتخابات في شهر حزيران سنة ١٨١٩ لانتخاب «مجلس تمثيلي» اطلق عليه اسم « المؤتمر السوري العام » . وقد جرت في المناطق التي يسيطر عليها الجيش العربي على اسس سليمة ، ووفق الاساليب الديموقراطية المعروفة . واما في المناطق التي يسيطر عليها الجيش الفرنسي فقد جرى اختيار أعضاء المؤتمر بواسطة عرائض من المواطنين ، بترشيح أشخاص معينين . وقد روعي باختيار هؤلاء أن يكونوا ممثلين للمناطق والطوائف والاحزاب كافة . وقد اجتمع المؤتمر في ١١ شباط سنة ١٩١٩ عندما قدمت البلاد لجنة « الاستفتاء الامريكية » ليعرب عن ارادة الشعب أمامها . ثم اجتمع ثانية حين استبدال الجيوش الفرنسية بالجيوش البريطانية .

للاحتجاج على ذلك الاتفاق الجائر بين الدولتين الاستعماريتين
وبدأ بعد ذلك يعقد جلساته باستمرار منذ مطلع شهر شباط
سنة ١٩٢٠



حينما انتهت الحرب العالمية الاولى في ١١ تشرين الثاني
سنة ١٩١٨ عقد الحلفاء المنتصرون مؤتمرا للصلح في ١٨ كانون
الثاني سنة ١٩١٩ في مدينة باريس • وكانت بريطانيا وفرنسا
تحاولان أن تبعدا القضية العربية عن المؤتمر حتى تستطيعا تنفيذ
مؤامرتهما - مؤامرة سايكس بيكو - واقتسام الممتلكات العثمانية،
وفرض الانتداب على الاقطار العربية ، وقد حضر الامير فيصل
مؤتمر الصلح بصفته ممثل دولة الحجاز • وكانت الحجاز قد
اعتبرت احدى الدول المتحالفة المؤسسة لعصبة الامم • واصطدمت
الدولتان الاستعماريتان بالمبادئ الانسانية التي كانت تغمر المؤتمر،
وتسيطر على أفكار أعضائه - مبادئ « ولسن » رئيس الولايات
المتحدة الامريكية التي تقضي باستفتاء الشعوب في حق تقرير
مصيرها • وطفعت الحماسة على محاولات بريطانيا وفرنسة
ومساعيها لعزل موضوع الامة العربية عن المؤتمر الذي اتخذ
قرارا في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩١٩ بفصل سورية ولبنان
كان يعتبر جزءا منها - والعراق وفلسطين وارمينية عن تركيا ،
واستفتاء سكانها في تقرير مصيرهم •

ولكن الدول الاستعمارية استطاعت ان تضمن هذا القرار نصا يقضي بأن يشرف على البلدان المنفصلة عن تركيا « وصي » يعمل باسم « عصبة الامم » !! وكان هذا « النص » أساسا لما سمي بعدئذ انتدابا من الحرف « آ » (١) .

وقد دونت مواد القرار الخمسة في دستور « عصبة الامم » الذي وافق عليه « مجلس الحلفاء » في شهر شباط سنة ١٩١٩ ، وأقره « مؤتمر الصلح » في ٢٨ نيسان . وفي ٢١ آذار اتخذ « مؤتمر الصلح » قرارا بارسال لجنة للتحقيق . وشكلت اللجنة من أعضاء أمريكيين فقط بعد ان تمنعت فرنسا وبريطانيا عن الاشتراك فيها . ولم تسمح بريطانيا لأعضاء اللجنة بدخول العراق . وهكذا اقتصر عملها على سورية وحدها ، بما فيها لبنان وفلسطين .

وفي شهر تموز من السنة نفسها عقد « المؤتمر السوري العام » في مدينة دمشق بمناسبة قدوم « لجنة الاستفتاء الامريكية » .

(١) عندما أبرمت معاهدة « فرساي » في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٩ أدمج في مطلعها ميثاق « عصبة الامم » الموضوع في نيسان من تلك السنة . وقد جاء في المادة ٢٢ من الميثاق المذكور ان البلاد التابعة للانتداب « أ » هي التي سلخت عن الامبراطورية العثمانية ، والتي يقطنها جماعات من الناس بلغوا من التقدم مبلغا يجوز معه الاعتراف مؤقتا بأنهم دولة مستقلة - على ان يقود خطاهم « منتدب » ينصحهم ويعينهم في الادارة الى ان يصبحوا قادرين على السير وحدهم . ويجب ان يعتد برغبات هذه الجماعات في اختيار الدولة « المنتدبة » !!

ورفضت امريكا فكرة الوصاية على سورية وأرمينيا - بعد ان ثار مصطفى كمال في الاناضول ، وبعد ما رأته من أطماع انكلترة وفرنسة ، وسياستهما الاستعمارية الواضحة . وساعد على اصرار امريكا رفض « الوصاية » على سورية خذلان الشعب الامريكى الرئيس « ولسن »^(٢) في انتخابات الرئاسة سنة ١٩٢٠ ، وتقرير خلفه العودة الى عزلة امريكا التقليدية ، وانسحابها من « عصبة الامم » ، مما فسح المجال واسعا رجبا امام دسائس بريطانيا وفرنسة ، بعد أن زالت من طريقهما منافسة امريكا ، ومعارضتها اياهما ، وسعيها لتقاسم النفوذ معهما .

وطوى تقرير « لجنة كرين » وأهمل ، بمساعي الصهيونية العالمية وتفوذها في الدوائر الامريكية حتى استطاعت بعض الهيئات العربية ان تعثر عليه وتشره كوثيقة تاريخية هامة^(٣) .

(١) يقول مؤرخ امريكى : ان امريكا لو قبلت فكرة « الوصاية » على سورية وأرمينيا فان فرنسا وبريطانيا لم تكونا لتقبلا بها . « وهل يتنازل الذئب عن النعجة الضعيفة بعد أن أصبحت الفريسة بين براثنه لقمة سائغة » ؟ !

(٢) يروى عن الرئيس « ولسن » انه سئل وهو على فراش الموت ماذا يريد . فأجاب : كنت أريد ان أعيش حتى ارى الالمان يدخلون باريس مرة ثانية . وكان الالمان قد دخلوها سنة ١٨٧٠ محتلين - كما هو معروف .

(٣) اخرج التقرير من زوايا الاهمال بعد ٢٥ سنة من تقديمه . وقد نشر في ملاحق كتاب « البقطة العربية » بالانكليزية وأذاعته اللجنة التنفيذية سنة ١٩٣٧ كما نشر في كتاب « الثورة العربية الكبرى » .

وبعد ان رفضت امريكا فكرة « الوصاية » على سورية ،
وذلك تنفيذا لاتفاقها مع فرنسة وارضاء لها • ثم اتفقت مع فرنسة
في الخامس عشر من ايلول سنة ١٩١٩ على سحب الجيوش
الانكليزية من سورية وكيليكيا ، واطلاق يد فرنسة فيها •

واجتمع بعد ذلك في « سان ريمو » « مجلس الصلح الاعلى »
وأبرم بين ١٩ و ٢٦ نيسان سنة ١٩٢٠ اتفاقات بين انكلترة وفرنسة،
تقاسمت فيها الدولتان مناطق النفوذ في الشرق الاوسط • فكانت
سورية ولبنان وكيليكيا من نصيب فرنسة ، وفلسطين والاردن
والعراق من نصيب بريطانيا • وتنازلت بعدئذ فرنسة لانكلترة
عن ولاية الموصل التي الحقت بالعراق ، لقاء حصة من النفط
المستخرج منه تعادل ٣٣/٧٥ في المائة لفرنسة •

وفي مطلع ايلول سنة ١٩١٩ استدعى لويد جورج رئيس
الوزارة البريطانية الامير فيصل لمقابلته في لندن حيث سلمه مذكرة
تتضمن قرار احتلال سورية وفلسطين والعراق « موقتا » ! ريشا
تبرم « عصبه الامم » قرار الانتداب على هذه البلاد • وضمن تلك
« المذكرة » الخطوط العريضة لاتفاقية « سايكس - بيكو »
الجائرة التي عقدت دون أن توافق البلاد العربية عليها ، بل دون ان
يكون لها علم بها •

واجاب فيصل على هذه « المذكرة » بمذكرة ضافية في ٢١ ايلول
من السنة نفسها ، وقد وافق فيها على بعض المطالب ، ورفض
الكثير منها •

ولكن الدولتين كانتا قد رسما خطتهما منذ زمن طويل وشرعتا
تنفذانها •

وطال الاخذ والرد بين فيصل والحكومة البريطانية ، وتوات
المذكرات والاجتماعات ، وكانت كلها تدور في حلقة مفرغة ،
فبريطانيا تصر على تنفيذ اتفاقية « سايكس - بيكو » ، واعتبارها
أساسا لكل مفاوضة وبحث ! وفيصل يحاول ان يحمل بريطانيا
على التقيد بعهودها ، وتنفيذ وعودها •

واضطر فيصل تحت ضغط الحكومة البريطانية ان يسافر الى
باريس لمقابلة كليمنصو رئيس الوزارة الفرنسية • وكان برفقته
محمد رستم حيدر ، والدكتور احمد قصري ، وكان بانتظارهم
فيها عوني عبد الهادي ، وجميل مردم •

وكانت الاحداث تتوالى في سورية فقد احتلت الجيوش
الفرنسية البقاع في ١٩ كانون الاول سنة ١٩١٩ بحجة اعتداء
الاهلين على ضابط الارتباط الفرنسي ، وجرح جاويشه ! ثم احتلت
بعلبك بحجة تأمين النظام والامن ! وهكذا كانت تتذرع فرنسا بأسباب
واهية ومصطنعة لتوسيع رقعة احتلالها بعض المناطق التي كان
ضمن الدولة العربية •

ووجد فيصل نفسه وسط مؤامرة استعمارية ، وعزم أكيد على
تنفيذها بالقوة (١) ! مفاوضات بينه وبين الحكومة الفرنسية

(١) من جملة الحجج الواهية التي تذرع بها كليمنصو في محادثاته مع فيصل ،
وتبرير طلب احتلاله لبعض المناطق السورية ، واشراف القوات الفرنسية على بعض

انتهت بوضع « مشروع معاهدة فيصل - كليمنصو » في ٦ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ وهذا المشروع هو أقرب الى « الحماية » منه الى « الوصاية » - اذ انه يسلب الحكومة السورية كل خصائص السيادة ، وحتى مظاهرها ! فهو لم يعترف بوجود شعب سوري ، بل بوجود « جماعات تتكلم بالعربية » ! وأحل المستشارين الفرنسيين من الخضوع لرأي الوزير او مجلس الوزراء ! ورغم معارضة فيصل لهذه الناحية واصراره على ان يكون المستشارون خاضعين لتوجيهات الحكومة السورية ، فقد رفضت الحكومة الفرنسية ذلك - وجاء النص مائعا يحتمل التأويل للفريقين ! كما ان المشروع لم يعترف لسورية بحق التمثيل الخارجي ! واصرت الحكومة الفرنسية على مشاركة الحكومة السورية في حكم جبل الدروز ! كما رفضت حتى مجرد البحث في ضم ساحل سورية - اللاذقية - الى الوطن الام^(١) ! وهكذا خرجت سورية من هذه الاتفاقية المفروضة مجزأة ، وتحت حماية فرنسة ، حيث تجعل

طرق المواصلات ، ان فيصلا يغذي ثورة الشيخ صالح العلي في جبال العلويين . وانه بهذه التغذية قد حال دون تمكن الجيش الفرنسي من اخماد الثورة والقضاء عليها . وان هذه الثورة قد أثرت في موقف الجيش الفرنسي في كيليكية ، بعد ان اضطرت خطوط مواصلاته الخلفية .

(١) راجع نصوص « معاهدة فيصل كليمنصو » والمراسلات بين الملك حسين وادوارد مكماهون في الجزء الاول من كتاب « الثورة العربية » .

للمستشارين - وخصوصا مستشار المالية - الكلمة الاولى
فيها !! (١) ♦



ما أن وصل فيصل الى سورية حتى دعي المؤتمر السوري
للاجتماع ، واعطاء ، قراره بمشروع المعاهدة التي أرادت فرنسا
وحليفها بريطانيا ، ان تفرضها بالقوة على سورية ! وسادت المؤتمر
فكرة المجابهة ، وعدم التفريط بأي حق من حقوق البلاد (٢) ♦

وكان من غير المعقول ان يقبل اعضاء المؤتمر بالمعاهدة وان
يتنكروا على آمالهم وحقوقهم في الحياة ♦ وان تذهب الدماء التي
أريقَت من أجل حريتهم واستقلالهم هدرا ♦

والشعب لم يكافح للخلاص من تركيا ، ويقدم الاضاحي
على مذابح الجهاد ليستبدل استعمارا باستعمار ، ونفوذاً بنفوذ ♦
وليس في الكرامة والسيادة والعزة حد وسط ، وكل تسليم
بمطالب فرنسا ، وتساهل معها ، سيسير بالبلاد في طريق الانتداب ،
ويفضي بها الى العبودية والاحتلال ♦

ورفض مشروع المعاهدة ♦

(١) يذكر الامير مصطفى الشهابي في كتابه القيم عن « القومية العربية » أن
فيصلاً أبلغ كليمنصو ان موافقته النهائية على هذا المشروع معلقة على قبول
الشعب السوري ، وموافقته عليه .

(٢) كتاب شكري القوتلي - للمؤلف .

وكان ذلك الموقف دستورا للجهاد الوطني طوال السنوات التي تلتها ، وكانت هذه الصلابة قاعدة لرفض « معاهدة دي جوفيل » سنة ١٩٢٦ ، و « معاهدة الشعباني » سنة ١٩٣٣ ، و « مقترحات ديغول » ومثليه سنة ١٩٤١ وما بعدها ، وعروض الاحلاف العسكرية المختلفة في السنوات الاخيرة .

ان الوطنية لا تعرف حدا وسطا . واذا كان لا مندوحة عن سلب الحرية فلتسلب رغما عن ارادة الشعب — لا برضاه واختياره . ولا تسوغ المبادئ القومية ان يسجل الشعب على نفسه قبول العبودية ، واقراره اياها .

يجب أن يحتفظ الشعب للأجيال القادمة بوطنية سليمة، وتاريخ نقي ، ومواقف مشرفة في الجهاد . وهذه هي الروح الصالحة لبناء القومية على ركائز متينة من الاعتداد والاعتزاز .

وقرر المؤتمر اعلان استقلال سورية ، ووضع الحلفاء وهيئة الامم تجاه الامر الواقع ، وعقد في السادس والسابع من آذار سنة ١٩٢٠ جلسات في « النادي العربي » اتخذ فيها قرارات خلاصتها : استقلال سورية بحدودها الطبيعية ، ومنها فلسطين ، استقلالا تاما — على ان تكون الحكومة مدنية نيابية لا مركزية ضامنة لحقوق الاقليات ، وان ينادى بفصل بن الحسين ملكا دستوريا على سورية ، وان تراعى آماني اللبنانيين الوطنية في ادارة شؤون لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العالمية الاولى — على أن

يكون بعزل عن كل تأثير أجنبي فيه ، ورفض مطالب الصهيونيين في جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ، او مكان هجرة لهم ، والمطالبة باستقلال العراق استقلالا تاما على ان يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي واقتصادي (١) .

وفي الثامن من آذار سنة ١٩٢٠ اعلن في بلدية دمشق استقلال سورية ، وتنصيب فيصل بن الحسين ملكا عليها .
وفي نفس اليوم اعلن مؤتمر عراقي في دار بلدية دمشق استقلال العراق ، مما أثار حفيظة بريطانيا ، وحقدتها الدفين ، فأصدر وزير خارجيتها « كيرزون » بيانا يعلن فيه ان حكومته لا تتقيد بأي قرار يتعلق بالعراق وفلسطين .

ورفضت بريطانيا وفرنسة قرار « المؤتمر السوري » ، وابلغت الملك فيصل قرار الرفض بواسطة قنصليهما في دمشق .

ولم تأبه الحكومة السورية لقرار الدولتين الاستعماريتين ، وانصرفت الى متابعة تنظيم البلاد ، وتهيئتها للمستقبل . ورغم ان الدولة العربية في سورية لم تعش الا اقل من سنتين فقد قامت خلال هذه الفترة الوجيزة بأعمال جليلة هامة منها (٢) :

نقل الكثير من سجلات الحكومة وقوانينها وانظمتها من

(١) راجع صورة قرار المؤتمر منشورة بالزئكوغراف مع تواقع الاعضاء في كتاب ذكرى « استقلال سورية » - طبعه سيوفي واخوانه الدمشقيون .

(٢) كتاب القومية العربية - للامير مصطفى الشهابي .

التركية الى العربية • واذا علمنا ان اللغة الرسمية في البلاد كانت اللغة التركية ادركنا صعوبة تنفيذ هذا العمل خلال هذه الفترة الوجيزة • ومنها جعل اللغة العربية لغة الحكومة ، ولغة التدريس في المدارس العادية ، وفي الجامعة السورية ، وتعيين « لجنة للترجمة » وضعت للجيش ولدوائر الحكومة مصطلحات عربية كثيرة ، ثم اقبلت بعد ذلك الى « المجمع العلمي العربي » الحالي ، وفتح مدارس ابتدائية وثانوية ومدرسة زراعية ، وتعيد بعض الطرق ، وتنظيم المستشفى الوطني ، وفسح المجال للاعراب عن الآراء الشخصية بمنتهى الحرية ، في الاندية والصحافة والمجتمعات العامة • وبث الدعايات الواسعة للفكرة القومية ، وافهام الشعب حقيقتها ومعانيها •

وشكل الوزارة في عهد الاستقلال : رضا الركابي من ٨ آذار سنة ١٩٢٠ — ٣ أيار سنة ١٩٢٠ • ثم هاشم الاتاسي من ٣ أيار سنة ١٩٢٠ — ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠ • ثم علاء الدين الدروبي في ٢٥ تموز وقد استمر في الحكم بعد احتلال الشام كما سيجيء حتى قضى نحبه في حادث « خربة الغزالة » في حوران في ٢١ آب سنة ١٩٢٠ •

وكما انصرفت الحكومة للتنظيم والاصلاح انصرف « المؤتمر السوري » لوضع دستور للبلاد • واتم القراءة الاولى ، وحالت الاحداث بعد ذلك دون تنمة القراءة الثانية • وكان رياض الصلح

قد اقترح الاكتفاء بالقراءة الاولى ، والالتفات الى مجابهة الاحداث ، ولكن « المؤتمر » رفض هذا الاقتراح . وكان عدد مواد الدستور ١٤٨ مادة .

كان « المؤتمر العام » مجلسا تأسيسيا ، ومجلسا نيابيا يراقب أعمال الحكومة ، ويناقشها . وكانت الحكومة تطلب الثقة منه . وحدد « المؤتمر » عدد أعضائه بتسعين عضوا .

وتألف في « المؤتمر » حزبان : « حزب التقدم » ، و « الحزب الحر المعتدل » . وكانت الاحزاب السياسية ، واللجان الوطنية تقوم بنشاط كبير ، وتؤثر الى حد بعيد في مساعي الحكومة وخططها ، وفي مقدمة هذه الاحزاب واللجان : « العربية الفتاة » و « الاستقلال » و « العهد » و « النادي العربي » و « لجنة الدفاع عن فلسطين » . وقد تعاقب على رئاسة المؤتمر : محمد فوزي العظم ، وهاشم الاتاسي ، ورشيد رضا .



في ٢٦ نيسان سنة ١٩٢٠ عقدت انكلترة وفرنسة وايطاليا

(١) قبل ان يكلف فيصل احدا بتشكيل الوزارة استشار بعض قادة الرأي في « حزب الاستقلال » و « العربية الفتاة » ، فاجتمع هؤلاء في بيت شكري القوتلي ، واستدعوا رضا الركابي ، وأخذوا عليه عهد ان يعمل وفق برنامج « العربية الفتاة » وحزب الاستقلال . ولما عاهدهم ، واقسم لهم اليمين أبلغوا الملك فيصل ترشيحهم رضا الركابي لتشكيل الوزارة - فكلفه الملك بذلك .

واليابان مؤتمرا في « سان ريمو » ، لم تشترك فيه الولايات المتحدة الأمريكية لأنها كانت قد عادت الى عزلتها — كما أسلفنا — بعد انتهاء مدة الرئيس « ولسن » ، ولم تشترك فيه الحكومة الروسية أيضا بعد ان زال عنها الحكم القيصري ، وساد فيها النظام الشيوعي . وكانت روسيا القيصرية احدى الدول التي اشتركت في اتفاقية « سايكس — بيكو » وفي مؤتمر « سان ريمو » تم الاتفاق النهائي على تقسيم مناطق النفوذ بين الدول الاستعمارية الكبرى ، ووضعت موضع التنفيذ اتفاقية « سايكس — بيكو » التي تقضي بجعل سورية ولبنان منطقة نفوذ فرنسية ، وفلسطين والاردن والعراق منطقة نفوذ بريطانية . وابلغ المارشال « ألبي » قائد الجيوش البريطانية قرار « المؤتمر » الى الملك فيصل . وطلب منه الذهاب الى باريس ومعالجة الموقف مع الحكومة الفرنسية ، وضمن له موافقة بريطانيا على الاعتراف به رئيسا لدولة سورية — اذا وافق مؤتمر الصلح على ذلك — ومعنى هذا ان يصبح فيصل رئيسا لدولة وهمية ، في اقليم تحكمه فرنسا حكما مباشرا . بالحديد والنار .

ومع ذلك فقد قرر فيصل ان يستجيب لطلب بريطانيا . وحزم أمره على السفر مرة ثالثة الى باريس ، لكي يبذل آخر محاولة لانقاذ الوضع الذي كان يتدهور بسرعة .

ولكن المؤامرة التي حيكت خيوطها باحكام ودقة كان قد

بدى بتنفيذها ، وشرع الجنرال غورو بحشد جيشه استعدادا للهجوم على سورية • بعد ان اندحر امام الضربات العنيفة التي كالهها له مصطفى كمال وفيالقه القوية ، في كيليكيا ، واجبره على الانسحاب منها ، وهو يجر وراءه اذبال الخزي والعار •

وهكذا تجمع لديه في لبنان والاسكندرونة جيش لا يقل عن سبعين الف مقاتل ، بينما كان الجيش السوري النظامي لا يزيد عن تسعة آلاف ، ليس لديهم الا النذر اليسير من السلاح والعتاد • فأراد ان يستر هزيسته في كيليكيا ، وفشله في القضاء على ثورة العلويين ، وان يهجم على سورية ، مصدر امدادات تلك الثورة بكل ما يتجمع لديه من قوى •

وفي ١٤ تموز سنة ١٩٢٠ وجه الجنرال غورو انذارا الى الملك فيصل يتضمن المطالب الآتية :

- ١ - جعله الخط الحديدي من رياق الى حلب تحت سيطرة الفرنسيين ، واحتلال قوات عسكرية فرنسية المحطات في رياق وبعلبك وحمص وحماء ، واحتلال مدينة حلب بكاملها ، ووضعها تحت الادارة العسكرية الفرنسية •
- ٢ - تسريح الجيش العربي ، والغاء التجنيد الغاء تاما •
- ٣ - قبول الانتداب الفرنسي •
- ٤ - التعامل بالنقد السوري الذي أصدره الفرنسيون في بيروت ورفضت السلطات السورية التعامل به •

٥ — انزال القصاص بالمسيئين الى فرنسة ، وقصاص الذين يشبهه
بعدهم لها •

واجتمع « المؤتمر السوري » في ١٥ تموز واتخذ قرارا اجماعيا
 برفض الانذار رفضا باتا •

ولكن الحكومة السورية اتخذت في ١٧ آذار قرارا بقبول
 الانذار الفرنسي ، وابرقت بذلك الى الجنرال غورو ضمن المدة
 المحددة بعد ان ثبت لها تحرك الجيوش الفرنسية باتجاه الحدود
 السورية •

واجتمع « المؤتمر السوري » في جلسة صاخبة عنيفة طلب
 بعض الاعضاء فيها احالة الحكومة الى « الديوان العالي »
 لمحاكمتها • وفي هذا الجو المضطرب المكفهر جاء يوسف العظمة
 يتلو قرار تعطيل « المؤتمر » ، مشيرا الى ان العدو على الابواب •
 وبادرت الحكومة الى تنفيذ شروط الانذار ، فسرحت الجيش
 السوري ، وخرج الضباط والجنود من ثكناتهم وهم هائجون •
 وسرت اشاعة اطلقها بعض المغرضين ، كالنار في الهشيم ، وهي
 ان الحكومة قد اعتقلت الشيخ كامل القصاب — وكانت اشاعة
 مغرضة لا اساس لها من الصحة !

وحاول شكري القوتلي واخوانه^(١) ان يستفيدوا من هذه
 الحماسة العارمة ، ويوجهوها ضد الغزاة المهاجمين • ولكنهم لم
 يفلحوا لان السهم كان قد طاش والزام قد أفلت من ايدي القادة،

(١) مذكرات اسعد داغر •

واصبح في ايدي الغوغاء - وهو اخطر ما يمكن ان تصل اليه
حال .

وبلغ الفرنسيين نبأ الثورة في دمشق فشجعهم ذلك على
الاستمرار في الزحف ورفض عرض الحكومة الوطنية بقبول
الانذار ^(١) محتجين بأن جوابها قد وصل متأخرا عن الوقت المحدد
ساعتين ! ووجهوا الى فيصل « شروطا » اخرى ، تجرد سورية
الداخلية من كل وسيلة دفاعية ! حيث يتحكم فيها الفرنسيون على
هو اهم .

وكان من البديهي أن ترفض الحكومة السورية هذا العرض
الجديد - الذي يسلب سورية كل حق لها بالحرية والاستقلال .
وحاولت أن تجمع أفراد الجيش ، وتوجههم في حملة نظامية
لمقاومة الغزاة . وقام القادة الوطنيون ، بجهود جبارة ، في ليلة
مظلمة قاتمة ، ووسط عواصف من هياج الشعب واضطرابه ،
بالبحث عن الجنود المسرحين الناقمين ، فلم يتجمع منهم الا بضع

(١) يروي المرحوم اسعد داغر في مذكراته انه كان برفقة رسول فيصل الى قائد
الحملة الفرنسية في ميسلون يعرض عليه قبول الانذار الفرنسي ، ويطلب منه حقن
الدماء . وكان الى جانب القائد صحفي أجنبي قال له بالفرنسية : « أليس الأفضل
هذا الحل وتحقنوا الدماء لان الشعب سيقابلكم بكل امكانياته » . فأجابه القائد
بالفرنسية وهو لا يحسب أن احدا من العرب يحسنها : « كيف تطلب مني وقف الزحف
خوفا من اراقة الدماء ، والثورة قد اشتعلت في دمشق على نطاق واسع .. وهي
تأييد لنا ! هذا غير معقول .. » .. فتأمل !..

مئات زحفوا مع الفتي متطوع من الشعب الى «ميسلون» يقودهم
يوسف العظمة وزير الدفاع (١) .

وفي ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ حصلت المعركة الحاسمة في «ميسلون»
بين فلول من أفراد الشعب ، سلاحهم العقيدة والايان ، وبين
جيش كبير قوي مجهز بأحدث الاسلحة ، وأفتكها وأمضاها (٢) .
وكان التكافؤ بين الجيشين مفقودا .

ولم يتراجع المقاومون السوريون الا بعد أن نفذت ذخيرتهم ،
وصست أفواه بنادقهم القديمة ، وذخائرهم المحدودة .



في ٢٩ تموز سنة ١٩٢٠ غادر فيصل دمشق عن طريق عسان
متوجها الى بلاد الغرب — بعد أن وجه اليه غورو انذارا بمغادرة

(١) راجع كتاب « يوم ميسلون » للاستاذ ساطع الحصري — فيه تفصيل دقيق
للمباحثات والمذكرات والمفاوضات والنتائج الاليمة التي أسفرت عنها .

(٢) جاء في « الكتاب الذهبي » الذي أصدره الفرنسيون عن انتصاراتهم العسكرية
في الشرق أن الحملة التي وجهها الجنرال غورو من بيروت الى دمشق ، واشتركت
في معركة « ميسلون » كانت تتألف من : لوائين من جنود السنغال ، وأربعة أفواج من
المشاة ، ولواء من الخيالة ، وسبع بطاريات من المدافع المختلفة ، وسرية من المصفحات
وعدة أسراب من الطائرات . . . » — بينما كان الجيش السوري ، أو المدافعون
السوريون ، بضع مئات من الجنود النظاميين ، أو الذين كانوا نظاميين ، والقي من
أفراد الشعب المتطوعين يحملون سلاحا عتيقا ، وذخيرة قليلة . فقابل . . . بين هذه
القوة البسيطة وبين القوات الفرنسية التي تحميها الطائرات والمصفحات ، والمدافع

سورية ، وقد عينته الحكومة البريطانية • بعد ذلك ملكا على العراق
مستعينة به لتهديئة الثورة التي نشبت هناك ، وهددت الحكم
البريطاني بالزوال ، ثم عينت أخاه عبد الله « اميرا » على شرق
الاردن - حيث كانت قد أقتطعت بالاتفاق مع فرنسا بقعة من
الارض جنوبي سورية أقامت فيها « دولة » جعلت عاصمتها مدينة
عمان - وهي دولة تائية في الصحراء اراد تشرشل - صاحب
الفكرة - ان تكون في المستقبل سندا لاسرائيل ، وشوكة في
جنب سورية ، والسعودية ، والعراق - عند اللزوم •



حينما دخلت الجيوش الفرنسية دمشق واحتلتها ، كان مفروضا
في الحكومة السورية ، التي كان يرأسها علاء الدين الدروبي ، ان
تستقيل من الحكم ، وتعمل على توسيع نطاق الثورة التي كانت
قد امتدت من جبال العلويين الى محافظة حلب ، والتهبت فجأة في
محافظة حوران •

وبدلا من أن يستقيل علاء الدين الدروبي فقد أذاع في ٥ آب
بيانا ينذر فيه الاهلين والموظفين ، ويبرر اعمال الجنرال غورو ،
ويخلق له الاعذار « لازاحة العراقي التي كانت توضع في سبيل
جنوده ، الذين يقاتلون عدو الحلفاء جميعهم !! » ثم أقام
للقائد الفرنسي مأدبة تكريمية القى فيها خطابا أثنى فيها على ..
« تقاليد فرنسا المجيدة في تحرير الشعوب الخ » !!
وقد أثار موقف رئيس الحكومة السورية واعضاءها نقمة

الايواساط الشعبية وازدراءها • وبينما كان رئيس تلك الحكومة في طريقه الى حوران لاختاد نار الثورة ، التي اشتعلت فيها على أثر احتلال الفرنسيين ، قضى عليه المجاهدون في قرية «خربة الغزالة» في ٢١ آب سنة ١٩٢٠ • وحل محله جميل الاشبي في ٦ ايلول ، ثم أقيل في مطلع كانون الاول من السنة نفسها ، وخلفه حقي العظم الذي عين حاكما لمدينة دمشق •

وقبل نشوب الثورة السورية سنة ١٩٢٥ تعاقب على حكم سورية عدة مفوضين سامين • فقد بقي الجنرال غورو الى سنة ١٩٢٣ والجنرال ويغان الى تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ والجنرال سراي الى سنة ١٩٢٥ • وكان هؤلاء الثلاثة من القواد اللامعين في الحرب العالمية الاولى • وكان الاولان من الاحزاب اليمينية ، والاخير يساريا متطرفا •

وتفنن الفرنسيون في تمزيق شمل البلاد السورية ، واقامة دويلات متعددة تقوم على أسس طائفية ، وعنصرية ، واقليلية • وقد قسموا سورية أول احتلالهم الى خمس دويلات : دمشق ، وحلب ، والاسكندرونة ، وجبل العلويين^(١) ، وجبل الدروز • ثم

(١) من الامور المضحكة حقا ان محافظة اللاذقية قد اطلق عليها خلال ربع قرن أسماء متعددة : فمن دولة العلويين ، الى دولة العلويين المستقلة ، الى حكومة العلويين ، الى محافظة جبل العلويين ، الى محافظة اللاذقية • ومن اختلاف هذه الاسماء وتعددتها ، يستدل القارئ على نوع الحكم ، والفوضى « المنظمة » المرسومة ، والموجهة أيضا ، التي كانت تنتشر فيه •

اختصروها بعد ذلك تحت ضغط الثورات المتعاقبة الى ثلاث :
دمشق ، واللاذقية ، وجبل الدروز ٠٠!

وحكمت فرنسة البلاد حكما رهيبا استهانت فيه بالقيم ،
واستخفت بالاعراف والاصول - حكما استعماريا لا يعرف غير
ابتزاز المال ، وخنق الحريات ، وغير البطش والتنكيل ، والتفريق
والتمزيق !! وسلخت الاقضية العربية عن سورية ، وضمتها الى
لبنان ، الذي سمته لبنان الكبير !

وكان الى جانب كل وزير ، أو مدير ، أو محافظ ، أو قائممقام ،
مستشار فرنسي في يده السلطة كلها ٠٠ يأمر وينهي ، ويرفض ويوافق
ولا يثبت في أمر من الامور قبل استشارته ، والرجوع اليه ! وكلمته
دائما هي القول الفصل ٠

وكان الموظفون الفرنسيون ذوي طبائع متناقضة ، وأطوار
غريبة ^(١) ، وكان الخلف يهدم ما بناه السلف ، ويتنكر على قراراته

(١) يقول الدكتور نجيب الارمنازي في كتابه القيم « من الاحتلال حتى الجلاء » :
« ان المسيو جونار الذي كان حاكما في الجزائر قدم تقرير اللجنة الامور الخارجية
(الجريدة الرسمية سنة ١٩٢٢) في مجلس الشيوخ الفرنسي قال فيه : ان الموظفين
الفرنسيين الذين تنبذهم حكومة الجزائر ومراكش ترسلهم الحكومة الفرنسية الى
سورية ! وانتقد كثرة عدد الموظفين . كما انتقد الشيخ فيكتور برار الاسراف والتبذير ،
وسياسة التفرقة والتجزئة في انشاء « دويلات » لا مبرر لوجودها ، ونفت العداوة
والبغضاء بين شعوبها ، وتجديد المنازعات الدينية بينها الى درجة لم تكن تعرفها

وخطه • ولكنهم كانوا جميعا متفقين على سياسة واحدة : اضطهاد الشعب ، وتفريق كلمته ، وابتزاز ثروته •

واجتمع أحرار سورية الذين اضطروا للنزوح عنها الى مصر في مقر اللجنة المركزية لحزب الاتحاد السوري في القاهرة ، واتفقوا على عقد مؤتمر في جنيف الى جانب « عصبة الامم » يعمل على اعادة وحدة سورية واستقلالها • ويهاجم سياسة فرنسة العاشمة ، ويندد بها وبمساوئها • وفي ٩ نيسان سنة ١٩٢١ اذاعت اللجنة المركزية بيانا دعت فيه جميع الاحزاب والجمعيات للاشتراك في المؤتمر الذي اجتمع في أواخر سنة ١٩٢١ في جنيف • واشترك فيه ممثلو الاتحاد السوري ، والمؤتمر الفلسطيني ، ومجلس الادارة اللبناني ، والاستقلال العربي ، واللجنة الفلسطينية بمصر ، وجمعيات عديدة في الولايات المتحدة الامريكية ، والارجنتين ، والبرازيل ، وشيلي •

وقدم « المؤتمر » بيانا رسميا الى « عصبة الامم » ضمنه المطالب الآتية :

من قبل ! كما انتقد مسيو دومرغ - رئيس لجنة الامور الخارجية يومئذ ، ورئيس الجمهورية فيما بعد - السياسة العقيمة التي تتبعها فرنسة في سورية ..

ملاحظة : ولكن دومرغ هذا قد تبني هذه السياسة بعد أن صار رئيسا للجمهورية ، وهذه هي سياسة بريطانيا الخارجية ينتقد الحزب المعارض سياسة الحكومة ، ثم يسير عليها وينفذها بدقة تامة بعد أن يستولي على الحكم •

١ - الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسورية ، ولبنان ، وفلسطين .

٢ - الاعتراف بحق هذه البلاد في أن تتحد معا ، بحكومة مدنية مسؤولة أمام مجلس نيابي ينتخه الشعب . وان تتحد مع باقي البلاد العربية المستقلة في شكل ولايات متحدة «فدراسيون» .

٣ - اعلان الغاء الانتداب حالا .

٤ - جلاء الجيوش الفرنسية والانكليزية عن سورية ولبنان وفلسطين .

٥ - الغاء تصريح بلفور المتعلق بوطن قومي لليهود في فلسطين .

واستمر وفد اللجنة التنفيذية يعمل في أوروبا ، منتقلا بين عواصمها ، ومتابعا اتصالاته ونشاطه في « عصبة الامم »^(١) . وظلت اللجنة تتابع جهودها في القاهرة حتى نهاية الثورة سنة ١٩٢٧ ، وحتى دب الخلاف والشقاق بين أعضائها ، فتفرق جمعهم ، وتزق شملهم ، وعادوا كما كانوا شيعا وفرقا وأحزابا !

واستطاعت فرنسا أن تحمل « عصبة الامم » على اصدار « صك الانتداب » في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٢ ، واصبح مبرما بعد موافقة الحكومة الايطالية عليه في ٢٩ ايلول سنة ١٩٢٣ . وقد سلب هذا « الصك » كل أثر من آثار السيادة لسورية ، وقضى

(١) راجع كتاب الدكتور سامي الدهان عن الامير شكيب ارسلان .

على مفهوم المادة ٢٢ من ميثاق « عصبة الامم » ، وعلى ماهية
الانتداب من حرف « آ » • وبذلك انقلب الانتداب من حرف « آ » ،
وهو نصح وارشاد ، الى ما هو أقطع من حماية سافرة - مما أباح
للحكومة الفرنسية أن تمارس في سورية جميع أساليب التسلط
الاستعماري •

ولا شك أن فرنسا قد مارست هذه الصلاحيات التعسفية
قبل أن يصدر صك الانتداب ، ومنذ أن احتلت جيوشها الاراضي
السورية ، وقضت على الاستقلال ، وحتى على الحكم الذاتي
للبلاد (١) •

ووقف الجنرال غورو امام قبر صلاح الدين في دمشق وقال
مخاطبا الضريح : « أي صلاح الدين •• ها قد عدنا •• » !
ويقصد بذلك أن الجيوش الاجنبية التي اندحرت امام
الجيوش العربية التي كان يقودها صلاح الدين في حرب
الصليبيين ، قد عاد أحفادها لاستعمار الشرق •• من جديد •

وهزأ التاريخ من غورو ، واستخف به وازدراه • فليس في
معركة ميسلون مجال للمقارنة بينها وبين معركة حطين • فأين

(١) ذكر الامير مصطفى الشهابي في كتابه « القومية العربية » أن أحد كبار
الفرنسيين قال له مرة : « ان المفوض السامي في بلادكم يتمتع بسلطة لا يتمتع رئيس
الجمهورية الفرنسية في بلادنا بجزء منها • وان المفوضية العليا عندكم معمل للقوانين
يحرك بالكهرباء » !!

الثورات الوطنية ضد الفرنسيين

ثورة حوران :

دعت حكومة علاء الدين الدروبي شيوخ حوران وزعماءها للاجتماع بهم في دمشق ، والبحث في الغرامات الحرية التي فرضتها القوات الفرنسية على سورية ، وتخصيص المبالغ التي يجب أن تدفعها حوران . ولما امتنع شيوخ حوران عن تلبية الدعوة قرر رئيس الوزارة السفر الى درعا . وفي ٢١ آب سنة ١٩٢٠ غادر دمشق يرافقه وفد من المسؤولين الى حوران . وكان الوفد مؤلفا من علاء الدين الدروبي رئيس الوزارة ، وعطا الايوبي وزير الداخلية ، وعبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى ، والشيخ عبد القادر الخطيب عضو المؤتمر السوري ، والشيخ عبد الجليل الدرا . وفي محطة « خربة الغزالة » تجهم الحوارة وقتلوا رئيس الوزراء ، وعبد الرحمن اليوسف ، وبضعة جنود فرنسيين كانوا في القطار . ونجا الباقون بعد أن اختلطوا بالركاب واختفوا بينهم . وكان ذلك ايذانا ببدء الثورة في حوران .

وجهز الفرنسيون حملة قوية لاحتلال درعا فاصطدمت

بالمجاهدين في « الكسوة » ثم في « المسمية » ، ثم في « غباغب » ،
وقد دارت رحى معارك عنيفة في المواقع الثلاثة كانت فيها الغلبة
للجيش المحتل المجهز بأحدث الاسلحة والمعدات •
وفي أول تشرين الاول احتل الفرنسيون درعا بعد أن قتل منهم
عدد كبير • واستشهد من المجاهدين عدد غير قليل • وهدم
الفرنسيون القرى ، ونكلوا بالنساء والاطفال والشيوخ • وفرضوا
غرامات كبيرة على الاهلين ، كما فرضوا عليهم دفع دية الوزراء
والجنود المقتولين •

ثورة الاسكندرونة :

شن ، صبحي بركات ، وشقيقه ثريا ، وعاصم وحقي بن
داده بك ، ثورة عنيفة في الاسكندرونة بعد أن انضم اليهم عدد
كبير من السكان العرب في اللواء • وقد اصطدموا - لأول مرة
خلال شهر أيار سنة ١٩١٩ - بالقوات الفرنسية التي كانت تعسكر في لواء
الاسكندرونة منذ نهاية الحرب ، وغنموا منها معدات وذخائر كثيرة ،
كما أوقعوا فيها عددا كبيرا من الاصابات • وشملت الثورة منطقة
انطاكية ، وقرقخان ، والحمامات ، والعمق ، وباب الهوا ، ثم امتدت الى
نواح اخرى ، واصبحت تشكل حجر الزاوية لثورة الشيخ صالح
العلي ، وابراهيم هنانو • وكان من المنتظر أن تصبح هذه الثورة
سندا قويا لهما لولا ان الفرنسيين توسطوا عميلا وكان صديقا
حميما لصبحي بركات الذي قبل الوساطة وجاء معه متخفيا الى

حلب ، حيث اجتمع بالمندوب الفرنسي في اواخر سنة ١٩٢٠ وعقد اتفاقية خاصة معه أنهى بسوجبها ثورة الاسكندرونة ، وألقى السلاح ^(١) . وقد أتلّف المجاهدون بعد ذلك قرية هذا العميل الذي كان يتنقل هو وأتباعه مع القوات الفرنسية لمحاربة الثائرين والتجسس عليهم .

ثورة ابراهيم هنانو :

ولد ابراهيم هنانو في قرية كفر تخاريم التي تبعد حوالي ٨٠ كيلو متر غربي حلب ^(٢) . وانتخب عضوا في المؤتمر السوري .

(١) لقد ثبت فيما بعد ان الثورة التي شنها صبحي بركات ضد الفرنسيين كانت لخدمة قومه الاتراك في حروبهم ضد القوات الفرنسية في كيليكيا . وبعد أن اتفقت فرنسا ومصطفى كمال وانسحبت جيوشها من كيليكيا أصبحت ثورة صبحي بركات - في نظره هو - غير ذات موضوع . وقد قلده الفرنسيون بعدئذ أرفع المناصب في البلاد السورية . ثم اختلف معهم بعد انتخاب محمد العابد رئيسا للجمهورية سنة ١٩٣٢ وفشله هو . وسار مع الكتلة الوطنية الى سنة ١٩٣٦ حيث قاد المعارضة ضدها بعد ذهاب الوفد المفاوض الى باريس ورفض الكتلة اشراكه بعضوية الوفد . وحينما نشبت معركة لواء الاسكندرونة بين سورية وتركيا انحاز الى جانب تركيا ثم التحق بها نهائيا . وقطع صلته بسورية التي لعب أدوارا هامة ورئيسية فيها . وقد مات في لواء الاسكندرونة في الحرب العالمية الاخيرة مغمورا وشبه مجهول .

(٢) توفي ابراهيم هنانو في اواخر سنة ١٩٣٥ . ومن حفلة أربعينه انبعثت فكرة المقاومة السلبية . ونتج عنها اضراب البلاد كلها ستين يوما مما لم يحصل له مثل في التاريخ . وقد اضطرت فرنسا الى عقد معاهدة مع سورية سنة ١٩٣٦ اعترفت فيها باستقلال سورية . ثم نكلت عنها سنة ١٩٣٩ .

وقد تخلى عن « المؤتمر » وعاد الى الشمال ليدعم ثورة الشيخ صالح العلي في جبال العلويين ، وثورة صبحي بركات في الاسكندرونة . وبعد أن اجتاحت الجيوش الفرنسية سورية الداخلية صمم العزم على مقاومة العدو . فعقد اجتماعا في مدينة ادلب حضره عدد كبير من الوجهاء في أفضية حلب ، ومندوبون عن الشيخ صالح العلي ، وصبحي بركات من الاسكندرونة ، وعمر البيطار من الحفة . وقد تم الاتفاق في هذا الاجتماع على تنسيق الجهود وتنظيمها ، والقيام بعمل موحد ضد القوى الغاشمة التي تحتل البلاد .

وقبل أن يبدأ ابراهيم هنانو ثورته العنيفة ، عمد الى أثاث بيته فأتلفه ، والى مطحنه فأحرقها حتى لا يترك للفرنسيين مجالا للتشفي والانتقام ، اذا كانت الغلبة لهم — مستشهدا بالقول المأثور: « بيدي لا بيد عمرو » . واتسعت الثورة حتى شملت مناطق ادلب ، وحارم ، وجسر الشغور ، وسائر المناطق الغربية المطلقة على « العاصي » في محافظة حلب .

وسافر ابراهيم هنانو الى تركيا للاتفاق مع مصطفى كمال على تزويد الثورة بالسلاح والمعدات . ورحب القائد التركي بالفكرة . وشجع ابراهيم هنانو ، كما شجع من قبله الشيخ صالح العلي ، على المضي قدما بالثورة ، وتعهد له بتقديم السلاح اللازم لها . وكان القائد التركي يسعى لايجاد المتاعب في وجه القوات الفرنسية التي كانت تخوض غمار حرب عنيفة في تركيا .

وعقد ابراهيم هنانو مع مصطفى كمال اتفاقية - في ٧ ايلول سنة ١٩٢٠ - لتزويده بالسلاح دون مقابل • ولما تم التفاهم بين هذا الاخير والحكومة الفرنسية ، وجلت جيوشها مرغمة عن الاناضول ، نكت مصطفى كمال بعهوده ، ورفض التقييد بها ! بل ذهب الى أبعد من ذلك - فقد اضطر المجاهدين السوريين الى الابتعاد عن الحدود التركية ! وتجلت نوايا الاتراك ضد العرب ، ورغبتهم في أن تكون سورية مستعمرة لفرنسة ، لا أن تصبح مستقلة ذات سيادة وكيان ^(١) •

وجرت معارك عنيفة بين المجاهدين والقوى الفرنسية في مواقع متعددة كان أهمها تلك التي جرت عند قرية « أوروام الصغرى » قرب مفرق حلب - دمشق - أنطاكية ، وفي قرية « اسقاط » ، و « جسر الشغور » ، و « كفر تخاريم » ، و « جبل الزاوية » - حيث دارت فيه رحى معارك استشهد فيها عدد من المجاهدين ، وقتل فيها عدد كبير من جنود العدو وبعض قادته ، منهم ضابط برتبة كولونيل ، وابن الجنرال غوبو قائد الحملة •

وحاول الفرنسيون اقناع ابراهيم هنانو بالقاء السلاح ، على أن يعينوه حاكما عاما في المناطق الثائرة فرفض بآباء •

(١) من المآسي والمآزل التاريخية تسليم فرنسة لواء الاسكندرون الى تركيا سنة ١٩٣٩ ضاربة عرض الحائط بالتزاماتها الدولية ، وخارجة بذلك على كل عرف أدبي ، وتقليد خلقي ، وتعهد سياسي بالمحافظة على كيان بلاد انتدبت عليها ... ولكن منطق الاستعمار غير منطق القانون والاخلاق •

التكافؤ بالسلاح والقوى؟! وأين التكافؤ بالمجالات الدولية
والامكانيات؟!

بودي لو بقي غورو حيا حتى يشهد جلاء جيوشه الغاصبة عن
سورية ، ويشهد اندحارها عن قناة السويس ، وفشلها المتتابع أمام
هجمات الثوار الجزائريين •

لقد عاد « صلاح الدين » •• وفي كل أرض عربية تدور معركة
« حطين » • « وسيرى الظالمون أي منقلب ينقلبون » •••

ونظم هنانو مناطق الثورة تنظيما دقيقا • واوجد لها نظاما ماليا تجبى بواسطته الضرائب من الاهلين الذين كانوا يقدمونها بحماسة بالغة ، واريحية معروفة عن تلك المناطق • وعني بايجاد جهاز اداري لضبط الامن • وكانت قوى الشرطة التابعة للثورة تحمي الاهلين من المخربين والدسائين ، الذين كانوا يندسون في صفوفها • وينهبون ويسلبون باسمها ! فكانت قوى الامن تتعقبهم ، وتقاصصهم ، وتعيد المنهوبات الى أصحابها ، وتقدم المتجربين على قدسية الثورة الى محكمتها التي كانت تحكم بالسجن وبالاعدام •

وقد تخلل هذه الثورة الوطنية - ككل ثورة - اعمال مؤسفة من التخريب والسلب والنهب •

وكان التعاون وثيقا بين الشيخ صالح العلي و ابراهيم هنانو ، حيث كانا يتبادلان المعلومات ، وينظمان الخطط ، ويشتركان بعض الاحيان بتنفيذها ، وكان الاتصال مستمرا بين قادة الثورتين وحاول الفرنسيون ان ينعوا هذا الاتصال ، وان يقيموا سدا من جيوشهم بين منطقتي الثورة - وذلك بسحاولة احتلال المناطق الشرقية المتاخمة للجبل العلوي • ولكن المجاهدين كانوا يحولون دون تركيز الجيش ، ويضطرونه دائما للتراجع •

وفي نهاية شهر آذار سنة ١٩٢١ قذف الفرنسيون بقوات كبيرة قدرت بعشرين الفا تحميها الطائرات ، وتقدمها المصفحات • وكان

المجاهدون يشكون عجزا فادحا بالعتاد والذخيرة - بعد أن سدّت تركيا السبل بوجوههم ، وحالت بينهم وبين التزود بالسلاح منها • ولما نفذت الذخيرة من ايدي المجاهدين اضطروا للتفرق ، واضطر ابراهيم هنانو في ١٢ حزيران سنة ١٩٢١ للجوء الى الاردن عن طريق الصحراء حيث نشبت بينه وبين البدو الرحل معارك عنيفة قتل خلالها أكثر رجاله الستين الذين قرروا مرافقته الى الحدود •

واعتقلته السلطات البريطانية في مدينة القدس ، وسلمته الى السلطات الفرنسية التي ساقته مخفورا الى حلب ، وقدمته الى المحكمة العسكرية • وبعد دفاع مجيد من الاستاذ فتح الله الصقال برأته المحكمة (١) •

وتوفي ابراهيم هنانو في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ •

ثورة الفرات :

احتل الفرنسيون دير الزور في نهاية سنة ١٩٢٠ بعد معارك

(١) يروي الاستاذ فتح الله الصقال قصة تلك المحاكمة الفريدة ، - في كتابه القيم - عن ذكرياته في المحاماة - وان حكم البراءة صدر بالاكثرية ، وان الضباط الذين حكموا بالبراءة اعيدوا فورا الى فرنسا - مما يدل على ان السلطات الفرنسية العليا لم تكن راضية عن ذلك الحكم ، وقد سخطت على مصدره الذين تأثروا بجو المحاكمة بعدما أثبت لهم الدفاع أن ثورة هنانو كانت ثورة وطنية نزيهة شريفة •

بينهم وبين القبائل المحيطة بها • وفي شهر ايلول سنة ١٩٢١ هجمت
قبيلة (العقيدات) على المدينة لاسترجاعها من الفرنسيين، وحاصرت
حاميتها مدة طويلة حتى جاءت قوة كبيرة من الجيش الفرنسي
في حلب لفك الحصار عنها • وقد حصلت معارك عنيفة في
« البصرة » و « قرقيساء » عند مصب الخابور في الفرات
اعترف الفرنسيون بأنهم خسروا فيها احد عشر ضابطا ، و ١٧٠
جنديا بين قتيل وجريح •

ثورات محلية :

ونشبت ثورات محلية في مناطق متفرقة من البلاد ، كانت تهدف
الى مقاومة الجيش الغاصب المحتل والاعراب عن شعور النقمة
والكراهية تجاهه - منها :
ثورة قبيلة الموالي :

تعتبر قبيلة « الموالي » التي تنتشر بين حماة ومعرّة النعمان
من أشد القبائل العربية بطولة ورجولة واندفاعا • وقد شنت ثورة
عنيفة على القوات الفرنسية في أواخر نيسان سنة ١٩٢١ وعطلت
خطوط مواصلاتها ، واحترقت المحطات الواقعة على الخط الحديدي
بين المدينتين • ودارت بينها وبين القوات الفرنسية معارك عنيفة
لم تنتصر فيها القوات العدو الا بعد أن تكبدت كثيرا من الخسائر
في الارواح والمعدات •
ثورة الدنادشة :

أراد الجنرال غورو زيارة تلكلخ في خريف سنة ١٩١٩ فرفع

مثله العلم الفرنسي على دار الحكومة • ولما شاهده جموع
الاهلين هجمت على « السراي » ومزقت العلم ، واشتبكت مع
القوات المسلحة بمعارك طاحنة • واستطاعت القوات الفرنسية
التغلب على القوى الغزلاء ، الا من سلاح البطولة والايمان •
فاضطر أبناء هذه العشيرة العربية للالتجاء الى دمشق بعد أن
تغلبت عليهم القوات العدو •

ثورة عشيرة الفضل :

وثار محمود الفاعور رئيس عشيرة « الفضل » في « الحولة »
و « الجولان » في خريف سنة ١٩٢٠ • وقد نازل القوات الفرنسية
في عدة معارك ، أحرقوا على أثرها قراه ، وشردوا سكانها ،
واضطهدوهم ، ونكلوا بهم أسوأ تنكيل •

وقد نكبت هذه المنطقة قبل ذلك بهمجية الفرنسيين ووحشيتهم ،
حينما تصدى للجنرال غورو وهو في طريقه نحو مضارب عشيرة
« الفضل » بضعة عشر مجاهدا جاؤوا من شرق الاردن فقتلوا
مرافقه ، واصابوا حقي العظم حاكم دولة دمشق ثلاث اصابات ،
ونجا غورو باعجوبة ، بعد أن أصيبت يده « الخشبية » الموضوعة
مكان يده المتتورة •

وقد دمر الفرنسيون على أثر ذلك بضع قرى ، وشردوا أهلها ،
وقتلوا الكثيرين منهم بتهمة ايوائهم المجاهدين ، واخفائهم •

لاحقة :

لقد نشبت ثورات محلية عديدة خلال هذه الفترة كانت تعبيراً قويا عن شعور الكراهية والبغضاء نحو الجيش الغاصب المحتل ونضالا عنيفا مستمرا للتخلص منه •

ولقد قام الثائرون بواجباتهم خير قيام • ولكن الذي يؤخذ عليهم ، وعلى قادتهم بصورة خاصة ، ان هذه الثورات كان ينقصها الانسجام ، والنظام ، والقيادة الموحدة • اما ان ثور كل منطقة لوحدها ، وكل عشيرة بمفردها ، وفي أوقات متباعدة ، وظروف متفاوتة ، فأمر يدعو الى الاسف وخيبة الامل • ولو أن البلاد حازمت أمرها ، وعبأت امكانياتها ، واندفعت كلها في وجه العدو الغاصب لتغير وجه التاريخ في هذه البلاد ، ولكانت النتيجة غير ما شاهدناه وعرفناه •

•• لقد كانت الاخطاء كثيرة وجسيمة ، أهمها :

١ - عدم الاستفادة من ثورة الشيخ صالح العلي كما كان يجب ، فهي أمّ الثورات الوطنية ، وأطولها ، وأشدّها عنفا وكفاحا ، ولو دعمت الدعم الكافي ، وتجمعت فيها كل القوى الوطنية ، لاستطاعت وحدها أن تعرقل خطط الفرنسيين ، وأن تعيد جيوشهم الى البحر •

٢ - قبول انذار غورو ، وتسريح الجيش السوري !

٣ - التأخر عن دعوة الشعب كله للثورة في وجه العدو

المهاجم •

٤ - تكليف علاء الدين الدروبي بتشكيل الوزارة غداة يوم
ميسلون ♦

٥ - عدم توحيد الثورات الوطنية ، وضبطها ، وتوجيهها ،
وايجاد التعاون الوثيق فيما بينها ♦

٦ - اضطرار أكثر الزعماء الوطنيين لمغادرة سورية عند
احتلالها ، وعدم بقائهم فيها الى جانب الشعب يشدون أزره ،
ويقوون معنوياته ويهيئونه للكفاح ♦

الشيخ صالح العلي

والد الشيخ :

ولد الشيخ صالح العلي سنة ١٣٠٠ هـ في قرية « المريقب » ، منطقة طرطوس ، ناحية الشيخ بدر ، من ابوين كريمين ، ومن اسرة عريقة لها مكاتنها المرموقة ، ومركزها المعروف . ووالده الشيخ علي سلمان من الشيوخ الذين نذروا أنفسهم لله ^(١) ، ولمكارم الاخلاق . وقد بنى مسجدا عمره بالصلاة ، واعتكف فيه طيلة حياته . وكان مرجعا كبيرا لطلاب العلم والحاجات ، يؤمون مسجده من سائر الانحاء والجهات ، ويحتكمون اليه في صغائر الامور وجلائلها « وكان ، علاوة على مركزه الديني الكبير زعيم عشيرة البشارغة المنتشرة في سائر أنحاء الجبل » .

مبايعة الشيخ بالزعامة :

توفي الشيخ علي سليمان وله من الاولاد اربعة : الشيخ محمد

(١) حدثنا فخامة السيد هاشم الاتاسي رئيس الجمهورية السورية الاسبق انه زار قرية « المريقب » حينما كان قائممقام بانياس . وان الشيخ علي سليمان والد الشيخ صالح قد استقبله ودعاه للغداء ، وقال له : « انني لم آكل في حياتي كلها مع رجل موظف خشية ان يكون قد ظلم احدا من الناس . ولكن بلغني انك رجل منصف ، وعادل ، وتقي . تصوم ، وتصلي وتتقي الله . ولهذا فاني ساكل معك . واضاف فخامة الاتاسي قائلا : لقد تأثرت جدا بكلمات ذلك الشيخ الجليل الوقور . وقد كان مهيبا ومتصوفا ، وله مكانة كبيرة في محيطه .

كامل ، والشيخ صالح ، والشيخ عباس ، والشيخ محمود • ولم يكن الشيخ صالح حين وفاة والده قد بلغ العشرين سنة • ولكن بالرغم من هذه السن المبكرة فقد اجمعت الكلمة على انه خير من يحمل رسالة أبيه ، ويؤديها أصلح أداء • ولذلك اجتمع الاهل والاصدقاء والاتباع وبايعوه بالزعامة ، وقد برهن بعد اضطراره بأعبائها عن حصافة بالغة ، وحيوية رضية ، وذكاء وقاد ، مما اجمع الكلمة على حبه ، والثقة به ، والائتفاف حوله ، وتأييده تأييدا صادقا مطلقا • وقد لمع نجمه بعد اضطراره بأعباء الزعامة ، وتألق اسمه حتى اصبح ملء الاسماع والافواه •

أخلاق الشيخ :

ما عرف الناس شعورا نبيلًا مترفا ، واحساسا رقيقا مرهفا ، وخلقًا رصيا رصينا ، وعقلا كبيرا رزينا ، وقلبا ينبض بالعاطفة والحب ، ولسانا ينطق بالصراحة والصدق ، كما عرفوا الشيخ صالح العلي •

والناس جميعا - الصديق والخصم - يعترفون ان حياة الشيخ كانت نموذجا صالحا للاخلاق والفضيلة ، وانها أصلح ما تكون لان تؤخذ قدوة للمقتدين ، وسبيلا قويا للمهتدين • وانه فيما كان يتحلى به من كريم السجايا ، ونبيل المزايا ، قد وفر على ثورته الرهيبة كثيرا من الضحايا • وحفظها من التفكك تلك السنوات الطويلة ، رغم وسائلها المحدودة ، وامكانياتها

القليلة • وانه قد اوحى بالبطولة الى جنوده بعد ما رآوه من
صدق عزيمته ، وقوة شكيمة ، ومتانة اخلاقه الفاضلة ، ونبل
صفاته الكاملة ، حتى انه كثيرا ما عفا عن المتآمرين عليه ، وصفح
عن المسيئين اليه^(١) •

ثم ان معاملته للاسرى الفرنسيين واكثرهم كانوا من المغاربة
تفوق أية معاملة مماثلة • فكان اذا اسر أحد جنود العدو يؤخذ

(١) مما يروى بهذا الصدد ان دعوى عقارية كانت بينه وبين الشيخ محمود
العلي من وجهاء القدموس ، وانه التقى به قبيل الموعد المحدد للجلسة بيوم واحد
فسأله عن سبب تأخره عن السفر وحضور المحاكمة ، ولما علم انه لا يوجد لديه
مصروف الطريق اعطاه الشيخ ثلاثين « رايلا فضيا » ليتمكن من السفر ومتابعة دعواه
ضده . وهو عمل قل ان يوجد له شبيهه حتى في أرقى البيئات ، وعند افضل
الناس .

ووقف هذا الموقف النبيل مع المعارضين عليه في قرية « كاف الجاع » . فقد
مسح اراضي القرية كلها دون ان يهضم لانسان حقا . ودون ان يحضر عملية التحديد
والتحجير . وانما ترك الاهلين انفسهم مع المهندسين يضعون الحدود كما يشاؤون
ويختارون . ولم يبال بموقفهم الناس بعدئذ ، وانما ظل مستمرا في حذبه عليهم ،
والعناية بهم ، ومد يد المعونة اليهم . وبعد اعتراضهم عليه كان يزودهم قبيل كل
جلسة بالمال اللازم لمصروفهم ، واجرة المحامين عنهم . ويسألهم بعد العودة عما
جرى لهم ، متبسطا معهم في الحديث كان اعتراضا عليه لم يحدث ، وكان خلافا
بينه وبينهم لم يحصل . وهذا ما اعترف به امامنا اولئك المزارعون الطبيعون
البسطاء الذين ذهبوا ضحية الدس والتفجير من قبل بعض رجال السوء .
وتلك لعمرى اخلاق رضية ندر المتحلون بها من الناس .

العهد عليه ألا يعود الى ساح القتال مرة اخرى ، ويطلق سراحه ، وكانوا يرفضون العودة الى ميدان القتال ضد الشيخ ، ولو تعرضوا في سبيل ذلك الى ما يتعرض له الجنود الثائرون من معاملة حازمة ، وعقوبة صارمة • وكان بعضهم يفر من الجيش الفرنسي وينضم الى صفوف المجاهدين •

وموقفه في القدموس بعد جلاء اهلها عنها وأسر أكثرهم لما يشرف سمعته ، وسمعة ثورته ، الى الابد • فقد كان يعطي الرجال المجولين وسائل السفر ، وما يلزمهم من زاد ومتاع ومصرف •

وموقفه المشرف من المسيئين الى سكان قرية « الصقيلية » - التابعة حماه - لاكبر دليل على ما يحتشد في نفسه الكبيرة من نبل السريرة ، وسمو العقيدة ، وطهارة الوجدان • فقد ذهب بنفسه الى تلك القرية واعاد المنهوبات الى أصحابها ، وأعطاهم تعويضا كافيا عن المفقود منها ، وعاقب المسيئين الى سمعة الثورة ، ونكل بهم ، وجعلهم عبرة لكل من تسول له النفس استغلال الثورة لخدمة مآربه واغراضه^(١) •

وهكذا كان الشيخ يحرص كل الحرص على ابقاء اسم الثورة

(١) حدثنا السيد عبد الكريم الرستم الملاك الكبير في قرية الصقيلية ان الشيخ صالح قد اعاد لهم كل ما نهبه الاشقياء من قريتهم • ثم اعطاهم من جيبه الخاص ثلاثمائة ليرة ذهبية بمثابة تعويض • وقال لنا السيد رستم ان الشيخ من أنبل واطهر الرجال الذين عرفتهم في حياتي ..

بعيدا عن كل استغلال واستثمار • مما كان له الفضل الاول في ثباتها واستمرارها طوال ثلاث سنوات ونصف •

وهناك مواقف من هذا القبيل أكثر من ان تعد وان تحصى • وهي تعطي الناس صورة صادقة عن اخلاق الشيخ ، وعن حقيقة ثورته الوطنية ، ونبل غايتها ، وبعدها عن الشهوات •

شجاعته :

لم تحتدم يوما معركة الا وكان الشيخ في طليعة الشائرين ، يستوحون من بطولته ورجولته ما يحفزهم على التضحية ، ويدفعهم الى النضال •

وكان لهم مثالا قويا يهتدون بهديه ، ويسترشدون بخطاه • وكم احرقت بيوته ، واستبيحت معاقله ، وتفرق الناس من حوله ، وكثر المتألبون عليه • ولكن ثباته ، ورباطة جأشه ، كانت تعيد الثقة الى جنوده الفارين ، وتعيدهم الى ميادين الكفاح وهم أكثر شجاعة واعظم اقداما •

وكم ضاقت امامه السبل فألقى نفسه في حصار شديد الوطأة ، محكم الرباط ، ثم استطاع بايمانه الذي لم يتزعزع ، وعزمه الذي لم يتضعضع ان يفك ذلك الحصار فيحصر المحاصرين ، ويهجم على المهاجمين ، كما حصل في قرية « برمانة الاسماعيلية » ابان ذلك الحصار الهائل ، الذي قلب المعركة رأسا على عقب ، وحول نتائجها المرتقبة من نصر كان يأمله الفرنسيون الى هزيمة منكرة مزرية •

لقد كانت شجاعة الشيخ مضرب الامثال وحديث المجالس .
وان حياته لتعتبر سفرا قيسا من اسفار الجهاد المقدس ،
ومفخرة من مفاخر الوطنية والتضحية والنضال .
هيبته :

طويل القامة ، عريض المنكبين . ممتلئ صحة وحيوية
ونشاطا . يحدثك وجهه الطافح بالبشر ، وملامحه الرضية الرصينة ،
وعينه السوداوان الآسرتان . وحديثه الجريء الصريح ، وصوته
الجمهوري القوي ، يحدثك هذا كله عن وقار لا تشهد له مثيلا ،
ومهابة لا تعرف لها نظيرا . وعن كبرياء متواضعة ، وتواضع
مترفع .

فكان الشاعر قد عناه أيضا بقوله :

يغضي حياءً ويغضي من مهابته فلا يكلّم الا حين يتسم
الشيخ القائد :

لقد كان الشيخ مضطلعا بأعباء القيادة عن جدارة واستحقاق .
تؤهله لها مكاتته وخبرته ، ودقته في العمل ، وتقائه به .
حدثنا احد اركان حربه الضابط الباسل جميل ماميش^(١) ان
الشيخ كان محبوبا من المجاهدين ، ومطاعا منهم ، وانه لم يقرأ
عن قائد كانت له مثل هذه السيطرة ، التي كانت أشبه بالطاعة
العمياء ، على الجنود والاهلين .

(١) نشرنا له في مستهل الكتاب كلمة خاصة عن الثورة وقائدها .

وحدثنا عن عبقرية العسكرية كقائد ، وكيف كانت تظهر في
تسييره للمعارك ، وهيمنته عليها • وانه كان يحتفظ باحتياط
كاف لاتقاذ كتابه من الضغط ، وانجاد غيرها عند اللزوم • وان
الثورة كانت تتوقف على الشيخ وحده لا على سواه • وان
آراءه في تسيير المعارك كانت تصيب دائما ، ونادرا ما كانت
تخطئ •

وكان بعد انتهاء كل معركة يجمع الضباط ، ورؤساء الفرق ،
ثم يمشون على ساحة المعركة متفقدين باحثين مستنبطين • يستفيدون
من أخطائهم واخطاء غيرهم • ويجمعون المعلومات الكافية عن
أساليب العدو بالدفاع والهجوم •

وكانت تعينه في قيادته تجاربه الطويلة ، ومعرفته التامة
بطبيعة الارض ، وخبرته في مسارب الجبال والادوية ، والهام
داخلي كان له أبعد الاثر في تكييف رأيه وتوجيهه •

كان يراقب القتال من مكانه متنقلا بمنظاره ذات اليمين وذات
الشمال ، يتفقد جنوده ، ويستطلع اخبارهم ، حتى اذا ما انتهت
المعركة وتوقف القتال استدعى كل كنيبة فأعطاهها بعض الملاحظات ،
ثم أجرى بينها ما تقتضيه الحاجة من تغيير وتبديل •

وكان يعين بنفسه رؤساء الجبهات ويرفض ان يتدخل بذلك
احد سواه • ولم يكن له مقر معين ولا مكان معلوم • وانما
كان يستقر في المكان الذي توجهه الضرورة وتستلزمه • وقد

حدثنا بعض المجاهدين ان كل كتيبة من الثوار كانت تحارب بحماسة وهي تحسب ان الشيخ معها فتستبسل وتستأسد ، وكان يعزز هذا الشعور والحسبان ملاحظات الشيخ المستمرة في نهاية كل معركة ، كبيرة كانت ام صغيرة •

ولم يكن الشيخ يرفه نفسه بشيء عن جنوده • بل كان يأكل مما يأكلون ، ويشرب مما يشربون • ويعيش حياة التقشف والشطف كما يعيشون • ولولا كثرة الحذر وزيادة الاحتياط وتنقلاته بين حراسه الاوفياء ، لما كانت تمتاز حياته في مظهرها عن حياة جنوده العاديين •

ولم يكن الشيخ خريج مدرسة عسكرية ، ولا قائدا نال مركزه عن طريق الرتبة الرفيعة ، وانما هو رجل محارب شجاع اكسبته التجارب والمران خبرة عسكرية حيرت ضباط العدو ، وأفزعتهم • وكان لها الفضل الاكبر في ثبات الثورة كل ذلك الامد الطويل • والتاريخ يحدثنا ان كثيرين من مشاهير القواد تخرجوا من مدرسة التجارب والاختبار ، ولم يتخرجوا من المعاهد أو الجامعات ، وانهم بذوا أقرانهم الآتين عن طريق المدارس والشهادات •

تنظيمه ومعاملته للثائرين :

كان الشيخ في الاوقات التي تهدأ فيها حدة المعارك ، ويخمد لظاها ، لا يني عن تدريب الثائرين على الرماية الدقيقة تمرينا

مشوقا ، اذ كان يضع جوائز للمباريات ، ويعلق الشارات على صدور الفائزين ويحتفي بالمتفوقين مما يدفع المجاهدين الى الاهتمام والمثابرة ، ويستنفد اكثر اوقاتهم في فترات الهدوء .

وكان يمنع المجاهدين من ارتداء الملابس المغاير لونها للون الارض ، ويحول بينهم وبين التمرکز في السهول المنبسطة حتى لا يكونوا هدفا صالحا للطائرات ، وانما يدفعهم للتمرکز وراء كتل من التراب ، وفي ظل اكوام من اغصان الشجر اليابس . وكان يجلب لهم المغنين القرويين يغنون لهم القصائد النارية ، والاشعار الحماسية ، فتلهب نفوسهم وتضطرم عواطفهم . وكان يوزع عليهم الاسلاب والغنائم ، ويشرف بنفسه على طريقة اعداد الطعام ، وتجهيزه لهم ، وتوزيعه عليهم .

وشكل محكمة للثورة فكان يحاكم كل مخالف ، ويحكم عليه بما يستحق من العقوبة ، ويستوجب من القصاص .

وشكل فرقا للتفتيش ، واخرى للامن ، مهمة الاولى مراقبة الجنود ، ومهمة الثانية المحافظة على النظام . وبقوة هذا التنظيم الرائع ، وذلك الايمان القوي استطاع ان يقف في وجه الجيش الفرنسي الذي قهر الالمان يومئذ في الحرب ، وانتصر في اعنف معارك الدنيا .

آل عدده :

هذه الاسرة الكريمة كانت في بدء الثورة تستوطن « قلعة

الخوابي » ، القرية من الشيخ بدر مركز قيادة الثورة ، وقد قاست من عنف الفرنسيين ، وشدة بطشهم ، ومن شراسة جنودهم ، وعنجهية قوادهم ، ما لم تقاسه اسرة أخرى .
وقد وقف آل عدده الكرام كل امكانياتهم المادية والمعنوية لخدمة الثورة ، وضحوا في سبيلها بكل ما يملكون من مال وممتع وقد احرقت بيوتهم ، ونهبت اموالهم ، واغتصبت ارزاقهم ، ومع ذلك فلم يتوانوا عن القيام بواجباتهم ، ولم يتخاذلوا عنها ، ولم يتلكأوا بل ظلوا يكافحون ويناضلون من مطلع الثورة حتى خاتمتها .

وكان السيد عبد الرزاق المحمود سكرتيرا للشيخ يقوم بواجبه خير قيام ، ويؤديه خير أداء بمنتهى الدقة والامانة والاخلاص .
وكان رفيق الشيخ ، وكاتم سره ، وواسطته مع المراجعين والموالين .

والذين كانوا يرغبون في الاجتماع الى الشيخ ، والافضاء اليه ببعض المعلومات ، كانوا يجدون من سكرتيره عبد الرزاق أصلح وسيلة لتحقيق ما يرغبون . فقد كان أثيرا عند الشيخ يحبه ، ويشق به ، ويعتمد عليه في كل كبيرة وصغيرة . وكان يحمل مفاتيح « الشيفره » يحل بواسطتها رموز الرسائل الواردة من الملك فيصل ، ثم يتوفر على تدييج رسائل الشيخ اليه .

وهذه اسماء بعض المجاهدين من آل عدرة المخلصين :
أحمد المحمود : سجن ما يقارب السنة والنصف • كامل المحمود :
جرح عدة مرات • عبد القادر المحمود : وهو مجاهد معروف •
حسن المحمود ، ومصطفى المحمود : بقيا الى جزر المارتينييك
وكالدونيا الجديدة • محمود المحمود : سجن في طرابلس قبيل
اتهاء الثورة وظل سجيناً بعدها فترة طويلة • احسان المحمود ،
وعبد اللطيف عدرة ، ومصطفى عدرة : ابلوا في الجهاد خير بلاء •
عبد الرزاق المحمود : كان سكرتيراً للثورة ، وقد سبق التحدث
عنه •

ومن الوفاء للتاريخ ان نشيد بمواقف هذه الاسرة المجاهدة ،
التي ظل أبنائها الى جانب الشيخ طوال أيام الثورة وبعدها • فلم
ينحرفوا عنه ، ولم يقطعوا صلتهم به ، وانما ظلوا على ولائهم
واخلاصهم له • وكان الشيخ يؤثرهم على سواهم ، ويحفظ لهم
مكائنتهم واعتبارهم •

النساء العلويات في الثورة :

ومن ابرز مظاهر الثورة ، واجلى معالمها ، اشتراك النسوة
العلويات بها • وهو اشتراك يفسر لنا مدى اقبال المواطنين
على تلك الثورة الضروس • حتى ان المرأة كانت تقف الى جانب
الرجل تعضده وتتحمل جزءاً من مسؤولياته • وتنقل اليه الماء
والطعام الى جبهة القتال ، وتجلس وراءه تحمسه ، وتشدد من
عزيمته ، وتعينه في القتال •

وقد استشهد منهن الكثيرات ابان المعارك ، وفي غضون الحملات • فكان هذا الاستشهاد سبيلا الى تحميس رفيقاتهن، واستئسادهن في القتال ، وتحمل التبعات • وكانت النساء تقوم مقام الرجال في الزراعة والحصاد ، ويسددن الفراغ الذي أحدثه غياب رجالهن عن الحقول • واشتراك المرأة في الثورة ، وفي الاعداد لها ، قد فسخ للرجل مجالا رحبا ليظل في ساحة القتال وهو مطمئن الفكر والبال والضمير •

وموقف المرأة العلوية من هذه الثورة ، يشبه مواقف اختها في الفتوحات العربية - اذ كانت ترافق الرجل في الغزوات والفتوح، وتشترك معه اشتراكا عمليا في جميع الحروب والميادين • وان ذلك لما يعود بالفخر على هذه الامة ، ويحفز كل واحد من ابنائها على الشعور بواجباته ومسؤولياته ، والتوفر على القيام بها ، ووقف كل ما يملك من حول وجهد في سبيلها •

موقف الرجعيين من الثورة :

هذا موضع شائك وعر ، لا يأمن الداخل فيه من العثار • ولولا الامانة للتاريخ لما أثرته في قليل او كثير • ولكنني لن اصرح باسم احد من المسيئين ، ولن اتعرض بشيء من الايضاح والتفصيل لموقف بعض الرجعيين المغرضين من ثورة الشيخ ، وجهاده المبرور • غير أنني مضطر حرصا على الامانة

للتاريخ وواجب أدائها ، ان أؤكد للقارئ الكريم ان بعض الاشخاص قد باعوا ضمائرهم للفرنسيين بيع السماح ! وانهم وقفوا من حركة الشيخ موقفا عدائيا صريحا ! ولو لا ان وقف «بعضهم» مثل هذا الموقف المخجل المزري لما كان مستبعدا أن تتغير النتيجة التي عرفناها ، وان يتحول مجرى الاحداث ، ويقطف الشعب السوري ثمرات تلك الثورة القوية حرة واستقلالاً •

ولكن ذلك الموقف النابي من بعض الرجعيين في مطلع الثورة، وفي غضونها ، هو الذي ساعد على ايصالها لتلك النتيجة المحزنة ، والخيبة المريرة ، وحال بينها وبين تحقيق الهدف المنشود • وان مصادرة كميات الذخيرة من قبل بعض الرجعيين في قرية « تل وعاي » - التي تقع جنوبي مدينة صافيتا وتبعد عنها بضعة عشر كيلو مترا - هي التي أجهزت على الثورة ، بعد ان نفذت الذخيرة من المجاهدين وكانوا بانتظار هذه الامدادات على أحر من الجمر •••

وكان الزعماء الرجعيون يرسلون اتباعهم للانخراط في الثورة بغية التجسس ، وارسال الاخبار ، ومن ثم تشييط الهمة ، واغتيال الشيخ •

ولولا عفو الله ، ويقظة الشيخ وسهر رجال امنه لكتب لأولئك المتجسسين والمريدين ان يظفروا ببغيتهم منذ بدء الثورة ويقضوا عليها في مستهلها •

ولولا عفو الله ، ويقظة الشيخ ، وسهر رجال أمنه لنجحت خطط المتآمرين على حياته ، واغتياله عن طريق السم ، او عن طريق ارشاد المدفعية والطائرات الى مقره بواسطة شهب من النار . ولكن عفو الله ، ويقظة الشيخ ، وسهر رجال أمنه كان يحبط كل تلك المؤامرات ، ويقضي عليها في مهدها ، وان كان بعضها قد نجح بتسميم جسم الشيخ واضطراره للاعتكاف في الفراش فترة غير قصيرة .

ومما يعزينا عن موقف بعض الرجعيين العلويين ان الطائفة العلوية بأسرها كانت تعطف على الثورة ، وتساعد القائمين بها . وان اكثر شباب العلويين قد انخرطوا فيها بالرغم عن الرجعيين المشبطين .

افتراءات المغرضين :

لم تخل الثورة الوطنية من بعض العناصر الداسة المغرضة ، يندسون في صفوفها للتشيط والتهديم ، والتشويش والتخريب ، ويعملون جاهدين للنيل من كرامتها ، والخط من قيمتها ، وتشويه سمعتها الطيبة عند المراقبين والحاديين .

ولم تخل الثورة من بعض الاشقياء الذين كانوا يتخذون منها ستارا لما يرتكبونه من جرائم ، ويقترفونه من مآثم ! فينهبون القرى ، ويسلبون المارة ، ويعتدون على الابرياء ! والثورة من هذه الاعمال المجرمة ومن ادعيائها المجرمين براء .

ولم تكن تأخذ الشيخ شفقة ولا رحمة بأولئك المتجربين على قدسية الثورة ، ومثاليتهما ، بل كان يعاقبهم أشد عقاب ، وينكل بهم شر تنكيل • ولما علم أن احد المقربين منه على صلة خفية بأولئك المجرمين طرده من صفوف المجاهدين ، وحرم على رجاله جميعا ان يجالسوه او يخالطوه • كما ان الشيخ لم يكن يدخر وسعا برد المنهوبات الى اصحابها ، والتعويض عما لحقهم من أضرار (١) •

ولكن ... ما هو ذنب الثورة ، وذنب قائدها وأبطالها ، اذا كان بعض ذوي النفوس المريضة قد اغتتموا الثورة فرصة مناسبة للسلب والنهب ؟ ! وهي حال توجد حتى في أرقى البلدان ، ولا يخلو من التنويه بها أي تاريخ لاي ثورة نشبت في الزمن القديم أو الحديث •

ان الاشقياء لا وطنية لهم ، ولا اخلاق عندهم ، وهم يغتتمون كل الفرص والمناسبات للاقدام على مثل هذه الاعمال • واذا كانت هذه الاعمال اللصوصية تكثر في مثل هذه المناسبات ، ولا يخلو من مثلها زمان ولا مكان ، فكيف لا تحصل في هذه البيئة المتأخرة ، وفي مثل تلك الظروف ؟ !

ورغم ان الشقاوات لم تخل من امثالها حركة تحريرية واحدة ، ولم يخل من التنويه بها أي تاريخ لها ، فمع ذلك لم يجرؤ احد على اتهام غايتها بمثل ما تجرأ بعض المعارضين على اتهام هذه

(١) راجع ما ورد في فصل سابق عن « أخلاق الشيخ » .

الثورة بما هي منه براء •

وقد نعذر بعض المتقولين المغرضين الذين لا اخلاق لهم ،
وقد يشفع بهم فقدان الشعور الوطني من نفوسهم ، وتريتهم
البعيدة عن مفاهيم الوطنية وتعاليمها ، وعقولهم المغزوة بتعاليم
الاستعمار ومبادئه •

أجل قد نعذر أولئك المتقولين المغرضين ونوجد لهم بعض
المبررات ، متى ما علمنا انهم صنائع الاجنبي المستعمر ، وانه هو
الذي أوحى الى عملائه بمحاولة تشويه سمعة الثورة في غضوناتها ،
وبعد انتهائها بالوقت الذي كانت بلاغاته الحرية ، نفسها ، تصدر
وهي خالية من مثل هذه الارجاف •

وانني لا صرح جازما بأن كل من افترى على هذه الثورة
بالاتهام ، وحاول تشويه سمعتها والاساءة لغايتها ، هو من اعداء
فكرتها وغايتها وهدفها ، وانه قد حاول ستر عداوته لها ، وتنكره
عليها ، بتشويه سمعتها ، والحط من قيمتها ، وتلكم والله الأمم
الطرق ، وأحط الاساليب •

ورحم الله أبا الطيب المتنبى :

واذا أتتك مذمتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأني كامل

مادة الثورة :

كانت الثورة تعتمد في توفير المادة لها على المصادر الآتية :

١ - ثروة الشيخ صالح العلي ، واسرته ، وعشيرته ، وقد

وضعت كلها تحت تصرف الثورة •

٢ - معونة الملك فيصل المستمرة •

٣ - تبرعات الوطنيين في المدن الداخلية والساحلية •

٤ - اكتتاب العلويين المستمر •

٥ - تبرعات المغتربين في المهاجر الامريكية^(١) •

٦ - ما يستولي عليه المجاهدون من جيش العدو •

ومما لا ريب فيه ان ثورة جبارة ضخمة ، كتلك الثورة الجبارة الضخمة ، تستنفد في سنيها الثلاث والنصف مقادير هائلة من المال والسلاح ، وتستنفد كل القوى المادية المدخرة والمقدرة ، ولكن المعونات المستمرة ، والذخائر التي كان يغمها المجاهدون من جيش العدو ، كانت تغطي كثيرا من حاجات الثائرين ، وكانت اذا مستهم الحاجة يوما ما عمدوا الى الاستدانة من حماه • وكان موعد الدفع « طلوع الحملة »^(٢) أو « هجوم الثوار » •

(١) كانت ترسل هذه المعونات بواسطة المغفور له الشيخ محمد رمضان سلمان ، كرم مغيزل : صافيتا ، وأنجاله الاتقياء الكرام : الشيخ ابراهيم ، والشيخ يونس ، والشيخ احمد ، والشيخ عبد اللطيف ، وابناء اعمامهم ، وقد لقيت هذه الاسرة الكريمة من ظلم الفرنسيين وبطشهم وتكيلهم ما لم تلاقه اسرة في الجبل كله . وكان الشيخ أحمد ، وهو صهر الشيخ ، همزة وصل بين الشيخ القائد والجهات العلوية المختلفة . وكانت تبرعات المغتربين تدف الى اشخاص مختلفين في لبنان حيث يتناولها أنجال الشيخ محمد رمضان وينقلونها للشيخ في مركز الثورة غير آبهين بما يتعرضون له من الاخطار الجسيمة التي كانت تحيق بهم .

وما تزال هذه الاسرة النبيلة علما للجهاد والوطنية في الجبل العلوي كله .

(٢) و « طلوع الحملة » يقصد به عندما كان يحمل الجيش الفرنسي على مواقع الثائرين ، وما تزال هذه الكلمة شائعة الى الآن : « عالحملة » .

وقد كان المرحوم رشيد طليح ، حاكم حماه في العهد الفيصلي ،
والسيد نجيب البرازي يضطلعان بأكبر عبء في معونة الثورة ،
ومساعدتها • وكان الشيخ يعتمد عليهما كل الاعتماد • وكانت
حماه ركيزة قوية للثورة ، وسندا مكينا لها •
ان للمرحوم رشيد طليح أثرا خالدا في تاريخ الثورة لا تمحوه
الايام •

العقدا :

كان الشيخ يطلق اسم العقيد على رؤساء فرقه • وهو أعلى
رتبة عسكرية في الثورة •

وكان الشيخ يعين « العقدا » ، ويعزلهم ، وقد يستبدل كتابهم
بكتائب اخرى ، ويرفع مرتباتهم العسكرية عند الاقتضاء •

وكان أمر « العقيد » يهم الشيخ كثيرا • لان المعركة كثيرا ما
تتوقف على عبقرية القائد ورجولته ، واخلاصه وبطولته • ولذلك
كان الشيخ ينتقيهم من بين رجاله الاشداء المجريين ، ويضعهم
أول الامر تحت سلطته المباشرة ليختبر بنفسه حنكتهم ، ودرايتهم ،
ومهارتهم ، وحسن تدبيرهم للامور ، وتهيئتهم لها • ومتى ما توفرت
بواحداهم الشروط اللازمة لتعيينه « عقيدا » عينه الشيخ وسلمه
زمام الامر في كتيبة خاصة • وهكذا دواليك ••

واذا أظهر « عقيد » شيئا من العجز ، أو الضعف ، أو التهاون
فسرعان ما يستبدله الشيخ بسواه • ولم يكن أحد يتبرم من ذلك ،

أو يعترض عليه ، بل كان الجميع يطيعون أوامر الشيخ اطاعة عمياء
مطلقة •

لقد كان التنظيم عسكريا (١) •• ولكن الالفة الروحية بين
الجندي وقائده اعظم من كل ترتيب وتنظيم •
وهناك رتب عسكرية اخرى متفاوتة في المرتبة والدرجة ، وهي:
الملازم ، والمعاون ، ورئيس الخفراء ، وكان لكل منهم عمل
وصلاحيات ، وعدد معين من المجاهدين تحت امرته وقيادته •

(١) كان الى جانب الشيخ « هيئة اركان » وهم عدد من الضباط النظاميين
في الجيش العربي أوفدهم الملك فيصل لمعونة الشيخ في ادارة المعارك الحربية ضد
الفرنسيين . وكان الشيخ يستشيرهم ، ويأخذ بأرائهم ، ويعتمد كثيرا عليهم .

الاعمال الحربية في بلاد العلويين^(١)

مترجمة عن « الكتاب الذهبي الفرنسي »

احتلت جيوشنا مدينة اللاذقية في أواخر سنة ١٩١٨ • وعلى
الأثر أعلن بعض العلويين العصيان علينا • وكان يقودهم ، ويدير

(١) أحببنا أن نثبت هنا بعض ما كتبه الفرنسيون أنفسهم عن ثورة الشيخ صالح العلي . وقد عهدنا للسيد الياس يعقوب بترجمة هذا الفصل من « الكتاب الذهبي » الفرنسي الذي تضمن سرد الوقائع الحربية التي انتصر فيها الجيش الفرنسي . وعنوان هذا الفصل - هنا - هو نفس العنوان في الكتاب المذكور الذي أفرغ على المجاهدين أولا كلمة « عصاة » ! ثم أفرغ عليهم بعد ذلك لقب « ثوار » . ثم شرع بعدئذ يتحدث عن الاعمال الحربية في جبال العلويين . ونظرة واحدة الى ما كتب في ذلك الكتاب عن هذه الثورة تعطي القارئ صورة واضحة عن اتساعها وعنفها وأهميتها .

ولسنا بحاجة الى أن نلفت نظر القارئ اللبيب الى أن الفرنسيين يتحدثون من جانبهم هم ، وعما يتفق مع مصالحهم في رواية الحوادث والتاريخ . ومعنى ذلك - كما يدرك بدهاة - أنهم لا يعترفون الا بجزء واد من الحقيقة التي لا يمكن اخفاؤها وطمس معالمها . وهذا الجزء الواهي من الحقيقة التي يعترفون بها تشعر القارئ اللبيب ان تلك الثورة قد أقضت مضاجع الفرنسيين زما غير قليل . ونالت من كرامتهم وسمعتهم وكبريائهم ، ومجدهم العسكري الزائف الشيء الكثير .

ونعتمد الى القارئ لان المجال لا يتسع لنشر كل ما ورد في « الكتاب الذهبي الفرنسي » عن الثورة ، وهو يقع في عشرات الصفحات . وقد أشار الامير مصطفى الشهابي في كتابه « القومية العربية » حين تحدثه عن ثورة الشيخ صالح العلي الى هذا الكتاب .

شؤونهم ، الشيخ صالح العلي أحد الرؤساء الاقطاعيين — كذا ! —
في البلاد • وقد استطاع ذلك الطاغية الشيخ صالح العلي وانصاره
أن يحتفظوا بالجبل العلوي حتى نهاية عام ١٩٢١ • ولم ينفكوا
طوال هذه المدة يهاجمون وينكدون مراكز جنودنا ومعسكراتنا ،
وكانوا أحيانا يقلقون المدن الكائنة على الشاطئ • ففي هذه
المنطقة من بلاد العلويين خاض جيش الشرق أولى المعارك الهامة ،
نذكر بعضها باختصار :

في أواخر سنة ١٩١٨ حصلت مناوشات بسيطة بين جنودنا
والعصاة لا تستحق الاهتمام والتسجيل •

في أوائل سنة ١٩١٩ هاجم العصاة بعنف كتيبة من رجال
الامن ، مؤلفة من كتيبتين جزائريتين تحمل مدفعا جبليا من عيار
٦٥ تحت قيادة نائب الزعيم « جان » • ولما كان تفوقهم العددي
ظاهرا فقد اضطرت قواتنا أن تهبط الى أسفل الوادي لكي تدفع
هجومهم ، وتكسر نطاق الحصار الذي ضرب حولها • فاستمرت
المعركة طوال النهار ، وامتازت بالاعمال الباهرة التي قام بها الجنود
التابعون لكل من « كارو » و « كيفر » إذ أنهم ألقوا الطليعة
التي اشتد عليها الضغط ، وجرح رئيسها الملازم « طحاني » جرحا
مميئا • ثم استولوا على المركز الذي كان يحتله العدو • وتولوا
— الى ان ارخى الليل سدوله — حماية نقل العتاد والجرحى ،
وانكفاء الفرقة ، وقد قتل في هذا الاشتباك ستة من رجالنا بينهم

ضابط واحد ، وجرح اربعة وعشرون بينهم ضابطان • وهذا يعادل
عشر القوة — كذا — ، لكن العدو مني بخسائر فادحة •
جبال العلويين •

تتكوّن المنطقة العلوية من كتلة جبلية مرتفعة ، وعرة المسالك ،
ذات تنوع غني شديد • يقطنها شعب محارب يخضع خضوعاً أعمى
لرؤسائه الاقطاعيين • وقد أعلن شيخهم العصيان علينا منذ
نهاية ١٩١٨ ، ومن ذلك الحين حتى نهاية ١٩٢١ لم ينفك الشيخ
صالح وأنصاره الذين يقطنون منطقة « الشيخ بدر » يظهرون
عداءهم لنا • وذلك بمهاجمتهم مركز جنودنا وفرقنا ، والتنكيل
بحلفائنا الاسماعيليين الذين كانوا يساعدون جيوشنا في حربها
ضد العصاة العلويين • ولم تتح لنا الوسائل التي كانت في حيازتنا
أن تغلغل في المنطقة الجبلية ، اذ لم نكن نسيطر في أواخر عام ١٩٢٠
الا على الساحل وما يتاخمه ، ومن الشمال على الطريق الممتدة
من اللاذقية الى حلب ، مارة بجسر الشغور •

وقد ازدادت هذه الحالة سوءاً بمرور الزمن ، وذلك بسبب
الدعاية التي يبثها الاتراك — كذا ! — والملك فيصل في الشام ،
والامدادات التي كانوا يرسلونها •

وان فريقاً من العلويين قد ساهموا في الاعمال التي قام بها
الزعيم « بدري بك » في جسر الشغور وادلب ، وذلك في كانون
الاول ١٩٢٠ • ومنذ هذا الوقت ظلت الاعمال الحربية التي كانت

تقوم بها الفرق الفرنسية غربي حلب بعيدة عن الجبل العلوي حيث
ينتظم العصيان ، ويقوى يوما فيوما •

وما أقبل شهر نيسان حتى عمت الثورة جميع البقعة الكائنة
بين القرداحة شمالا ، وصافيتا جنوبا ، والعاصي شرقا ، ورواق
ساحلي ضيق غربا • وقد بلغت الجسارة بالثوار مبلغا عظيما ازاء
ضعف القوات الفرنسية المعسكرة في المنطقة • وبات الخطر يهدد
المدن الساحلية مباشرة • وقد حدثت عدة هجمات عنيفة على
جبله وبانياس وطرطوس • ولولا تدخل اسطولنا لتمكن الثوار
من التمرکز في هذه المدن • ولذلك أصبح من الضروري القيام
بعمل واسع النطاق بسبب وعورة الارض ، وقيمة الثأرين الحربية،
وكثرة عددهم ، حتى يتم اخضاع الجبل العلوي بأسره • وقد
بدأ التأهب لهذا العمل منذ شهر نيسان ١٩٢١ حيث وصلت كتيبة
من الجنود الهنود ، واخرى من الفرقة الاجنبية • فأصبح من
الممكن حماية المدن الساحلية ، وارسال تجريدات تبلغ في طوافها
سفوح الجبال • فانتزعت الكتيبة الهندية الصينية قلعة القدموس
في أوائل مايو ، وهو مركز جميل كنا نحس أنه شوكة في جنبنا •
اذ أنه كان يتيح للثأرين مراقبة الطريق الساحلية بين اللاذقية
وبانياس • وطلب الى القوات المكلفة بالمساهمة في الاعمال الحربية
أن تتجمع في أوائل مايو في منطقة « بابنا » التي كانت امتدت اليها
الثورة بينما كانت شبكة من مراكز الجنود تضيق الخناق على

المنطقة المتمردة في الشمال ، والغرب ، والجنوب • اما من جهة الشرق فقد أخذت احدى الفرق تتأهب لسد منافذ العاصي • وكانت الخطة الحربية ترمي الى اخضاع المراكز الاربعة التي ينبثق منها العصيان تباعا :

١ - جبل القراحلة في الشمال • ٢ - وادي العاصي ، مركزه عين الكروم • ٣ - السرامطة ، مركزه محمد جوفين • ٤ - منطقة عشيرة الشيخ صالح العلي ، الخصم العنيد ، ومركزها الشيخ بدر موطن الشيخ صالح •

وستبدأ العمليات الحربية من الشمال لتمتد فيما بعد من الشمال الى الجنوب • وستكون تحت قيادة الزعيم « نيجر » تقوم بها الفرق الآتية :

فرقة موران : تتألف من كتيبة أجنبية ، وكتيبة مساعدة مختلطة « الفرقة الثانية والعشرين الجزائرية ، وفرقتين لبنانيتين » وبطارية من المدافع الجبلية من عيار ٦٥ •

فرقة كليمان جرانلور : تتكون من طابورين من السرية الواحدة والعشرين الجزائرية ، وبطارية مدافع جبلية عيار ٦٥ •
فرقة ميناو : تتكون من طابورين من السرية العاشرة السنغالية ، وكوكبة خيالة ، وبطارية مدافع جبلية من عيار ٦٥ وبعض القطع من عيار ٧٥ يضاف الى ما تقدم العناصر الآتية :
الفرقة السورية السادسة ، طابور من الفرقة السادسة عشرة

التونسية ، كتيبة من الجنود الطونكية ، وفرقتان مساعدتان ،
وبعض أسراب الطائرات •
وكانت الغاية من هذه القوات الضخمة أن تصبح حين الحاجة
تحت تصرف القيادة • أو تتكفل جماعات جماعات وتنفذ بعض
المهام التي تعهد إليها •

ان تطور العمليات يدخل في ثلاث مراحل :
الطور الاول : احتلال منطقة القراحلة •

ان العمل الرئيسي الذي يرمي الى احتلال المراكز المشرفة
من جبل القراحلة قد تقدمه انتزاع مركزين هما بمثابة معبر يؤدي
الى الهدف المنشود : قمة السيران « بشرا » وكيف البير - هكذا
وردت بالنص الفرنسي - وذلك في ١٧ و ١٨ مايو • ففي ١٧ مايو
اقتزعت قواتنا بقيادة القائد « بولادير » قمة « السنحابة » بعد
معركة قصيرة امتازت بالعنف والشدة • وكانت هذه القوات تتألف
من كتيبة تابعة للسرية السادسة عشرة التونسية ، والفرقتين الاولى
والثالثة السورية والزمرة « الطربة » ★ من الكتيبة الطونكية • وحينما
توطدت مراكز الجنود في هذه الاماكن بدأ جس النبض مع
العشائر التي بات الخطر يهددها مباشرة كي يحل النزاع بطريق
سلمية توفيراً للضحايا • لكن هذا المسعى باء بالفشل ، رغم أن
بعض زعماء العشائر كانوا مخلصين لنا ، وكانوا يساعدوننا على

(*) هكذا وردت في النص الفرنسي •

الثوار • وقد اضطرت الفرق أن تتوغل الى الامام ، فشرعت بالهجوم • وفي ٢٠ مايو كلفت فرقة موران بمهاجمة جبل «سين» (١) تحميها فرقة « كليمان جرانكو » التي تحمي كنف « البير » بينما كانت كتيبة من السرية ٢١ الجزائرية تهاجم شموطين (٢) ، وقد بلغ الجنود أهدافهم بنشاط عظيم رغم صعوبة الارض والرصاص الذي يتساقط عليهم دون انقطاع • وقد دبّ الذعر في نفوس اهالي هذه المنطقة حينما بلغ « القدم » • فهرعوا شطر الجنوب والشرق ولم نجد الا قرى خالية • ثم سمحنا لبعض السكان بالعودة الى قراهم على شرط أن يسلموا الاسلحة والذخيرة التي في حوزتهم •

ان النتائج التي حصلنا عليها كانت هامة • وسوف تعظم أهميتها حينما يتم احتلال المنطقة الثانية حيث لجأ اليها بعض الاهالي من المنطقة الاولى « ب » ، الجركس : كلفت فرقة موران بمطاردة الفارين من منطقة القراحلة ، والذين لجأوا الى «الشعرة» وطلب اليها ان تغذ السير حتى عين الكروم لكي تقوم بتجريد عشيرة المحارزة من سلاحها • وبالرغم من الصعوبات التي كان يتعذر التغلب عليها ، والمتوفرة في ارض ندرت فيها السبل ، والامطار التي لا تنقطع عن الهطول • والثوار الذين يشبهون الجان باختفائهم المفاجيء ، وظهورهم المفاجيء ، وبمناوراتهم الشيطانية

(١) هكذا ورد اسمه ولعله قرفيص الواقع قرب نهر السن .

(٢) هكذا وردت في النص الفرنسي .

الغربية • رغم ذلك كله استطاعت فرقة موران ان تجتاز الشعرة ،
(كذا !) ، وتفاجيء أماكن الفارين ، وتحتل « عين الكروم » ،
وتؤمن الارتباط مع فرقة « دوم » • وقد كلفنا انجاز هذه
العمليات الحربية عددا كبيرا من الضحايا ، بين قتلى ، وأسرى ،
ومفقودين •

ان حركة الجيوش في الجبل اشتهرت بالمناعة ، والخسائر
الفادحة ، نسبيا ، التي تكبدها العدو قد أحدثا أثرا عظيما في
نفوس الثائرين الذين اصبحوا بحالة انهيار معنوي كما بدا لنا •
لكن الشيخ صالح ذلك الخصم العنيد البطاش جمع الرؤساء
وعاهدوه انهم سيقاومون تقدم جنودنا بكل الوسائل • فلم يبق
ثمة مناص من المضي في الاعمال الحربية مهما كلفنا من خسائر •
الطور الثاني :

١ - السرامطة : أنجز العمل بين ١٢ و ١٩ يونيو • وقدر
يومئذ عدد البندقيات بـ ١٥٠٠ يحملها أشخاص محاربون أشداء
ذوو عزم •

بدأت مهاجمة جبل السرامطة ببطء وسبب ذلك انتشار
ضباب كثيف وهبوب عاصفة وامطار غزيرة ، وكان العدو العنيد
يكر علينا من وقت الى آخر مستفيدا من حالة الطقس وفي نهاية
منه أسرعنا من التقدم ، بفضل الحزم الذي كان يسير القوات ،
والجهود المشتركة التي بذلتها فرقنا « موران » و « كليمان

جرانكور » • وفي ١٩ منه اصبحت مركز قيادة الزعيم « نيجير »
في محمد جوفين • وفي هذه المنطقة ظل قسم من الاهالي في قراهم
لم يغادروها •

ان انتهاء الثورة اذن اصبحت قاب قوسين أو أدنى •

وقد اضطرب العدو بعد احتلال بلاد الشام وملحقاتها •
وقطعت عنه المواصلات • وبقي يحارب دون أمل • ولكن
عناد الشيخ صالح وشراسته لا تزال تصلي من حولنا النار •
ان هذا الرجل خطر ، ومخيف ، وقد تشرب مبادئ الملك الهارب
فيصل فأصبح يحارب دون عقل • انه رجل عنيد حقا • • وهو
يحارب دون أمل !

منطقة المرقب والقدموس :

ان الاثر الذي خلفه تقدم الفرق ولّد ميلا عند بعض الثائرين
للاستسلام في المنطقة الكائنة جنوبي الطريق الممتدة بين بائياس
والقدموس • ومع ذلك فان فرقة « كليمانجرانكور » قد
اصطدمت في سيرها نحو القدموس بالعصابات المنظمة التي
يديرها الملازمون الذين عينهم الشيخ صالح • ودارت بين الفريقين
رحى معركة ليست قليلة الاهمية ، حتى استطاعت ان تشق لها
طريقا في ٢٥ يوليو • وبدأت ببطاردتهم دون ان تتخلى عن « تورن
الجرد » حيث منوا بهزيمتين دامت في ٢٦ و ٢٨ منه ، مما

أدى الى بعثرة العصابات • وقد اصبح مركز قيادة الزعيم «نيجر»
في القدموس • وبهذا تنتهي المرحلة الثانية التي كلفتنا ٦٨ قتيلًا ،
و ٣٢ جريحًا ، و ٣ مفقودين •

ان جميع السرامطة قدموا خضوعهم ، (كذا) •• ! ما عدا
سكان قرى البشارغة الذين لم يعودوا الى منازلهم ، ولم يلقوا
سلاحهم • ولكن أعمام الشيخ صالح قد اصبحوا في قبضتنا •
الطور الثالث : احتلال الشيخ بدر :

لكي يستتب الامن في جميع انحاء البلاد لابد من القضاء على
العصابة التي يقودها الشيخ صالح نفسه • والقبض عليه ان
أمكن أو السعي لاختضاعه تحت قوة السلاح • وبفضل قرناء
السوء (كذا) • الذين يجدهم الشيخ أينما توجه فان
بحشنا عنه ظل دون جدوى • وأتاحت لنا العملية الاولى التي
شرعنا بها في منطقة « وادي العيون » « وعين شمس » ان
نغنم بعض القطعات التي يملكها ••

واخيرا في ٤ يوليو هاجمت كل القوى الجاهزة ، والمخفورة
بالطائرات والمصفحات - بشكل دائرة - مركز الشيخ بدر •
واحتلت كل القرى بعد تضحيات قليلة ومحدودة • أما الشيخ صالح
فقد استطاع ان ينجو مع ثغر من اتباعه ، وذلك بالتجأهم الى
« مغارة » تبعد خمسة كيلو مترات عن « الشيخ بدر » • وصدق
ان احدي كتائبنا سلكت طريقا لا تبعد الا خمسمائة متر عن
ذلك المكان • لكنه سوف يستسلم في شهر اكتوبر •

وقد انتهت العمليات الحربية في جهات « الشيخ بدر » في ٧ يوليو • واستسلمت المناطق الثائرة كافة •

موقعة محمد جوفين :

في ١٢ يونيو ١٩٢١ بدأت المعركة العنيفة في مكان محمد جوفين • وهي تذكر كلما ذكرت الحملة التي جردت على العلويين لأنها ارتدت طابعا خاصا • ففي اواخر مايو خيم السلام فوق القسم الشمالي من الجبل • لكن العناصر التي امتازت بالحزم ، كعشائر القراحلة ، وخلف السرامطة ، قد قطعت ابواب المفاوضة ، وكانوا لا يزالون يسيطرون على مركز الجبل « محمد جوفين - القدموس » والجنوب « الشيخ بدر » • وكانت قواتنا تسيطر على « الشعرة » التي تعد النقطة الرئيسية، وتحاصر في الشمال المنطقة الثائرة بواسطة سلسلة من المراكز الموقفة • بثها حتى « عرب الملك » على الساحل • مع العلم ان « قرفيص » لاتزال في قبضتنا • واما من الشرق فان احدى الفرق بقيادة القائد «مينان» الذي حل محل نائب الزعيم « دوم » الجريح تحتل المنطقة الكائنة بين « العاصي » و « الشعرة » • وتسد كل منفذ على الشوار • ويحتل العدو بقواته « محمد جوفين » ، ومنطقة « البشارغة » ، وهي عبارة عن سلسلة صخرية يشرف عليها ارتفاعان بشكل ثديين • وقد قرر الزعيم « نيجر » القائد العام في المنطقة العلوية ان يهاجم « منطقة البشارغة » تحت اشراف « الجنرال غورو »

المباشر • وفي نفس الوقت تلتف حولها فرقة من الجنوب قادمة من « قرفيص » سائرة باتجاه « محمد جوفين » • اما الهجوم المجابه فستقوم به في ١٢ يونيو فرقة موران بعد ان أعيد تنظيمها متجهة من الشمال الى الجنوب في منطقة « البشارغة » وهي تتكون من الكتاب الآتية :

- ١ — كتيبة « قرمش » ، فرقة اجنبية •
- ٢ — الكتيبة السنغالية « بايار » •
- ٣ — الكتيبة السورية « اونج » •
- ٤ — تعضدها من الميسرة فرقة « ماجران فرنيريه » وتتألف من كتيبة سورية ، والكتيبة الاولى والثانية والعشرين الجزائريتين • وسوف يتم التطويق من قبل فرقة « كليمان جرانكور » المؤلفة من :

- ١ — الكتيبة الاولى والثالثة من الفرقة الجزائرية •
 - ٢ — الكتيبة الطونكية •
 - ٣ — بطارية مدافع جبلية من عيار ٦٥ وبطارية من عيار ٧٥ •
- وسيتم انتقال هذه الفرق ليلا على مرحلتين يحيط بهما الكتمان الشديد لنصل « صحابة »^(١) في ١٠ منه و« قرفيص »^(٢) في ١١ منه حتى تتمكن في ١٢ منه ان تتم العملية •

(١) يقصد « السخابة » وهو موقع يقع على نهر بين بانياس وجبله •

(٢) نظنه يقصد « قرفيص » وهي قرية تقع على جبل فوق « نهر السن »

شمالي بانياس •

ان هذه الحركات قد رتبت دون ان يشعر بها أحد • لان رجال الشيخ صالح العلي يشبهون « السعادين » في غابات افريقيا — كذا • • — يرونك ولا تراهم • ويتنقلون من مكان الى آخر ، كما يفعل « السعدان » تماما • ولذلك اضطررنا للقيام بهذه الحملة الكبيرة بمنتهى التستر • والا كان أفسد عملنا ، واضطررنا للتأخر أياما أخرى •

وفي ١٢ منه تحركت فرقة « كليمان جرانكور » في « قفص » صباحا موزعتين على شرذمتين تتسلقان تلين يؤديان الى مؤخرة « البشارغة » • الكتيبة الثالثة من السرية ٢٢ الجزائرية التي تهاجم الميسرة ، والاولى تهاجم الميمنة يتبعهما قائد الفرقة ، وبطارية المدافع والجنود الطونكية ، فانتزعت هاتان الفرقتان « زوبي » و « داربابا » بعد ان ابدى المدافعون بعض المقاومة ، ووقعوا بالحملة بعض الخسائر •

وقد تم اتصال القوتين على القمة التي عينت قبلا حيث وطلدت الجنود الطونكية نقطة ارتكاز • وكانت منطقة « البشارغة » ثابتة يومئذ • وقد حالت وعورة الارض دون تقدم فرقتي « دوران » و « ماجران فرنيريه » • وفي الحال بدأت مدافع ورشاشات الجنود الطونكية ترمي طرف ومؤخرة مركز « البشارغة » فدبت الفوضى في صفوف المدافعين مما ساعد الفرق الشمالية على انتزاع أهدافها • وفي هذه الاثناء اندفع معظم فرقة « كليمان

جرانكور « صوب « محمد جوفين » مرة ثانية • فقبلوا بوابل
منهمر من الرصاص فضرب الجنود الجزائريون حولها الحصار •
بينما كان رجال المدفعية يدفعون المدافع بأيديهم ، والرصاص
يتساقط عليهم كالطر • ثم أخذوا يطلقون النار على القرية الى
مدى قريب فتم سقوطها في آخر النهار • وهكذا حطمت المقاومة
العلوية • وأصبنا نجاحا باهرا •

خاتمة :

ان قيام الثورة الطويلة قد أقلق قواتنا في الشرق • وكبدها
خسائر فادحة في الرجال والمعدات • وقوى عنصر المعارضة في
البرلمان والصحف اليسارية • ولكن الشعب لا يعرف مناعة تلك
الجبال ، ولا شراسة وهجبة العلويين الذين يقاتلون بوحشية
سكان الغابات •

ولولا ان الملك فيصل كان يمد الثورة بالمال والسلاح ، ولولا
استماتة الشيخ صالح ورجاله بالدفاع ، ومساعدة السوريين
والمسلمين لهم لما طال أمد الثورة ، بل كانت انتهت قبل ذلك
بوقت طويل •

واما العفو عن قائد الثورة الشيخ صالح ، وبعض رجاله
الهاربين معه ، فقد حتمته الحالة العسكرية ، ورغبة القيادة
العسكرية بالاستقرار واستتباب الامن ، وهو ما لم يكن يحصل
الا بتسليم الشيخ • وهذا هو الذي اضطر القيادة العسكرية

الى اصدار العفو عنه بعد تعميم وعدها بذلك على سكان الجبال • وانا نشارك الرأي العام الفرنسي رغبته في أن يرى هذا الرجل وهو مكبل بالاغلال وحافي القدمين في شوارع باريس • ولكن شرف فرنسا العسكري قد اضطرنا للوفاء بالوعد الذي قطعناه •

هذا ما يقوله الفرنسيون :

عرضنا على القارئ الكريم بعض النماذج عن رأي الفرنسيين بالثورة ، وتتبعهم لحوادثها ووقائعها باهتمام ظاهر ، وحرص يّين •

وقد لفتنا نظر القارئ أولا الى ان الفرنسيين يتحدثون من جانبهم ويفعلون امر التحدث عن الجانب الآخر ، الا ما يتفق مع مصالحهم ، وسمعة جيشهم • وهذا غير مستبعد عنهم ، ولا مستغرب منهم •

ولا ريب ان المغالطات في هذا السرد للحوادث المتتابعة أمر لا يخفى على ذي فطنة لبيب • ومن هذه المغالطات انهم يتحدثون عن احتلالهم موقع « الشيخ محمد جوفين » ، وتركز قيادتهم في جبله المنيع ، ثم يعودون للتحدث عن الهجوم عليه مرة ثانية ، دون أن يذكروا ولو بالتلميح انكفاءهم عنه بعد هجمات الثوار !!

وهم يعترفون بقوة الثورة ، وشدة بأس رجالها ، ولكنهم

لا يتحدثون عن المواقع التي خاضها الجيش الفرنسي مدافعا !
ولا عن المعارك الكبرى التي بلغت ضحاياه فيها المئات • وانه
ليعرف بالبداية ان ثورة كبرى تستغرق ثلاث سنوات ونصف
لا بد ان تكون قد استنفدت قوى الفرنسيين حتى استطاعت ان
تثبت في وجوههم ذلك الوقت الطويل •

وان في نشرنا بعض ما كتبه الفرنسيون ، أنفسهم ، عن الثورة
فائدة تنحصر في انها تضع النقاط على الحروف • وتذكر اسماء
الفرق والقواد الفرنسيين الذين خاضوا غمار حربها الضروس •
ولولا هذا الكتاب الفرنسي ، لما استطعنا معرفة اسماء الفرق
كلها ، ولا بعضا منها •

ان هذا القليل اليسير من كتابة الفرنسيين عن الثورة يدفعنا
الى التوسع في تحليل المعارك ، وسرد وقائعها ، توسعا يكشف
النقاب عن اهميتها العسكرية • ونحن احرص ما نكون على
« الامانة » التاريخية والتقييد بها •

لمحة تاريخية موجزة :

حينما اعلنت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ودخلتها المملكة العثمانية الى جانب الالمان عمدت بريطانيا بواسطة ممثلها « مكماهون » الى عقد اتفاقيات^(١) مع الملك حسين - شريف مكة يومئذ - تعهدت فيها بالموافقة على توحيد البلاد العربية - سورية ولبنان وفلسطين والعراق ونجد والحجاز - في دولة واحدة .

ونشبت الثورة العربية المعروفة في التاسع من غرة شعبان المبارك سنة ١٣٣٣ هـ الموافق ١٠ حزيران سنة ١٩١٦ م وانتظم في صفوفها اكثر ابناء العروبة الاحرار . وعمل الجميع يدا واحدة تحت راية العاهل العربي لتخليص بلادهم من النير التركي ، لكي تتاح لهم حياة كريمة في ظل الوحدة والحرية والاستقلال .

ولكن الحلفاء عمدوا فيما بينهم الى اتفاقية سرية خطيرة ، المعروفة باسمي الرجلين الانكليزي والفرنسي اللذين وقعاهما وهما : سايكس - بيكو ، وهي التي تقضي بتجزئة البلاد العربية الى دويلات ، واستيلاء الانكليز على فلسطين والعراق ، والفرنسيين على لبنان والساحل السوري الذي يشمل اللاذقية والاسكندرونة ويضم اليه كيليكيا . وابقاء مقاطعات الشام الداخلية : دمشق ،

(١) راجع تاريخ الثورة العربية للاستاذ أحمد سعيد .

وحمص ، وحماه ، وحلب ، ودير الزور ، تحت راية فيصل ،
والحجاز لأبيه •

وكان من البديهي ان يرفض الرأي العام العربي هذه التجزئة
وان يقاومها بكل ما أوتي من قوة وعزيمة •

حينما دخلت جيوش الحلفاء سورية في مطلع شهر تشرين
الاول سنة ١٩١٨ أذاع الملك فيصل بيانا على الشعب السوري
يشكره فيه على معاوته الحلفاء في مهمتهم ، ويطلب منهم التضامن
والاتحاد لتحقيق الآمال القومية ، ويعلن انه أسس اول حكومة
سورية عهد برئاستها الى رضا الركابي •

وكان الملك فيصل على علم بالمقاومة التي أبدهاها الشيخ صالح
العلي في وجه الاتراك^(١) ، فأرسل اليه وفدا يحمل بعض الهدايا ،
ورسالة يدعوه فيها لزيارة دمشق ، والتباحث معه بشأن امتداد
الثورة واجلاء القوات الفرنسية عن الساحل السوري •

وكان الفرنسيون بعد ان اجليت القوات التركية عن الساحل
السوري قد احتلوا الدوائر الرسمية وانزلوا عنها أعلام الثورة
العربية بشيء من التحدي والامتهان ورفعوا مكانها الاعلام الفرنسية،
وأخذوا يتصرفون على اساس البقاء والتمركز •

ولما رأى الشيخ صالح العلي ، ورجاله ، هذه البادرة من
الفرنسيين أيقنوا بأن النية مبيتة لاحتلال الساحل ، وان القوم

(١) راجع الفصل السابق •

ماكرون غادرون • فبادروا لاتخاذ الاحتياطات اللازمة والتأهب
لاعلان الثورة ضد الفرنسيين •

وحينما وصل وفد الملك فيصل الى قرية الشيخ بدر عن
طريق حماه - مصياف كان الاصطدام الاول مع القوات الفرنسية
قد بدأ ، وأحرز فيه الشيخ ورجاله انتصارا ساحقا ، رغم قلة
عددهم ، وكثرة عدد العدو • فبقي بعض أعضاء الوفد الى جانب
الشيخ ، وعاد آخرون الى الملك فيصل يخبرونه بنشوب الثورة
في جبال العلويين ، ويطلبون منه مساعدتها ، ومد يد العون
اليها •

وبدأ الملك فيصل يمد الثورة بالمعدات والذخائر ، ويرسل
لها الضباط والرجال المحنكين ، ويبدل في سبيلها من الجهود
والعون ما يستأمله عنفها وجبروتها ، الى ان هجم الفرنسيون على
دمشق فاحتلوها ، وقوضوا دعائم العرش الفيصلي • ودخلت
جيوشهم حمص وحماه وحلب وبقية المدن السورية فتم لهم
حصار الثورة من الجهات الاربع ، ومنعوا عنها كل مد وعون
خارجي •

وبقيت الثورة متأججة مضطربة بعد خروج فيصل من دمشق
سنة ونيفا لا يزيدها الضغط الا انفجارا ، ولا يزيدها الحصار
الا اتساعا • ولا يكفكف من حماسها وغفوانها ما تلقاه من الندرة
في السلاح ، والخيانة من بعض الزعماء • وكانت تعتمد الى حد

كبير على ما تصادره من الجيش الفرنسي في المعارك الطاحنة التي كانت تدور معه ، وتدور الدائرة فيها عليه الى ان استنفدت امكانياتها وقواها ، كما سيجيء .

كيف بدأت الثورة

كان ذلك في ١٥ كانون الاول سنة ١٩١٨ حينما وجه الشيخ صالح العلي دعوة الى بعض زعماء ، ووجهاء ، ومشايخ الجبل ، للاجتماع على « الشيخ بدر » احدى نواحي قضاء طرطوس . وقد لبي الدعوة فريق كبير من ارباب الوجاهة والنفوذ نخص بالذكر منهم :

السيد احمد المحمود عدده . السيد محمد اسماعيل . الشيخ علي أحمد ميهوب . الشيخ معلا أحمد غانم . الشيخ يونس محمد رمضان . الشيخ أحمد محمد رمضان . الشيخ علي عباس . عبد الكريم الخير . اسبر زغبيني . علي زاهر . اسماعيل احسان . محي الدين عدا . وغيرهم كثيرون .

وقد تحدث اليهم الشيخ عن احتلال الفرنسيين للساحل السوري، وتمزيقهم اعلام الثورة العربية ، ودوسها بالاقدام ، وتنكيلهم باصحاب البيوت التي كانت ترفع عليها ، وعن نوايا الفرنسيين المبيتة نحو هذه البلاد . وسعيهم لفصل الساحل السوري عن الوطن الام ، وابقائه مستعمرة لهم . ثم حدثهم عن

اخلاف الحلفاء بالوعود التي قطعوها للملك حسين في مطلع الحرب
وفي غضونهما • وعن تمزيقهم البلاد العربية الى دويلات صغيرة
بعضها محتل، وبعضها شبه مستقل • وعن الاخطار الرهيبة
التي يتعرض لها العرب من جراء هذا التفريق والتمزيق • وعن
النوايا الخبيثة التي يضرها الفرنسيون للعلويين ، والتي تستهدف
ابادتهم ، ومحو شعائرهم ، وتذويبهم في بوتقة الاستعمار الرهيب •
ثم توجه اليهم بالسؤال عما اذا كانوا يتضامنون معه لاشعال
نار الثورة في وجه المستعمرين ، وضم جبل العلويين وساحله الى
الشام •

ولقي هذا الحديث اذنا صاغية من المجتمعين • وبدأوا يتناقشون
به مدة ثلاثة ايام مستمرة • وقر رأيهم جميعا على اتباع رأي الشيخ
والقيام بثورة لاهبة عنيفة ، والاتصال بفيصل بن الحسين لمساعدتهم
وبايعوا الشيخ بالقيادة ، واقسموا لذلك الايمان المغلظة • واعطوا
العهود والمواثيق على التضامن والاستماتة في سبيل الثورة الى ان
يقيض لها النجاح • ثم اتفقوا على كتمان هذا الامر حتى تتم
الاستعدادات ويتم الاتصال المباشر مع عاهل الشام •

ولكن اخبار هذا الاجتماع ومقرراته قد تسربت الى الفرنسيين •
فبادروا الى اعتقال من وقعت ايديهم عليه من رجال المؤتمر ••
وارسلوا دعوة الى الشيخ صالح العلي بصورة عادية لاتلفت
النظر •

ولكن الشيخ لم يكن بحاجة الى من ينبهه الى الخطر المحيقيق به من جراء هذه الدعوة ، وقبوله اياها • فرفض دعوة الفرنسيين للاجتماع بهم ، وشرع باتخاذ الاحتياطات •

بدء الثورة

حينما رفض الشيخ صالح العلي دعوة الضابط الفرنسي لمقابلته سارع الفرنسيون لتوجيه حملة من القدموس لاحتلال الشيخ بدر ، واعتقال الشيخ •

وكانت قد بلغت الشيخ أنباء هذه الحملة المفاجئة ولم يكن عنده حينذاك الا بضعة رجال من تابعيه المخلصين ، ونزر يسير من الذخيرة • فتصدى هو ورجاله لمقابلة الحملة في مكان تكتشفه الغابات والصخور عند قرية « النيجا » ، الواقعة غربي « وادي العيون » •

ولم يرد الشيخ ان ييادرهم بالهجوم قبل انذارهم ثلاثا بالعودة ••• ورفض الجنود الاذعان مستسلمين لطيش وغرور قائدهم • وبدأوا باطلاق النار • ودارت رحى معركة رهيبة • وكان المجاهدون في مكان حصين ، والجيش الفرنسي في أرض مكشوفة ومكان منبسط ، فوقعوا فرائس سهلة في مصائد المجاهدين ولم تدم المعركة طويلة حتى اضطر الجنود الفرنسيون للفرار بعد أن تركوا وراءهم خمسة وثلاثين قتيلًا وبعض الجرحى ، عالجهم

الشيخ ثم أطلق سراحهم بعد أن عاهدوه على عدم العودة لمحاربته مرة ثانية .

وكان لهذه المعركة دوي هائل في سائر أنحاء الجبل ، وكان الناس يتناقلون أخبارها ، وينظمون الاشعار الحماسية بها مما كان له أثر بليغ في امتداد الثورة ، وكثرة المتطوعين بها .
وغنم المجاهدون في هذه المعركة كثيرا من المعدات والذخائر ، مما ساعد على تسليح المجاهدين ، وتهيئة وسائل القتال لهم .

البدء بالتنظيم :

على أثر هذه المعركة الهائلة بدأ الشيخ بتنظيم الثورة ، وكان وفد الملك فيصل قد وصل بعد ذلك بفترة وجيزة . فاشترك أعضاؤه بأعمال التنظيم والتدريب .

وتقاطر المتطوعون للانضمام في صفوف الثوار ، وأقبلوا على التدريب العسكري بمنتهى التهاف والحماسة .

ووزع الشيخ قواده على الكتائب . وكان يطلق على قائد الكتيبة اسم « عقيد » ، كما أنه وضع للفصائل أسماء خص كل قائد لها باسم ورتبة .

وأوجد الشيخ جهازا للتموين ، ومحاسبين يحصون التبرعات ، والاعانات ، ثم يحصون النفقات ويسجلون ذلك كلهم في سجلات منظمة .

كرة الفرنسيين :

وقد هال الفرنسيين تلك الهزيمة النكراء التي منوا بها في أول معركة • فأحبوا أن يباهوا الثائرين قبل أن يكمل استعدادهم ، وتأهبهم للقتال •

وفي ٢ شباط سنة ١٩١٩ اعادوا الهجوم على الشيخ بدر ، ولكن بقوة أكبر من سابقتها ، واستعداد أشد ، وكان الشيخ من جانبه قد استعد استعدادا كافيا ، وكان عدد المجاهدين في ازدياد مستمر • كما كان للظفر في المعركة الاولى ، ومما حققه المجاهدون من نصر وغنائم أثر كبير في نفوسهم أدى الى تقوية عزائمهم ، وضاعف من بسالتهم وحماستهم •

ودارت رحى معركة عنيفة دارت من الصباح الى قرب المغيب ، ثم انجلت عن هزيمة الجيش الفرنسي بعد أن ترك في الميدان عشرين قتिला ، وثلاثة أسرى ، وعددا كبيرا من الذخيرة والمعدات •

وكان لهذا النصر الجديد أثر داخلي قوي ، وأثر خارجي أقوى • وأدرك الفرنسيون أنهم امام ثورة جدية عنيفة • وان الاستهانة بها ، والتراخي عنها سيؤديان الى أوخم النتائج ، وأسوأ العواقب • فلجأوا الى حلفائهم الانكليز يستجدون معوتهم ، ويطلبون وساطتهم •

رسالة الجنرال اللنبي :

وفي ٢٥ أيار ، ١٩١٩ ، وجه الجنرال اللنبي قائد جيوش

الحلفاء في الشرق ، كتابا الى الشيخ صالح العلي مع رسولين
بريطانيين كان يرافقهما اسماعيل الهواش الزعيم العلوي المعروف
جاء فيه :

« ان الحلفاء جاؤوا لتحرير سورية من ظلم الدولة العثمانية ،
واعطائها الحرية والاستقلال • وان موقف الشيخ صالح العلي
ورجاله من القوات الفرنسية موضع استغراب الحلفاء جميعا •
وهذا يدل على عدم تقدير المساعدات القيمة التي قدمتها الجيوش
الحليفة لتحرير سورية من الاتراك » •

وطالب الرسولان بعدم التعرض للجيش الفرنسي المربط في
« القدموس » حينما يسلك طريق « الشيخ بدر » متجها الى
طرطوس • ورفض الشيخ قبول الطلب مؤكدا أن القوات الفرنسية
تريد احتلال « الشيخ بدر » بواسطة الخديعة والمكر •

ولكن الرسولين البريطانيين تعهدا ألا تتوقف القوات الفرنسية
في موقع « الشيخ بدر » الا ساعة واحدة ، تتزود خلالها من
الماء ، وتتابع سيرها الى طرطوس • ولم يتركها وسيلة من وسائل
الاقناع الا لجأ اليها •

ورأى الشيخ ألا يغضب الفرنسيين والبريطانيين معا ، والثورة
ما تزال في مطلعها ، والاستعدادات الكافية لما تكتمل بعد ،
والمجاهدون ما يزالون بانتظار المزيد من السلاح والذخيرة •
ورأى أن انتقال الجيش من « القدموس » الى « طرطوس » يقضي

على هذا « الجيب » العسكري الخطير • ويساعد على امتداد
رقعة الثورة ، بعد أن تنظف ميمنتها ، وتخلو من القوات العدو •
لهذه الاعتبارات كلها رأى الشيخ أن يجب مطلب الجنرال
« النبي » على ألا يتوقف الجيش في « الشيخ بدر » إلا ساعة
فقط ، وعلى ألا ينصب « خيمة » ، ولا ينزل « حمولة » •

وقبل الرسولان بهذه الشروط • وتعهدا بتنفيذها •
وانسحب الشيخ ورجاله من موقع « الشيخ بدر » الى التلال
المحيطة به من الجنوب والغرب •

غدر الفرنسيين :

ما ان وصل الجيش الفرنسي الى موقع « الشيخ بدر » حتى
شرع منذ الدقائق الاولى بنصب المدافع ، واخذ الاستحكامات ،
بمنتهى السرعة • حتى كان معسكره أشبه بخلية النحل • ولم
تمض فترة وجيزة من الوقت الممنوح لهم حتى باشروا باطلاق النار
على قريتي « الشيخ بدر » و « الرستن » ، وهما معقل الشيخ ،
ومركز الثورة •

ولما فوجئ الشيخ ورجاله بهذه الخدعة الدنيئة ، والمؤامرة
الماكرة ، غلى الدم في عروقهم ، وثار الحمية في رؤوسهم ، فاقضوا
على الجيش المخادع الماكر اقضاض الصاعقة ، وقد استهانوا
بالموت ، واستخفوا بالحياة ، وشعروا أن كرامتهم ، وسمعتهم ،
ومستقبلهم في ميزان هذه المعركة • فلم يدخروا بطولة ، ولا وسيلة ،

ولا امكانيات الا وقذفوها حمما على رأس الغادرين الماكرين .
وأمرت السماء رصاصا على رؤوس الفرنسيين ، وزغاريد من
النساء على رؤوس المجاهدين .

ولم يكن الجيش الفرنسي يحسب حسابا لهذه المفاجأة
المذهلة . وروع جنوده ، واضطربت صفوفه ، وأحقت به الكارثة
من كل مكان . واستبسل المجاهدون ، واستماتوا في هجومهم
العنيف . واستمرت المعركة الرهيبة من الظهر الى منتصف الليل .
وقد قتل فيها أكثر الجنود الفرنسيين ، وفر الباقون تحت جنح
الظلام ، حيث أسر المجاهدون عددا منهم . كما استشهد عدد من
المجاهدين خنق الغصاة عليهم السرور الطافح بالنصر المؤزر ، والمجد
المؤثل .

وغنم المجاهدون كميات كبيرة من السلاح والعتاد .

اتساع الثورة واضطرامها

أثر معركة الشيخ بدر :

لقد كان لمعركة « الشيخ بدر » آثار عميقة ، وبعيدة . وكان
ربحها المعنوي والادبي ، أقوى كثيرا من الربح المادي الذي
أحرزته .

وكان لها فضل آخر ، انها نبهت الشيخ الى حيل الحرب ،
ومكر السياسة . وهو الذي عاش حياة خيرة كريمة بالصلاح

والتقوى • ولم يكن في خلقه انحراف ، أو رياء • وانما كان
ذا خلق قوييم ، وطبع كريم • وكان لا بد أن يمر بهذه التجربة
القاسية ، والثورة في مستهلها ، حتى يتخذ الحيلة ، ويقف من كل
مناورة ومؤامرة ، موقفا صامدا حذرا • والحرب خدعة ، والسياسة
تفاق والأعيب •

وتدفق المتطوعون من كل حذب وصوب ، وكثر الزاحفون
الى منطقة الثورة من أبناء الجبل حتى ضاقت بهم مراكز التدريب •
وبدأ الشيخ بتنصيب « العقدة » ، وتدريب المتطوعين ، وتوزيع
السلاح عليهم •

واتخذت الثورة شكلا نظاميا دقيقا •
ووفد بعد هذه المعركة رسل الملك فيصل من مدنيين وعسكريين ،
يحملون ، الى جانب هداياهم ومساعداتهم ، تعهدا قاطعا بمعونة
الثورة ، وارسال الامدادات لها باستمرار • وانضم بعض ضباط
الجيش العربي الى هيئة اركان الشيخ •
معركة « بيدر غنام » أو « وادي ورور » •

على أثر معركة « الشيخ بدر » أصيبت سمعة الفرنسيين
بضربة قاصمة • وعرفوا أنهم امام قوة منظمة لا يستهان بأمرها •
ونقل اليهم جواسيسهم أنباء عن تزايد عدد الثائرين ، وكثرة
مراكز التدريب • فاستقدم الفرنسيون قوات جديدة من لبنان •
وقررروا الاسراع بشن هجوم صاعق على مركز « الشيخ بدر »

لاحتلاله ، والقضاء على الثورة قبل أن يتفاقم أمرها ويتسع نطاقها .
ولم تبزغ شمس ١٥ حزيران ، ١٩١٩ ، حتى بدت طلائع
الجيش الفرنسي واضحة لأعين المجاهدين المرابطين في أعلى
الجبال .

وكانت تعليمات الشيخ تقضي بآلا تطلق رصاصة الا بعد أن
يرتفع علم الثورة ، وكان قطعة من القماش الاخضر يتوسطها
هلال ونجم .

ولما توسط الجيش الفرنسي ذلك الوادي الرهيب ، وادي
ورور ، وطلائعه وحدها قد ملأت جنباته الفسيحة ، وهي تتخايل
في مشيتها كأنها ذاهبة الى محفل ، أو راجعة من انتصار . وفي
السماء طائرتان تتلصصان ، والمجاهدون جاثمون وراء الصخور
في أعالي الجبال ، وقد أحاطوا بذلك الوادي الرهيب من كل جهة ،
ويد كل منهم على زناد بندقيته وهو يتطلع الى مكان الراية .

وفجأة رفعت الراية الخضراء فارتفعت معها اصوات التهليل
والتكبير . وكان السماء قد انشقت عن شهب من النار . وكأن
الارض قد أطلعت كل ما في جوفها من حمم تقذفها براكين صاخبة
هائجة وتساقط الرصاص من كل مكان ، وانهار على الجيش
الزاحف وكان سيلا زاخرا مندفعا قد جرف كل ما في طريقه من
بغال يقودها الرجال ، ورجال تدوسهم البغال ، واختلط الحابل
بالنابل ، وشرعت المدفعية تطلق النار على غير هدى ، والى غير

هدف ، وملأت سحب الدخان جنبات ذلك الوادي حتى أمسى
وكأنه يكتنفه الضباب •

واتنقل فريق من المجاهدين الى مؤخرة الجيش الفرنسي
يحكمون عليه الحصار • وهكذا أطبق عليه الثوار من جميع الجهات،
وأغرقوه بوابل من الرصاص المنهمر كأنه المطر الزاخر • وظلت
المعركة دائرة الرحى حتى منتصف الليل • ثم انجلت عن ثمانمائة
قتيل وجريح • وعن أسر ستة عشر جنديا ، وعن اعداد هائلة من
السلاح والذخيرة ، تكفي المجاهدين فترة طويلة • واستشهد
في هذه المعركة عدد من المجاهدين ، وجرح آخرون • وكان من بين
الشهداء المرحوم مصطفى خير بك ، وابنته الوحيدة التي كانت معه •
وكان منظر ذلك الوادي بعد أن انجلت تلك المعركة الرهيبة
عن احمرار الارض ، واسوداد الافق ، رهيبا حقا • فما كان يرى
الا أشلاء القتلى وقد اختلط بعضها ببعض ، وامتزجت دماء بعضها
ببعض •

وهناك •• في ذلك الوادي المدمى •• تأخى الانسان والحيوان •
فامتزجت دماء الرجال بدماء البغال • وتراكت الجثث فوق
بعضها تراكما مخيفا •

وكانت الذخائر الكثيرة المنتشرة هنا وهناك تتم عن عظم
المسؤولية التي كانت ملقاة على عاتق تلك الحملة الهائلة •
وكان النصر رائعا مبينا • زغردت له العذارى ، ورقص له

الرجال • وأقيمت مواكب الاعراس ، ومظاهر الزينة في سائر مناطق الثورة •

فترة هدوء :

وهدأت الحال قليلا بعد تلك المعركة الجبارة ، واندحار الفرنسيين ذلك الاندحار الهائل المريع • وبدأ الفريقان يستعدان استعدادا كبيرا ، ويهيئان للمعارك المقبلة ، ما يلزمها من وسائل وأسباب •

وخيم على مناطق الثورة هدوء أشبه ما يكون بالهدنة الطبيعية، أو بالسكون الذي يشبه العاصفة ، وقد توفر الفريقان على حشد القوى ، وتدريبها ، وتنظيمها • وعمد الشيخ الى اجراء تنسيق عام في صفوف المجاهدين • واوجد في قيادة الثورة « محاسبة » تعنى بتوزيع السلاح والذخيرة ، والمساعدات المادية لذوي الحاجة من المجاهدين واسرهم ، والاحتفاظ باحتياط كاف يدخر الى ميسس الحاجة •

ولم تخل هذه الفترة من مناوشات لا تستحق التسجيل • ومن اصطدامات فردية أو عادية لا بد من وقوعها في اماكن مختلفة على حدود منطقة الثورة • ونحن لا نغنى بذكرها ، وانما نقصر تسجيلنا على الحوادث الكبيرة التي ترتدي طابع معركة ، أو يكون لها أثر في تكييف الثورة ، أو توجيهها ، أو سيرها ومصيرها •

الهجوم على قرى الاسماعيليين

في أواسط شهر تموز ، ١٩١٩ ، زحفت قوة كبيرة فرنسية كبيرة من طرطوس ، عن طريق نهر الاسماعيلية ، واستقرت في قرية « عقر زيتي » ، والقرى القريبة منها . وكان هذا الاستقرار يشكل اضطرابا مباشرا على مسيرة الثائرين .

وهجمت القوات الفرنسية على « قلعة الخواي » معقل المجاهدين « آل عدرة » فأحرقتها . ولم تبق في بنائها حجرا ، ولا في أرجائها أثرا .

وكان أفراد الجيش الغاصب يقيمون كمائن على الطرقات يصطادون المارة من ابناء الجبل ، ينكلون بهم ، ويسومونهم أصناف العذاب ، ثم يلقون جثثهم على جوانب الطرق بعد أن يثملوا بها أفطع تمثيل . وكان الفرنسيون يرمون من وراء هذه الاعمال الوحشية الدنيئة الى القاء الرعب في نفوس الناس . ولكنها بدلا من ذلك زادت من كراهية الناس للفرنسيين ، وحشدا مكنياتهم كلها ضدهم . وكان لها صدى سيء في جميع الاوساط وأثر كبير في استمرار المقاومة والنضال الى النهاية .

واضطر المجاهدون للهجوم على القوات الفرنسية التي كانت تعسكر في قرى الاسماعيليين . ودامت المعركة أياما متواصلة لا يخمد لهيبها في ليل أو نهار . وكان من البديهي أن تقع أضرار جسيمة في القرى الأهلة بالسكان . ولم يكن للمجاهدين مندوحة

عن ذلك الهجوم ، طالما انهم والجيش الفرنسي في صراع دائم
من أجل حرية أو عبودية •

وانتهت تلك المعارك العنيفة بانسحاب الجيش الفرنسي الى
طرطوس بعد ان تكبد خسائر فادحة في الاموال والارواح •
وقد كان لتلك المعارك دوي كبير في الاوساط العسكرية
والسياسية ، بالنظر لما تكبده العدو من خسائر فادحة في الاموال
والارواح • وألقى الفرنسيون أنفسهم أمام ثورة جديّة منظمة
أحسن تنظيم • فأرغموا على طلب الصلح مع الشيخ صالح ،
كما سيجي •

الفرنسيون يطلبون الصلح

لقد أدى انكسار الفرنسيين الهائل في « وادي الاسماعيلين » و « وادي ورور » الى كارثة اليمة حطمت من كبرياء الجيش الفرنسي الذي كان في أبان نشوته بالظفر العسكري ضد المانيا • وقد كان لذلك الانكسار ابعاد الاثر في نفسية الجنود • مما اضطر القيادة لطلب الصلح • وقد اختير لهذه المهمة المرحوم احمد الحامد، الزعيم العلوي المعروف • وطلب منه التوسط مع الشيخ ، والاطلاع على شروطه للدخول في مفاوضات لانهاء الثورة •

شروط الشيخ :

وبعث المرحوم احمد الحامد يطلب من الشيخ موعدا لمقابلته في مقر قيادة الثورة • فقبل الشيخ ، وحدد الموعد • وجاء الوسيط الكريم يصحبه ابن اخيه اسماعيل الطاهر الحامد يعرض رغبة الفرنسيين بالصلح ، وانهاء الثورة • وقبل الشيخ الدخول بمفاوضات مع الفرنسيين على الاسس الآتية :

١ - الموافقة على ضم الساحل السوري الى الدولة السورية • وجلاء القوات الفرنسية عنه •

٢ - اطلاق سراح الاسرى •

٣ - دفع تعويضات الى السكان عن الاضرار التي ألحقها

الجيش الفرنسي بقراهم •

موافقة الفرنسيين :

وتقل احمد الحامد ، وابن أخيه ، مطالب الشيخ الى القيادة

الفرنسية • فوافقت عليها بصورة مبدئية • وأشعرت الشيخ
بالموافقة المبدئية على شروطه وطلبت تحديد موعد للاجتماع به ،
والتفاهم على التفاصيل التي تتفرع عن هذه الاسس •

وقبل الشيخ الاجتماع بالقائد الفرنسي على :

١ - أن يكون الاجتماع في موقع الشيخ بدر ، مركز الثورة •

٢ - ألا يصحب القائد الا ثلاثة رجال •

٣ - ان يكون الجميع عزلا من السلاح •

وبعد أخذ ورد طويلين وافق الفرنسيون أيضا على هذه

الشروط •

الفرحة تغمر النفوس :

وما ان سرت أخبار تسليم الفرنسيين بشروط الشيخ ،
وموافقتهم على الجلاء ، حتى غمرت نفوس الناس موجة من
الارتياح ونشوة الظفر • وعمت البهجة سائر أنحاء الجبل •
ورفعت الزينات ، وأقيمت المسارح ، والتف الناس حول الطبول
والزمر يرقصون ويهزجون •

وأقيمت الاعراس في كل مكان • وانتشر الناس يهنئون بعضهم
بعضا ، لا لان المقاومة قد انتهت ، والنار قد خمدت ، فحب الجهاد
كامن في تلك النفوس العربية ، منذ القديم ، يمدّها بالعزم ،
ويغذيها بالايامن • بل لان الدماء التي أريقّت في ساحة النضال
لم تذهب هدرًا ، فقد تحققت الآمال ، وأزهرت الاماني ، وسيخرج

الغاصبون المحتلون من الساحل ، الذي سيرتبط بالوطن الام •
وليس المهم طول الطريق أو قصرها ، وانما المهم الحصول على
النتيجة ، والوصول الى الهدف • ولقد تحققت الاحلام ، ووصل
المجاهدون الى هدفهم دون كبير عناء •

مؤامرة :

وبينما كان الشيخ يتهيأ للقاء القائد الفرنسي ، والمجاهدون
في غمرة الابتهاج والاطمئنان ، اذا بالاخبار ترد ان ثمة تجمعات
جديدة في وادي الاسماعيليين ، وكان المجاهدون قد أدخلوه بعد
جلاء القوات الفرنسية عنه ، وان تقل الاسلحة والمعدات مستمر
تحت جناح الظلام ، وان طلب القيادة الفرنسية الصلح ان هو الا
عملية تخدير للمجاهدين تهدف الى أخذهم على حين غرة ، وهم في
حال الشعور بالثقة والاطمئنان •

وقيل ، فيما بعد ، ان القيادة الفرنسية كانت جادة بطلب الصلح،
ولكن وزارة الدفاع في باريس رأت في ذلك امتهانا بكرامة الجيش
الفرنسي ، وتحطيماً لسمعته وكبريائه • فأصدرت أمراً الى القيادة
في الشرق بمتابعة الهجوم على مناطق الثورة ، واحتلالها بأي ثمن
كان •

وسواء كان الامر مؤامرة من القوات الفرنسية ، أو نكولاً
منها عن الاتفاق ، أو اذعاناً لاوامر الوزارة الفرنسية نفسها فقد
ثبت أن القوات الفرنسية تستعد لهجوم كبير •

احتلال قرية كاف الجاع :

وبينما كان الشيخ ورجاله يتهيأون لمقابلة الزحف الذي بدت
طلائعه القوية في وادي الاسماعيليين ، اذا بالاخبار ترددهم أن
الكتائب الفرنسية المرابطة في « القدموس » ، وكانت قد عززت
بعد معركة الشيخ بدر عن طريق بانياس ، قد زحفت على قرية
« كاف الجاع » واحتلتها دون مقاومة تذكر لأنها كانت بعيدة عن
مركز الثورة ، ولم يكن ثمة قوة كافية لحمايتها ، وهذه القرية
يسلكها الشيخ صالح ، ولهذا فانه لم يكن يعبأ بالدفاع عنها ، لأنها
خارج منطقة الثورة الرئيسية .

واعتقل الفرنسيون سكان القرية كلهم . ثم أضرموها فيها
النار ، وجعلوا بعض أجساد المعتقلين طعاما لها . وهي وحشية
لا يستغربها أحد من الفرنسيين ، ولا يستكبرها عليهم ، لان آثارها
بادية ، وستظل بادية ، في كل قطر دخلوه ، وبلد احتلوه .

وكانت الحشود في وادي الاسماعيليين جنوبي منطقة الثورة
مناورة لتغطية الهجوم على قرية كاف الجاع واحتلالها .
تمركز الجيش في القدموس خطر على الثورة :

وأدرك الشيخ أن تمركز الجيش الفرنسي في « القدموس »
يشكل خطرا على منطقة الثورة ، لانه يجعل ميسنتهامهددةومعرضة
لاشد الاخطار .

وحينئذ قرر الشيخ اعداد العدة لاحتلال « القدموس » وتطهير

مهيئة الثورة من الخطر المحدق بها • وافتاد المنطقة من محاولة تطويقها ، والاحاطة بها • وسكان القدموس من الاسماعيليين • وفيهم أمراء معروفون بعراقة محتدهم ، ونبل أصولهم •

بدء الاتصالات الرسمية بالملك فيصل

لما كانت الثورة قد اتسع نطاقها ، وازدحم ميدانها ، وبدأ الجيش الفرنسي يستعد لخوض معارك فاصلة ، كان لا بد للشيخ من طلب امدادات سريعة من الملك فيصل • فأوفد أحد مرافقيه النشيطين « أنيس ابو فرد » لمقابلة الملك فيصل في دمشق ، وتقديم تقرير عن الثورة ، وطلب ارسال المعدات والذخائر للمجاهدين • وسافر « ابو فرد » يحمل رسالة من الشيخ الى الملك فيصل الذي استقبله ، واكرم وفادته ، وأصغى الى مطالبه بدقة وعناية • رسول فيصل الى الشيخ :

وفي منتصف شهر تشرين الاول ، ١٩١٩ ، اوفد الملك فيصل ابن عمه الشريف عبد الله مصحوبا ببعض السلاح والذخيرة ، ويحمل رسالة خاصة الى الشيخ صالح • واستقبل الشريف استقبالا حافلا يليق به ، وطاف في الاماكن التي دارت فيها رحى المعارك ، واطلع على مظاهر التخريب بالقرى التي احتلها الجيش الفرنسي ، وأحرقها ، والتي هدمها بمدفعه ، وقنابل طائراته •

وكان الشريف عبد الله يدون كل ما يسمعه في سجل خاص •

كما انه كان يأخذ الرسوم لبعض الاماكن المخربة ، ولجموع
المجاهدين وهي تقوم بتمرينات عسكرية ، وتحفر الخنادق ، وتقيم
وراء الاستحكامات ♦

وعاد الشريف الى دمشق بعد ان مكث في منطقة الثورة قرابة
اسبوعين ♦

ومن ذلك الحين بدأت الاعانات والامدادات تصل الى الشيخ
باستمرار ♦ ولم يغفل فيصل حتى عن ارسال القهوة ، والسكر ،
 والملابس ، والماشية للمجاهدين ♦ وكان ذلك كله يسلم الى « دائرة
المحاسبة » حيث يوزع وينفق في الالوجه الصحيحة ♦ وكانت البرد
بين دمشق والشيخ بدر تروح وتجيء باستمرار ، وكانت سريعة
ودقيقة (١) ♦

(١) أخبرني الشيخ نفسه أن الاتصال بين دمشق والشيخ بدر كان يسر في
بعض الظروف من الاتصال بين مناطق الثورة نفسها .

امتداد رقعة الثورة

لقد بدأت المعارك تزداد حدة وعنفا ، فلم يكن يخبو لهيها هنا ، حتى يضطرم هناك ، ولا تخمد جذوتها هناك حتى تشتعل هنا . فهي أشبه ما تكون « بنقطة الزيت » التي تبدأ واحدة ، ثم توزع الى عدة نقاط . وهكذا خرجت الثورة من نطاق محدود ، في بقعة معينة ، الى مدى أرحب أمكنة ، وأوسع آفاقا . وبدأت القيادة الفرنسية ، تحشد القوى الميكانيكية ، وتأليف فرق كاملة منها . كما أنها استقدمت بعض الفرق العسكرية من أفريقيا ، والهند الصينية الفرنسية ، التي اعتاد جنودها على تسلق الجبال ، والحرب في الغابات . وفتحت باب التطوع للبنانيين . وحشدت للقتال أشرس الجنود ، وأكفأهم بالقتال ، وأقدرهم على النضال . ووزعت الجنود على المسارب والسبل ، للتحكم بها ، وتضييق الخناق على الانصار والمؤيدين . وربما وجدت كتيبة كاملة في مكان لا يحتاج الا لعدد ضئيل من الجنود . وجعلت «القدموس» نقطة ارتكاز هامة للجيش ، ونقطة انطلاق للمراقبة والتخريب والتجسس . فكان لا بد والحالة هذه من القيام بحركة واسعة تستهدف احتلال القدموس ، واقضاء العدو عن جبالها المنيعه ، والحيولة بينه وبين تنفيذ ما يرسمه اليه من خطط ، ويسعى اليه من اهداف . ولكن الشيخ قرر احتلال مدينة طرطوس أولا ، ومن ثم الهجوم على القدموس .

تشكيل محكمة للثورة ، وتنظيم ادارة محلية :

لما كانت الثورة قد اتسع نطاقها ، وتشعبت ميادينها ، وكانت بطبيعة الحال هدفا للدسائس والمؤامرات والتجسس ، فقد عمد الشيخ الى تشكيل « محكمة عسكرية » تعاقب كل من يجرؤ على خيانة الثورة ، ويتآمر على سلامتها • وشكلت لجان للقيام بتحقيقات دقيقة في كل ما له علاقة بالكيد لها ، والتجسس عليها • وجعلت أحكام « محكمة الثورة » مبرمة لا تقبل النقض ولا الاعتراض •

وقد اختير لرئاسة « المحكمة » علي زاهر ، قرية حمام واصل ، ولعضويتها محمود علي اسماعيل ، قرية الحطانية ، ومحمود ضوا ، قرية العصيبة • ثم أنيط برئيس المحكمة الاشراف الاداري على منطقة الثورة ، وحل الخلافات التي تنشب بين الاهلين • كما عهد لعضوي المحكمة ، علاوة على عضويتها ، بأعمال مالية وتفتيشية • وعين كتاب ، وجباة ، ومراقبون ، ومحاسبون •

وظلت المحكمة تتابع اعمالها بكل جد ونشاط ضمن المهام الموكولة لها الى أن اعتقل الفرنسيون رئيسها ، وأعضاءها ، ومساعدتهم ثم أعدموهم رميا بالرصاص في قرية « القمصية » ، كما سيجيء • ومثلوا بهم تمثيلا فظيحا ، بعد أن ابقوهم ثلاثة أيام معلقين على أعواد المشانق • وهي وحشية لا يستغربها من فرنسا من يعرف شيئا عن همجيتها ووحشيتها ، رغم ما تدعيه من مدنية وحضارة •

الهجوم على طرطوس :

في مطلع ربيع عام ١٩٢٠ كان الشيخ قد اكمل استعداداته العسكري وفقا لتطور الثورة ، واتساع ميدانها . وقد أصبح عدد المجاهدين يربو على الالوف .

وكانت قد وردت الانباء بأن الفرنسيين يحشدون قوى هائلة في مدينة طرطوس . فقرر مهاجمتها ليفسد خطط الفرنسيين ويبادهم بالهجوم .

وتولى قيادة جيش الثوار العقدهاء : سليم صالح ، واسبر زغيبي ، وعزيز بربر . وعقدهاء آخرون .

وعند بزوغ فجر ٢٠ شباط بدأ الهجوم على مدينة طرطوس من الشمال ، والشرق ، والجنوب حسب خطة مرسومة ، وتوجيه دقيق .

وفوجيء الجيش الفرنسي بأحكام الحصار عليه من الجهات الثلاث . ودارت المعركة حول الثكنات العسكرية نفسها . والتحم الفريقان في بعض الامكنة بالسلاح الابيض . ولم ينتصف النهار حتى كان الاسطول الفرنسي يرباط في عرض البحر المقابل لطرطوس ويقذف المدينة ، والطرق المؤدية لها ، بقنابله الرهيبة . وشرعت الزوارق بانزال فيالق من البحارة عن مينة الثوار ، وميسرتهم ، فاضطروا للتراجع بعد أن أوقعوا بالعدو اصابات بالغة ، واخذوا معهم بعض الاسلحة التي استولوا عليها من

- ♦ مستودع كبير كانوا قد احتلوه عند بدء الهجوم
- ♦ واستشهد في هذه المعركة عدد من المجاهدين
- احتلال القدموس :

في ٣ آذار ، ١٩٢٠ ، زحف الشيخ برجاله ، الذي كان يربو عددهم على الاربعة آلاف مقاتل ، على القدموس . واغتنم الشيخ فرصة الذعر التي تركها بين صفوف الفرنسيين هجومه المفاجيء على طرطوس .

وكان الفرنسيون قد حولوا القدموس الى قلعة حصينة . وهي بحكم طبيعة ارضها ، وموقعها الجغرافي ، واحاطتها بالاودية السحيقة من ثلاث جهات أشبه ما تكون بالحصن القائم على جبل ، لا تصله بالارض المنبسطة الا طريق ضيقة جدا .

وارسل الشيخ انذارا الى الجيش الفرنسي للتسليم . فرفض القائد ورفض معه الاهلون . فأحكم الشيخ الحصار على البلدة ومنع عنها الماء والكأ . واستمرت المناوشات والحصار الشديد بضعة ايام اضطرت الحامية بعدها للتسليم . واضطر الاهلون الى قبول شرط الجلاء ، والنزوح الى مصياف . وقد تم جلاء الاهلين عن البلدة دون ان يقع لهم حادث معكر ، او يحصل لاحدهم ما يسيء . وارسل الشيخ كتيبة من المجاهدين ترافقهم طوال الطريق ، وتحميهم من اعتداء الاهلين عليهم . وقد تجلت في هذا الموقف المشرف اخلاق الشيخ ، ونبيل مقصده ، وظهر مزاياه .

ولكن الذي يؤسف له ان احتلال القدموس الذي دام وقتا طويلا قد تخللته حوادث سلب ونهب من بعض المستغلين والمشاعين ، الذين لا يعرفون الواجب ، ولا يقدرّون المسؤوليات ، وما يهمهم الا ارواء جشعهم وطمعهم وعصبيتهم البغيضة •

ولما بلغ الشيخ ما جرى من اعمال السلب والنهب أمر برد المنهوبات الى اصحابها^(١) وأحال الذين دبروا تلك المواقرة على المحكمة العسكرية التي ادانتهم جميعا بالسجن ، وحكمت عليهم أحكاما قاسية •

وكان لاحتلال القدموس ضجة كبرى ، ودوي هائل • وهو فضلا عن انه قد حمى ميمنة الثورة ، وقضى على ذلك «الجيب» الخطير في قلب الجبل الثائر ، فقد كفل للمجاهدين الاشراف على بانياس ، و «قلعة المرقب» ، ومهدّ للهجوم عليهما ، كما سيجيء •

التحاق الشعلان بالثورة :

في ١٥ آذار ، ١٩٢٠ ، ارسل جلالة الملك فيصل القائد الشهير « غالب الشعلان » لمعونة الشيخ صالح العلي في قيادة الثورة • والاشترك معه بتوجيهها وتنظيمها • واتخذ « الشعلان »

(١) كان يروي الامير تامر ان الشيخ قد اعاد اليه كل ما سلب منه • وزوده بالمال اللازم • وارسله مع أسرته مخفورين الى مصيف • دون ان ينالهم اذى أو سوء من احد •

قرية « الرستن »^(١) مركزا لقيادته • وبقي الى جانب الشيخ
يعينه بحصافته وحماسه حتى انتهاء الثورة في الجنوب •

• وكانا يشتركان معا في ترتيب الخطط ، وتدير الامور
والتشاور معا في كل ما له علاقة بالثورة والتأثيرين • وكان يرأس
اركان حرب الشيخ ، ويليه مباشرة في الامر والنهي ، والقيادة
والتوجيه ، وله مقام مرموق بين اوساط المجاهدين ، والاحياء
منهم ما يزلون يذكرونه في كثير من التقدير والاطراء ، ويعجبون
ببطولته الفائقة ، ورجولته الخارقة ، وبأخلاقه الدمة ، وطباعه
السلسة •

• وكان احمد جمعة وفارس ابو كف — من حماه — رسولي
الشعلان في المخابرات الرسمية والخصوصية • ولم يتخلياعن واجبهما
في الثورة طوال المدة التي قضاها الشعلان فيها •
• وكان مصطفى الملي من ابرز الضباط المرافقين للقائد الشعلان،
وقد أبلى هذا الضابط الباسل في المعارك التي خاضها خير بلاء •
• كما ان للسيد عثمان التميمي مواقف مشهودة مخلصة •

الفوج الملي :

في ربيع عام ١٩٢٠ شكل المرحوم عزيز هارون « الفوج

(١) تقع قرية « الرستن » الى الجهة الشمالية الشرقية من الشيخ بدر •
وتبعد عنه مسافة كيلو مترين وكانت المركز الرئيسي للشيخ طوال أيام حياته ،
الا في فصل الصيف فقد كان يصطاف في قرية « كاف الجاع » •

الملي « في مدينة حماه • وقد اطلق هذا الاسم على الفوج الذي انخرط فيه مجاهدون من جميع الطوائف ، من حماه ، وحمص ، وطرطوس ، وجبلة ، وبانياس ، والحفة ، واللاذقية و و • الخ • وكان عدد افراد هذا الفوج يربو على الخمسمائة • منهم مائة وخمسون فدائيا •

وارسل الملك فيصل الضابط جميل ماميش ليقود كتيبة الفدائيين في ذلك « الفوج » وهي الكتيبة التي كان يناط بها أمر حماية الثغور ، وصيانة الطرق المؤدية الى منطقة الثورة • واقتناص المعلومات عن تحركات العدو ، وتنقل فرقة وكتائبه • واتخذ المرحوم عزيز هارون مقره الرسمي في مدينة مصياف ، قبل ان تلحق هذه بالجبل العلوي بعد سقوط الشام • واما الكتيبة الفدائية فكانت توزع هنا وهناك ، تبعا للمهام التي يعهد بها اليها من قبل قيادة الثورة •

وكان جميل ماميش يلازم الشيخ ، ويرافقه في المعارك التي يخوضها والمجاهدان احمد المحمود ومصطفى المحمود • وكان الضابط ماميش يرسل التقارير الى الملك فيصل عن الثورة ونشاطها • وكان محمود الموسى من ابرز رجال الفوج الملي • وبقي هذا الفوج الى نهاية معارك الثورة في الجنوب ، يقوم بواجباته الوطنية خير قيام ، ويؤديها احسن أداء •

معارك السوده الكبرى :

كان الفرنسيون خلال شهر آذار قد بدأوا بحشد قوى هائلة في قرية «السوده»^(١) والقرى المحيطة بها • وكانوا في نهايته قد حشدوا فرقتين كاملتين معزتين بالدبابات والمدفعية الثقيلة على بقعة من التلال المحيطة بقرية السوده تمتد الى مسافة عشرين كيلو مترا •

وادرک الشيخ واركان حربه أن الفرنسيين يبيتون نية الهجوم على معقل الثورة فقرروا ان يفسدوا عليه خطته ، وان يبدأوه بالهجوم قبل ان يداهمهم به • ورسمت خطة الهجوم • وعين العقيد سليم صالح على فرقة الميمنة ، والضابط جميل ماميش على فرقة الوسط ، وقسم الميسرة بين عدة عقداء • وكان الشيخ يشرف بنفسه على سير المعارك عن كثب ، ومعه أركان حربه وعلى رأسهم غالب الشعلان •

وكانت كتائب الشوار ترابط على التلال المواجهة للمواقع التي يحتلها الجيش الفرنسي • وبدأت بالهجوم احدى الكتائب المرابطة في قرية « بعزرائيل » الكائنة الى الجهة الشرقية من قرية « السوده » ثم تبعتها بقية الكتائب •

(١) تقع قرية السوده على بعد خمسة عشر كيلو مترا تقريبا من شرقي طرطوس .
وتبعد عن البحر بضعة كيلو مترات .

ودارت رحى معركة عنيفة ، استرخصت فيها الارواح •
 ولعبت مدفعية العدو وطائراته ، دورا رئيسيا فيها •
 وقد أبدى المجاهدون من ضروب البسالة والشجاعة ، والاستمالة
 في القتال ، ما يعجز عن وصفه اللسان والبيان • ولكن
 عددهم الكبير كان يفنقر الى تنظيم اكثر دقة وخبرة • وهي الميزة
 الاولى لجيش العدو على فلول المجاهدين • وكان العدو قد
 حشد قواته الضخمة على أسس فنية ، وقد عززتها فرقة ميكانيكية
 هائلة • ورغم الجهود التي بذلها الشيخ وأركان حربه لتنظيم
 الهجوم على أسس فنية مماثلة فقد كان من غير الممكن ان يستطيعوا
 مقابلة التنظيم الدقيق بمثله • وقد تلكأت ميسرة جبهة الثوار
 عن تنفيذ الخطة المرسومة لها مما أدى الى ضعف الجبهة كلها ،
 والى تقدم الفرنسيين من تلك الناحية يعاونهم في ذلك الاسماعيليون
 الذين كان يحتشد متطوعوهم في ميمنة الجيش الفرنسي • وكان
 الفرنسيون يهدفون الى حركة التفاف واسعة معتمدين على
 ميسرة الجيش الفرنسي التي كانت تتألف من الكتيبة التي كان
 يقودها « علي بدور - من قضاء الحفة !!! » ، وكتيبة من المغاربة
 تعضدها مدفعية قوية ، وكتيبة مصفحات • واضطرت ميسرة الثوار
 للانكفاء الامر الذي أدى الى تقدم الفرنسيين من تلك الجهة ،
 واحتلال المرتفعات التي كانت تحتلها قوى الثائرين • وازداد
 الضغط على ميمنة الثوار فاضطروا للتراجع • وظل « الوسط »
 بمثابة تنوء طويل بين جيوش الاعداء • فأمره الشيخ وأركان حربه

بالتراجع خشية من تطويقه بعد ان كان محاطا بجيوش العدو
من ثلاث جهات •

وهكذا انتهت تلك الحملة التي كان يأمل الشيخ من ورائها
طرد الفرنسيين من الجبل والحقاق بهم الى الساحل •
ولكن تلكؤ « الميسرة » المشبوه وشدة ضغط العدو
قد أثر كثيرا في نتيجة هذه المعركة فعكسا حالها ، وبدلا مآلها •
ولكن هذه المعركة لم تخل ، رغم الخسائر الفادحة التي مني بها
المجاهدون ، من بعض الفوائد لهم • اذ انهم استطاعوا بهجومهم
المفاجيء ان يفسدوا على الفرنسيين خططهم ، وان يضيعوا من
حدة الهجوم الذي كانوا يتهيأون له ، ويقللوا من أثره وخطره •
وقد استبسل العقيدان جميل ماميش وسليم صالح استبسالا
عظيما ، في هذه المعركة الكبرى • وأظهرا من ضروب الشجاعة
ما يوجب تسجيل الثناء لهما •

وبعد انتهاء المعركة عمد الفرنسيون الى احراق قرية
« زميرين » (١) •

هجوم الفرنسيين المعاكس :

اغتنم الفرنسيون فرصة النجاح الذي أحرزوه بفشل هجوم

(١) ما يزال السيد مصطفى عدده يحتفظ في فناء بيته ببعض شظايا قنابل
الاسطول الفرنسي ، ومدفعية الجيش الثقيلة ، بمثابة شاهد عدل على وحشية
الفرنسيين وهمجيتهم •

الثوار ، واحباط خطتهم ، فبادروا الى القيام بهجوم صاعق على معاقل الثوار .

وفي صباح ٣ نيسان ١٩٢٠ بدأت طلائع الفرنسيين تتدفق من أعالي الجبال ، وتصعد من سحيق الاودية تتقدمها الدبابات ، وتخفرها الطائرات ، بعد ان مهدت لها المدفعية فترة طويلة . وكان الشيخ واركان حربه قد حسبوا حسابا لهذا الهجوم ، واستعدوا له . فأبقوا المجاهدين في أماكنهم الحصينة . بعد فشل هجومهم على « السوده » وعززوا قواهم بكتائب جديدة من المتطوعين بالثورة . كما انهم أجروا تعديلا وتبديلا في قيادة الكتائب ، والمواقع التي تحتلها .

وكان للفشل الذي مني به المجاهدون أثر عميق في نفوس المجاهدين حفزهم للاخذ بالثأر من العدو الذي نكل بأسراهم أبشع تنكيل ، ومثل بقتلاهم أفطع تمثيل .

ولم يبرح الثائرون أمكنتهم رغم القنابل الهائلة التي كانت تنهال عليهم من كل حذب وصوب حتى اقترب العدو من أماكن استحكاماتهم وهو مطمئن الى ان المجاهدين قد جلوا عنها . وهنا انهال عليه الرصاص والقنابل اليدوية من كل جانب . ودارت رحى معركة عنيفة طاحنة ، استعمل فيها الفريقان أقصى ما يمكن ان يستعمله محارب من ضروب العنف والشدة والضاورة . وكانت هذه المعركة أشبه ما تكون بحرب نظامية من حيث الكر والفر ، والدفاع والهجوم ، والشدة والعنف .

واستبسل فيها المجاهدون استبسالاً عظيماً • فكانوا يهجمون على مراكز الجيش بجراً غريبة ، وشجاعة نادرة ، حيرت عقول الاعداء وادهشتهم • وقد تمكن الفرنسيون في هجومهم من احتلال قرى : « راس الكتان » و « شهر مطر » و « العنازة » و « العجمة » و « الحنفية » و « الشيخ علي طرزو » وغيرها من القرى التي ينتظم ابناؤها في صفوف المجاهدين • وقد هدمت مدفعية العدو هذه القرى ، وبعد ان دخلتها قواته أحرقتها كلها حتى أصبحت كتلاً ملتهبة من رماد •

وكان لهذه الوحشية رد فعل عنيف في صفوف المجاهدين • فهجموا على الاعداء هجوما مستميتا ، وتدقت جحافلهم من جميع الجهات • وتوغل الفدائيون بين صفوف العدو حتى تمكنوا بعد جهود جبارة ، وبسالة نادرة من انتزاع هذه القرى وارجاع الجيش الفرنسي الى الشكنات التي انطلق منها •

وقد دامت هذه المعركة خمسة وثلاثين يوما سقط خلالها قتلى وجرحى كثيرون من الطرفين • وغنم المجاهدون كميات كبيرة من السلاح والذخيرة حينما اضطر الجيش الفرنسي للتقهقر والعودة الى قواعده •

وهكذا فشل هجوم الفرنسيين المعاكس ، كما فشل من قبله هجوم المجاهدين •

ولكن • • بينما كانت معارك « السود » محتدمة زحفت

كتائب فرنسية من الجهة الجنوبية الشرقية جهة صافيتا الى جبلي « بستان » و « ريشة » الكائنين في مؤخرة الثائرين حيث احتلتها دون عناء • واستطاعت أن تفتك ببعض جنود المؤخرة من المجاهدين •

ولما علم المجاهدون بذلك استشاطوا غيظا ، فارتد بعضهم الى الوراء لاجراج الجيش الفرنسي من الجبلين المذكورين تقاديا من وقوع الثائرين بين نارين • ولكن مناعة الجبلين حالت دون وصول الثائرين الى أهدافهم • فبقيت كتيبة العدو مجمدة في مكانها حتى انتهاء معارك « السوده » ، حيث انسحبت تحت جنح الظلام بعد ان فشلت خطتها بتطويق الثائرين • وتكبدت خسائر فادحة ، ولكنها مع ذلك استطاعت ان توقع بعض الضحايا بالمجاهدين • وفي ٢٥ ايار عادت بعض كتائب الفرنسيين الى الهجوم ، واستطاعت احتلال قرية « كوكب » الكائنة على بعد عشرة كيلو مترات من « السوده » ، واحرقها • فكّر عليهم المجاهدون وخرجوهم منها • ثم هجموا على « قلعة الخواجي » ، معقل « آل عدرة » ، فاسترجعوها من الفرنسيين وهي اطلال • واستولوا على الذخيرة التي كانت نقلت حديثا الى الكتيبة التي تعسكر بالقرب منها •

وفي ٤ حزيران تقدمت بعض الفصائل الفرنسية عن طريق نهر الاسماعيلية فتصدى لها المجاهدون وارغموها على التراجع ، ولم تقع في هاتين الحادثتين ضحايا تذكر •

اجتماع الشيخ ويوسف العظمة :

على اثر الاحتدام المتواصل ، والمعارك المستمرة ، وجه المرحوم يوسف العظمة وزير الحرية السورية ، دعوة الى الشيخ صالح العلي للاجتماع به . ولما كان استمرار المعارك وتطورها لا يسمح للشيخ بالابتعاد عن منطقة الثورة فقد اختيرت قرية « السويدية » الكائنة بالقرب من مصياف مكانا للاجتماع .

وذهب مع الشيخ اركان حربه ، كما جاء مع يوسف العظمة بعض ضباط الجيش السوري .

وفي تلك القرية الهادئة اجتمع الرجلان الكبيران ، وكلاهما يمثل رجولة القائد ، وبطولة المجاهد . وتعاقبا . وشعر كل منهما انه ينطق بلغة الآخر ، ويتحدث بلسانه ، ويعيش بقلبه . ودرسا أمر الثورة وحاجياتها ، وما تتطلبه لاستمرارها ، وتنفيذ غايتها .

ولما كانت الثورة انما اشعلت لصالح الامة ، وعليها يتوقف مستقبل هذا الجزء من البلاد ، محافظة اللاذقية ، وربما يتوقف عليها مستقبل البلاد كلها ، فقد قرأ الرأي على امدادها بكل ما تحتاجه من سلاح ومعدات ، وعلى مضاعفة الجهود لتوسيع رقعتها ، وتحقيق الاهداف القومية بسرعة .

وتعاهد الوزير والشيخ على النضال حتى النهاية .

وعاد كل منهما الى مقره ونفسه مشبعة بحب الآخر وتقديره . واستشهد يوسف العظمة بعد ذلك في معركة « ميسلون » .

وكان لاستشهاده أثر بليغ في نفس الشيخ لا يذكره مرة او يذكر امامه في مجلس حتى يسبق الدمع لسانه ، وترسم الكتابة ، ومرارة الالم على محياه •

كانت لقياء واحدة • وربما كانت اللقيا الواحدة أعمق أثرا في النفس من لقاءات متعددة ، واجتماعات متواصلة • فليس المهم كثرة الاجتماعات ، وانما المهم عمق الاثر الذي يتركه أحدها في النفس ، ويخلفه في الذكريات •

رحم الله يوسف العظمة • لقد كان في حياته رمز البطولة والجهاد ، وصار بعد وفاته رمز التضحية والاستشهاد •

ورحم معه أمير الشعراء ، شوقي اذ يقول :
أنت كالحق ألّف الناس يقظا ن وزاد ائتلافهم وهو نائم
حبذا موقف غلبت عليه لم يقفه للعرب قبلك خادم

الفرنسيون يتوسطون للصلح :

في ١٢ حزيران ، ١٩٢٠ ، طلب الفرنسيون الصلح ، وتوسطوا لذلك كلا من السادة : الشيخ محمد عبد الرحمن - شيخ العلويين كافة بدون استثناء - والشيخ محمد رمضان ، والشيخ توفيق أفندي أيونس ، وأيس أفندي العمر ، ونجله محمد أفندي الانيس • وتعهد الفرنسيون بقبول وتنفيذ مطالب الشيخ المعقولة - على حد قولهم ! - بدون قيد أو شرط •

وجاء الشيخ محمد عبد الرحمن وصحبه الكرام تحدوهم رغبة

صادقة وبريئة في انهاء تلك المجازر الدموية الهائلة ، بعد اىصال
الامة الى حقوقها القومية كاملة غير منقوصة • وعرضوا عرض
الفرنسيين •

ولكن الشيخ وقد خبر لؤم الفرنسيين وغدرهم رفض عرض
المصالحة ، وأخبر الوسطاء الكرام أن الفرنسيين غير جادين بهذا
العرض ، وانما هي مكيدة جديدة يرمي الفرنسيون من ورائها الى
التحذير ، وتغطية عمل مفاجيء •

وقد حفز العرض الفرنسي الجديد الشيخ وأركان حربه لاختد
الحيطة والحذر ، والتأهب اللازم لكل حركة مفاجئة •
وأطال الوفد مكوثه عند الشيخ وهو يحاول اقناعه بالدخول
في مفاوضة مع الفرنسيين تحفظ للبلاد سيادتها ، وللمجاهدين
كرامتهم • وأصر الشيخ على أن طلب الفرنسيين ان هو الا خدعة
ومؤامرة ، وانهم يبيتون أمرا ما ، وعدوانا جديدا ستظهر نتائج
قريبا •

وفي الوقت الذي كان يحاول فيه الوسطاء الكرام اقناع
الشيخ بالدخول في بحث حول ايقاف المعارك ، والتفاوض من أجل
الصلح ، اذا بالانباء تتوارد عن هجوم الفرنسيين عن طريق قرية
« كوكب » فغضب الشيخ محمد عبد الرحمن لهذه الخيانة
المقصودة ، والمؤامرة المدبرة ، وهم يرون السنة اللهب تدلع
من قرية « كوكب » التي عاد الفرنسيون يحرقونها مرة اخرى بعد

ان رممها سكانها وعادوا لسكنائها •
وتسكن الثائرون من صد المهاجمين ، وعرفوا بعدئذ ان
هجومهم ما كان الا لجس النبض قبل البدء بهجوم كبير •
وتوفي الشيخ محمد عبد الرحمن على أثر ذلك • وقد كان
لتلك الرحلة الشاقة أثر كبير في تردي صحته ، والاسراع بنهايته
يرحمه الله •

احتلال قلعة المرقب :

بعد هذه الانكسارات المتوالية حول الفرنسيون انظارهم
من الجبل الى الساحل • وبدأوا يتهيأون للهجوم على الجبل من جبهة
واسعة تمتد من بانياس حتى طرطوس • يحشدون فيها كل القوى
المجتمدة لمقاومة الثورة •

وكانت الاعين التي يرسلها الشيخ للمراقبة هنا وهناك ساهرة
يقظة • وجاءت تنبىء الشيخ بأن تجمعات هائلة على الساحل
بين بانياس وطرطوس • وادرك الشيخ واركان حربه غاية الفرنسيين
من هذه الحشود • فأرسلوا قوة كبيرة احتلت « قلعة المرقب »
الكائنة قرب الشاطئ الجنوبي بانياس • وهي تقع على هضاب
مرتفعة تجعل الطريق الساحلي تحت سيطرتها التامة •

وكان الهجوم عليها واحتلالها مفاجأة أذهلت الفرنسيين الذين
لم يكونوا يتوقعون ان يقدم الثائرون على هذا فلم يتركوا في
« القلعة » المنيعة الا حامية صغيرة لم تلبث أن استسلمت تجاه

بسالة الثوار وشجاعتهم ، ورهبة المفاجأة الغربية •
وظلت « قلعة المرقب » في أيدي الثائرين حتى نهاية الثورة •
وربما كانت آخر موقع يجلو عنه المجاهدون •
وكان لاحتلال هذه « القلعة » التاريخية ذات الموقع
الاستراتيجي الهام أثر في تكييف الثورة واتجاهها الى حد بعيد •
اذ انه قطع الاتصال المباشر بين الجيش الفرنسي المربط في اللاذقية
وطرطوس •

هجوم القائد بولنجي :

ادرك الفرنسيون بعد تلك المعارك الهائلة انهم أمام قوة
جبارة رهيبة • وان الاستخفاف بهذه الثورة اول الامر قد جرهم
الى هذه الخسائر الفادحة في الاموال والارواح ، وأدى بهم الى
ان تنكب سمعتهم ، وتسخر الصحف الاجنبية منهم ، وتحدث
عن عجزهم عن اخماد ثورة محدودة « كذا » • وقد عينت وزارة
الحريية الفرنسية القائد « بولونجي » قائدا لقوات الجيش
الفرنسي في محافظة اللاذقية • واطلقت يده باتخاذ كل الوسائل
والاجراءات الكفيلة بقمع الثورة واخضاع الثائرين ، مهما كان
الشن ، ومهما بلغت الخسائر • ووضعت تحت تصرفه كل القوى
الفرنسية في الساحل السوري واللبناني •

واستعد القائد الجديد لهذا الهجوم استعدادا كبيرا • وحشد
في هذه الحملة ما ينوف عن الثلاثين الفا من الجنود ، تعززهم

فرقة من المصفحات ، واسراب من الطائرات •
وبدأ الهجوم بين قرיתי « خربة الريح » ، و « نهر الصوراني »
ثم اتسعت رقعته حتى اصبحت تشمل جبهة واسعة طولها أكثر
من ثلاثين كيلو مترا •

ولما كانت هذه الحملة مزودة بقوى ميكانيكية هائلة ،
ومنسقة خير تنسيق حيث كان العدو قد استعداد لها استعدادا كبيرا
من قبل ، فقد اضطر المجاهدون الى الانكفاء امامها بانتظام •
وتركوا وراءهم كتائب تشاغل الاعداء ، وتعوق سيرهم ، وتجعل
تقدمهم بطيئا • وانسحبت افواج المجاهدين الرئيسية بقيادة
الشيخ نفسه ، وتمررت حول الجبال المنيعه التي تحيط بقرية
« وادي العيون » • وهناك اتخذوا استحكاماتهم ، وتهيأوا
لاستقبال الحملة الهائلة بعد ان فسخ لها المجال للتقدم الوئيد •
واستفزت الحمية والغيرة نفوس المواطنين فشرعت مواكبهم تنهال
على قيادة الثورة للانخراط فيها ، والتأهب للقتال • وقد جاءت
نجدة كبيرة من قرى : « عين الشمس » ، و « عين الذهب » ،
و « بجنه » ، و « المعمورة » ، و « بستان الصبوح » وغيرها •
واستمرت الحملة الهائلة في تقدمها ، وهي تحرق كل ماتراه
في طريقها من وسائل العمران ، ولا تبقي أثرا للحياة • وقد احرقت
بيوت الشيخ مرة ثانية • وكانت كلما احرقت بيوته يعيد المجاهدون
بناءها بسرعة ، لانها كانت مركز قيادة الثورة ، ومستودع
مؤوتهم وسلاحهم •

وقد استخف الزهو هذه الحملة الكبرى — قادتها وجنودها — وهم يتبعون الثائرون المنكفين • وخيل اليهم ان الثورة قد انتهت بعد ان استبيح معقلها ، واحتلت مراكز قيادتها ، وتفرق المجاهدون هنا وهناك • الامر الذي أدى بالجيش الفرنسي الى الاطمئنان الكلي ، والى الاستهانة وعدم الحيطة والحذر • وكان لا بد لهم من أن يلجوا أودية سحيقة ، عميقة الغور ، وهم في زحفهم المتواصل الى الامام •

وبالقرب من « وادي العيون » ، القرية الكبيرة التي تقع على بعد عشرة كيلو مترات شرقي الشيخ بدر ، والتي تشرف من هضابها المرتفعة على واديهما السحيق الفتان ، بدأت أهم مجزرة عرفتها تلك الثورة الضروس حتى ذلك التاريخ • اذ كان المجاهدون يرابطون على تلك التلال المرتفعة ، حيث لا ينم عليهم أي أثر • وتركوا الفرنسيين يتقدمون حتى توسطوا تلك الاودية ، وهم آمنون مطمئنون الى ان المجاهدين قد فروا الى الشمال •

وحينما شرع الجنود الفرنسيون بنصب مخيماتهم انهار عليهم الرصاص كالطر الزاخر من جميع الجهات • وكانت مفاجأة ذعر لها الفرنسيون وصعقوا • ولم يكن لهم منفذ الا العودة من الطريق التي جاؤوا منها • واختلط حابلهم بنابلهم وانطلقت الرواحل ، وتبعثر الجنود ، كل ذلك والمجاهدون يوالون اطلاق النار ، من أعالي الجبال المحيطة بذلك الوادي السحيق ، الذي يبلغ طوله

بضعة كيلو مترات • وتكدست الجثث فوق بعضها • والذين استطاعوا النجاة من ذلك الوادي وجدوا المجاهدين قد سدوا عليهم الطريق غربي قرية « النيجا » فاتجهوا الى الشمال وهدفهم ناحية القدموس ، ولكن الحامية في تلك الجهات استقبلتهم بنيرانها ، فحولوا اتجاههم الى الغرب ناحية قرية « القمصية » ، والثوار يلاحقونهم وهم يهبطون من جبل ، ويصعدون الى آخر • وبعد ان اجتازت بقايا الحملة نهر « الملتقى » استطاعت العودة الى الساحل عن طريق « القمصية » بعد ان تكبدت خسائر لا حصر لها ولا عد • واسقط المجاهدون طائرتين في هذه المعركة التي تعتبر أعنف معارك الثورة ، وأوفرها خسائر •

واستطاع المجاهدون ان يأخذوا مئات الاسرى حين تفككت وحدة الجيش الفرنسي ، وانقسمت قواته الى مفارز كانت كل واحدة منها تسلك السبيل الذي تتمكن من سلوكه ، وتقاتل لوحدها الامر الذي أدى الى اقتناص كثيرين من الجنود بينهم بضعة ضباط ، واخذهم جميعا اسرى •

واستشهد في هذه المعركة الجبارة عدد من المجاهدين ، وعلى رأسهم المرحوم عزيز البربر بعد ان استولى على ثلاثة متراليوزات ، واردى الجنود الفرنسيين الذين كانوا حولها قتلى •

وكان الشهيد عزيز البربر من اشجع رجال الثورة ، ومن أعظم أبطالها • وكان من اكثر المجاهدين بسالة ، واشدهم اقداما • ولم

يخل استشهاده من مؤامرة دنيئة مدبرة وقد شيع الشيخ جنازته بنفسه ، وصلى عليه • وحزن الناس كثيرا على ذلك البطل الشهيد ، وما يزالون يتحدثون عن بطولته ورجولته الى الآن •
يرحمه الله •

وقد أدت هذه المعركة الضخمة ، وفشل الجيش الفرنسي فيها الى عزل القائد « بولونجي » الذي اقصى عن الجيش ، ووردت الانباء بعدئذ انه احيل الى المحكمة العسكرية •

الفرنسيون يتوسطون الانكليز :

بعد الاندحار المشين الذي مني به القائد « بولونجي » ، والذي أدى الى اقصائه عن منصبه في الجيش ، واحالته الى المحاكمة وعلى أثر الخسائر الفادحة التي تكبدها العدو في تلك المعركة الهائلة طلبت الحكومة الفرنسية توسط الانكليز لانهاء الثورة ، وايجاد صلح يكفل لقواتهم الامن والاستقرار •

وعلى أثر ذلك وجه الجنرال اللبي كتابا خاصا الى الشيخ صالح يطلب منه الاجتماع بمندوبيه في طرطوس • فرفض الشيخ هذا الطلب ، ووافق على الاجتماع بهم في « الشيخ بدر » مركز قيادة الثورة ، ومעقل المجاهدين •

وجاء جنرال انكليزي ، وجنرال فرنسي ، ومعهما بعض الضباط من الطرفين وبعض الاسرى من المجاهدين الذين كان الشيخ قد أصر على حضورهم هذا الاجتماع ، واشترآكهم بالمفاوضات •

موقف الزعماء الموالين لفرنسة :

وحرص الفرنسيون على ان يحضر الاجتماع « الزعماء » المعروفون بمولاتهم لها ، وتأيدهم لسياستها ، ووقوفهم من الثورة موقف التشييط والعداء ♦♦ ورأى الشيخ في هذا الطلب بادرة سيئة ، وقصدا مغرضا يراد به الهيمنة على المجاهدين ، والضغط على ارادة المفاوضين ♦

وبعد جدال طويل ، وأخذ ورد ، قبل الشيخ باقتراح انكليزي ان يشهد اولئك « الزعماء » جلسة الاتفاق ، على الا يسمح لهم بالاعتراض ، او الاشتراك بالمناقشة ، او ابداء رأي من الآراء ♦ ويكون حضورهم بمثابة مستمعين ، لا أكثر ♦

وحضر اولئك « الزعماء » ، واجتمعوا فيما بينهم وعقدوا « مؤتمرا » خاصا سريا ، اتفقوا فيه على ان يتصل كل رئيس عشيرة منهم بابناء عشيرته المنخرطين في صفوف الثورة ، ويقتنعهم بالانسحاب منها والعودة الى قريته ، وتسليم سلاحه للفرنسيين برهانا على ولائه ، او ولاء اسياده لهم ، وانسحابه نهائيا من صفوف الثوار !!! ♦

ثم رأى أولئك « الزعماء » ان يبلغوا قرارهم هذا الى المجاهدين جميعا على مسمع من هيئة المفاوضات ♦ وكلفوا احدهم بتنفيذ هذا القرار ♦ وبينما كان المكان يغص بالوف المجاهدين ، والشيخ مجتمع بالضباط الانكليز والفرنسيين وقف أحد أولئك

« الزعماء » رسل فرنسة يخطب بجموع المجاهدين ، مهاجماً الشيخ ، ومنددا بأعماله ، ومعلناً مقاومته ومقاومة رفاقه للثورة ، وبراءتهم من كل من يبقى منخرطاً فيها ، وعاملاً تحت راية الشيخ ، وطلب في النهاية من كل أبناء عشيرة أن ينتحوا جانباً للاجتماع برئيس عشيرتهم ، واخذ التوجيهات مباشرة منه .

وبلغ الشيخ فوراً نبأ هذه الخطبة التي فضحت مؤامرة فرنسة وخيانة أولئك « الزعماء » الموالين لها . فاستشاط غيظاً . وانسحب من مكان الاجتماع ، والخطيب ما يزال ينادي بأعلى صوته اتباعه ، واتباع رفاقه ، وأمر الشيخ أن ينادى بالمجاهدين أن يلحقوا به الى قرية « الرستن » وأرسل من ينذر أولئك « الزعماء » بوجوب مغادرتهم منطقة الثورة ، خلال ساعة واحدة ، والا اضطر أن يقضي عليهم جميعاً .

ولما غادر الشيخ المكان تبعه المجاهدون ، كل المجاهدين دون استثناء ، واصوات رصاصهم يلعلع في الفضاء ، ويشق عنان السماء .

وتطلع الفرنسيون والانكليزيون ويسرة فلم يجدوا الا أولئك الذين شرى الاجنبي ضمايرهم ، وجاء بهم ليعملوا على تصديع جبهة الثورة ، وهدم كيائها وبنائها .

وعاد « الزعماء » فوراً الى خيولهم يستطونها ويولون على ظهورها الادبار . وقد ادركوا ان السيطرة التي لا تستمد قوتها من

الايان بالوطنية والعمل لمصلحة الشعب قريبة الزوال والانهيـار •
المفاوضون في مركز القيادة :

وارسل الجنرال الانكليزي بعض ضباطه يطلبون من الشيخ
العودة الى مكان الاجتماع لمتابعة البحث والمفاوضة • فرفض
الشيخ ذلك رفضا باتا ، وطلب القائد الانكليزي ان يسمح له
الشيخ بزيارته في بيته ، فقبل الشيخ على ألا يصحب الضابط
البريطاني احد من الضباط الفرنسيين •

واستقبل الشيخ الجنرال الانكليزي في بيته بالرستن وألح
الجنرال على ضرورة استئناف المفاوضات • ووعد بأن الحكومة
الانكليزية ستعمل كل ما بوسعها لاجابة مطالب الشيخ ، وتحقيق
آماله ، وآمال المجاهدين ، بالوحدة والاستقلال •

وقبل الشيخ العودة الى المفاوضات على هذا الاساس :

١ - اطلاق سراح جميع الاسرى ، واعادة المجاهدين الذين نقتهم
القوات الفرنسية الى بعض الجزر النائية •

٢ - اعادة جميع المنهوبات الى اصحابها •

٣ - تسليم الضباط والجنود الفرنسيين الذين ارتكبوا أعمالا

منكرة مخالفة للقانون الدولي لتحاكمهم محكمة الثورة •

وقتل الجنرال الانكليزي عائدا وفي حقيقته هذه الشروط

الثلاثة • وفي اليوم الثاني وصل الى الشيخ كتاب من القائد

الانكليزي يعلن موافقة القائد الفرنسي على الشرطين الاولين ،

ورفضه للشرط الثالث • ويعلن القائد البريطاني في كتابه ان الجانب الفرنسي قد تعهد بمحاكمة هؤلاء الضباط والجنود الفرنسيين أمام المحاكم العسكرية الفرنسية ، ومعاقبتهم اذا ثبت سوء تصرفهم ، ومخالفتهم للاصول المعروفة في الثورات والحروب باقترافهم جرائم منكرة ضد الاهلين العزل الآمنين والاسرى • واستؤنفت المفاوضات • وكان الشيخ على اتصال وثيق بممثلي الملك فيصل في قيادة الثورة ، وعلى تفاهم تام حول جميع النقاط التي كانت مدار البحث •

ووافق الفرنسيون على الجلاء عن الجبل كله ، والموافقة على ضمه الى حكومة الشام • على ان تبقى القوات الفرنسية في الساحل • ويحدد مدى سيطرتها في شرقي المدن المحاذية للجبل بعشرة كيلو مترات على امتداد طول الساحل من النهر الكبير جنوبا ، الى الحدود التركية شمالا •

ورفض الشيخ هذا العرض ، واصر على الجلاء الكامل عن الساحل والجبل • واحتدم النقاش بضعة أيام حول هذه النقطة دون جدوى ، وبقي كل فريق متشبثا برأيه ، متمسكا به • وتقدم الانكليز باقتراح اعتبروه بمثابة حل وسط ، وهو ان يتبع الساحل الادارة المدنية للحكومة الفيصلية ، ويسمح للقوات الفرنسية بالتمركز في الاماكن التي تراها مناسبة لتأمين اتصالها بقواتها في تركيا ولبنان •

ورفض الشيخ هذا العرض الجديد من الجانب البريطاني ،
واعلن انتهاء المفاوضات •

وبعد يومين من اعلانه هذا جاءه كتاب من الجنرال الانكليزي
بقبول مبدأ الجلاء عن الساحل السوري ، والموافقة على ضمه
الى الشام •

وعاد الشيخ للتفاوض على هذا الاساس ، حيث تم الاتفاق
على الشروط الآتية :

١ - الموافقة على ضم الساحل السوري والجبل العلوي الى
دمشق •

٢ - ان تجلو القوات الفرنسية خلال ستة اشهر •

٣ - يسمح للقوافل الفرنسية بالمرور في الساحل السوري لنقل
المؤن الى القوات الفرنسية في كيليكيا ، على ألا تكون
مخفورة بجنود فرنسيين ولا يسمح لها بالتوقف في الاراضي
الساحلية الا الوقت الذي تتطلبه الراحة لا أكثر •

٤ - اطلاق سراح جميع الاسرى من الطرفين •

٥ - دفع تعويضات عن الاضرار التي ألحقها الجيش الفرنسي في
القرى التي أحرقها ، وهدمها • وتشكيل لجان لتقدير هذه
الاضرار من الطرفين •

٦ - يسمح للبعثات الفرنسية الثقافية بمزاولة نشاطها الثقافي
البحث تحت اشراف السلطات الوطنية •

٧ - تعلن الهدنة فوراً • ويتوقف الفريقان عن إطلاق النار كلياً •
ووافق القائد بصورة مبدئية ، على هذه الشروط • وتم
الاتفاق على تبادل وثائق الاتفاق متى تمت موافقة القيادة الفرنسية
عليها على ان ينفذ البند السابع المتعلق باعلان الهدنة فوراً •
اعلان الهدنة :

واعلنت الهدنة • وكان لاعلانها ضجة فرح في سائر انحاء
الجبل ، لما تحمله من بشائر الفوز ، والظفر بالاماني القومية
المرجوة • وتفرقوا هائثين مغتبطين • واقامت معالم الزينة في كل
مكان • واجتمع الناس زرافات ووحدانا ، يرقصون ويهزجون ،
ويهنئ بعضهم بعضاً • والعلم السوري يخفق على رؤوس
الروابي ، وعلى بيوت المجاهدين • ويرفرف مزهوا في سماء الجبل
العلوي كله •

وعكف المجاهدون على بيوتهم يرقمونها ، وجراحاتهم يضمدونها ،
وأحوالهم يصلحونها ، واعمالهم ينظمونها ، وهم في مأمن من جور
الليالي وتقلبات الايام •

وكان الشيخ في عرينه يستقبل وفود المهنيين • يهرعون اليه
من كل حذب وصوب ، تحذوهم رغبة ملحة في رؤية شيخهم ،
والتبرك بطلعته الميمونة المهيبة •

وسافر الى دمشق مبعوثو فيصل ، ومعهم رسول من لندن
الشيخ ، يزفون اليه البشرى ، ويطلعونه على نتائج المفاوضات •
ويحملون اليه صورة عن الاتفاقية التي عقدت مع الفرنسيين •

واستقبل الملك فيصل هذا الخبر بالرضى والغبطة • وحمد
الله على تحقيق الامل المنشود بفضل السيوف العربية ، والدماء
الزكية التي اريقت من المجاهدين في الجبل الاشم •
وغمرت دمشق والمدن السورية موجة من الفرح والسرور •

تقدير الاضرار :

وطافت على أثر اعلان الهدنة لجان من المجاهدين ، والانكليز،
والفرنسيين ، في الاماكن التي أصيبت باضرار جسيمة من القوى
الفرنسية الغاشمة • وكانت هذه اللجان تصطحب معها الخبراء في
كل قرية كبيرة أو صغيرة • وتحتفظ بوسائلها الخاصة ، بالوثائق
التي تثبت الاضرار ، وتقدرها في سائر مناطق الثورة •
وقد حرصت هذه اللجنة على ألا تترك شاردة ولا واردة الا
وتحصيلها ، وألا تبخس أحدا من القرويين المتضررين حقه • وان
تعوضهم عما لحق بهم من اضرار •
وقد هال اللجنة ما رآته من آثار التهديم والتخريب الذي
كانت تبدو آثاره جليلة واضحة لا تقبل الشك ، ولا الجدل •
وهالهم آثار الفقر الذي خيّم على أهالي تلك القرى الذين كانت
بيوتهم مخربة ، واشجارهم مقطعة ، وقد حلّ في أرضهم الخراب
والدمار ، وقد فقدوا مؤوتهم ، وماشيئهم ، وأثاث بيوتهم كله •
وارتفعت الارقام شيئا فشيئا حتى بلغت الملايين ، مما جعل
الاعضاء الفرنسيين في اللجنة يضطربون ، ويظهرون استياءهم ،

وعدم موافقتهم على دفع هذه المبالغ الطائلة • ولكن الاعضاء الانكليز ، كانوا يتعهدون بحمل الجانب الفرنسي في القيادة العليا على الموافقة على التعويض على المتضررين تنفيذا للاتفاقية المعقودة بين الطرفين •

حيل الانكليز :

ولا بد من اعطاء القارىء صورة مختصرة عن العقلية الانكليزية، وحج التآمر والمناورة الذي يهيمن عليها •

فقد كان الضباط الانكليز ابان المفاوضات يقفون دائما الى جانب الفرنسيين ، مهدين متوعدين أنه لا يمكنهم الا التدخل اذا لم يقبل الشيخ بالموافقة على وضع حد للقتال • لانه يهمهم أمر الاستقرار والامن في هذا الجزء من العالم •

وكانوا بعد ذلك يذهبون لمقابلة الشيخ في بيته بقصد اقناعه بقبول مطالب الفرنسيين ••• وحينما يختلون به يظهرون رغبتهم التامة في مساعدته ومؤازرته • ويعتذرون لان ظروفهم السياسية تقضي عليهم أن يتظاهروا بمؤازرة حلفائهم الفرنسيين • وكانوا يقدمون للشيخ بعض المعلومات المفيدة كبرهان على حسن نواياهم نحوه ، ونحو ثورته التي يؤيدونها ويدعمونها •

وحينما يجتمع الشيخ في اليوم الثاني ، تتكرر نفس التمثيلية : مؤازرة الانكليز للفرنسيين في المفاوضات ، ثم اختلاؤهم بالشيخ بعد ذلك لاقناعه بصدق نواياهم نحوه ••• وهكذا دواليك طوال أيام المفاوضات •••

وكان الضباط الانكليز يتجولون بين المجاهدين ، يقدمون لهم بعض الهدايا الرمزية ، كدليل على تأييدهم ومساندتهم • ويشجعونهم على الاستمرار بالكفاح حتى يجلو الفرنسيون عن الساحل والجبل •

وهكذا كانوا يمشون في تلك المفاوضات دورين متناقضين • انها العقلية الانكليزية • لم تتبدل ولم تتغير • انه خلق الثعلب المخادع الماكر •

من العايب بحرمة الهدنة ؟
هذا سؤال دقيق أترك الجواب عليه للقارئ الكريم ، بعد أن أسرد له الوقائع بدقة وأمانة •

كان القائد الفرنسي قد اتخذ له مقرا دائما في قرية « عقر زيتي » • وقد ظهرت منه تهجمات بذينة على كرامة الدين الاسلامي أثارت الشيخ ، واستفزته ، واستحثته على الانتقام • فأرسل انذارا شديد اللهجة الى ذلك القائد المتهم على كرامة الدين الحنيف • وحمل الانذار مجاهد كريم يدعى « حسن ابو النصر » • فأمر القائد الفرنسي باعدامه فورا • فأعدم رميا بالرصاص ، دون موجب ، الا لانه يحمل رسالة من الشيخ تتضمن انذارا ••• وغضب الشيخ لهذا الحادث غضبا شديدا • واعتبره تحديا لكرامته ، وكرامة الثورة ، وكرامة الدين • كما أنه خرق صريح لشروط الهدنة ، والاعراف الدولية والانسانية • لذلك أرسل

جماعة من المجاهدين كمنت للقائد الفرنسي عند نهر « الحصين » ، شمالي شرقي طرطوس • وكان يمر في ذلك المكان ومعه عشرة جنود يمتطون خيولا • فأطلق عليهم المجاهدون الرصاص فقتلوهم جميعا • وعادوا الى الشيخ يخبرونه • فحمد الله على أنه قد انتقم لكرامة الدين ، ولذلك الدم البريء الطاهر دم الشهيد المرحوم حسن ابو النصر •

والشيخ لا يعتبر هذا العمل من جانبه خرقا لشروط الهدنة... وانما يعتبره عملا مقابلا للعمل الذي بدأه الفرنسيون • والبادي بالشر أظلم • وصدق الله العظيم : ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ان الله لا يحب المعتدين •

وثبت بعدئذ ان الفرنسيين كانوا يبيتون هجوما كبيرا على منطقة الثورة • وانهم كانوا يهتبلون الفرصة للمبادرة به • ولم يكن الهجوم الذي بدأوا به عن طريق « حبسو » بغية الاحاطة بمنطقة الثورة الا دليلا قويا على نيتهم المبيتة تلك •

وبعد هاتين الحادثتين كثرت تحرشات الفرنسيين بالمجاهدين ، وبالأمنين من أبناء القرى العزل من السلاح • وكثرت مناوشاتهم ، وعادت الحال العسكرية الى تأزمها ، والافق الى اكمداده • وبدأ الشيخ يستنفر المجاهدين ويستعد لمقابلة الاحداث الرهيبة متمثلا بقوله تعالى : ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار •

استئناف القتال

الهجوم على بانياس :

في ١ تموز ، ١٩٢٠ ، وجهت حامية « قلعة المرقب » كتابا الى الشيخ تخبره فيه أن الفرنسيين يحشدون قواهم حول بانياس ، وان تجمعاتهم ترى بالعين المجردة ، وانه لا يستبعد أن تكون هذه التجمعات تستهدف الهجوم على القلعة واحتلالها ، الامر الذي ان تمّ فانه يؤمن للفرنسيين مواصلاتهم على الساحل . ويسهل لهم تجريد حملة كبيرة على طوله بغية الهجوم على معاقل الثوار في الجبل . ثم يقترح قائد الحامية أن يهاجم المجاهدون بانياس ، ويعملوا على احتلالها ، للحيلولة بين القيادة الفرنسية وتحقيق ما تريد . واجتمع الشيخ باركان حربه في الشيخ بدر ، ودرسوا الامر مليا ، ثم قرروا دراسته عن كثب في منطقة القدموس ، وهي احدى نواحي بانياس .

وفي ٣ تموز اجتمع الشيخ بضباطه في القدموس ، وهناك رسموا خطة الهجوم على بانياس ، وبدأوا بها فورا . ومع طلوع الفجر كانت قوى المجاهدين تحيط بها من ثلاث جهات ، وتضلي الشكنات الفرنسية نارا حامية . ودارت معركة عنيفة استمرت الى قرب الظهر ، احتل الثائرون خلالها المدينة ، وأحرقوا السراي وظهرت قطع الاسطول الفرنسي في البحر . فانسحب الفرنسيون من ثكناتهم الى الشاطئ الشمالي للمدينة ، حتى يتسنى للاسطول

تهديمها بمدفعيته • والمجاهدون يلاحقونهم بنيران رشاشاتهم وبنادقهم ، ويوقعون بهم أفدح الخسائر •

وقد اضطر المجاهدون للانسحاب من المدينة ، بعد أن بدأ الاسطول يصب عليها نيران مدافعه بوحشية وهمجية • واستولوا قبل انسحابهم على كل المؤن والاسلحة والذخائر في الثكنات العسكرية •

وقد ساهم المرحوم اسماعيل جنيد ، باحتلال بانياس ، مساهمة فعالة مجدية • واشترك فيها بنفسه الى جانب الشيخ • واستشهد في معركة بانياس المجاهد سليمان المعلم من قرية الحصان ، يرحمه الله •

احتلال الفرنسيين الشام

وفي غمرة الانباء الموجعة عن انتقاص الفرنسيين على الهدنة ، ونكولهم عن تنفيذها ، وردت أنباء اخرى ، أشد ايجاعا وايلاما ، عن احتلال الفرنسيين الشام ، ومتابعة تقدمهم نحو المدن الكبرى لاحتلالها • وان الملك فيصل قد رحل عن سورية الى مكان مجهول في ٢٤ تموز •

وسقط هذا الخبر المرعب على المجاهدين سقوط الصاعقة • فاضطربت له النفوس ، وذهلت العقول • وشعر الجميع انهم أصبحوا يحاربون بلا أمل •

واغتسمها الهدامون والمتقاعسون والانهازميون فرصة لنشر

فكرة التسليم بين أوساط المجاهدين ، وخلق جو من البلبلة والذعر والتشويش •

وارتفعت بعض الاصوات تطالب بالتسليم للفرنسيين ، والقاء السلاح مختارين ، قبل أن يضطروا عليه مجبرين • وافر هذه الفكرة قليلون ، ورفضها كثيرون •

وكان جواب الشيخ على ذلك أن حمل بندقيته ، وصاح بأعلى صوته : « من أراد الدفاع عن الوطن فليتبعني ، ومن أراد الالتحاق بالاجنبي ، واذنابه ، فليذهب مع الشيطان • انني لن أترك السلاح حتى يستقل هذا الوطن أو أموت » •

وخمدت فكرة الاستسلام ، ووئدت • وحل محلها شعور النعمة ، وأخذ الثأر ، والانتصار للوطن الجريح •

واختلى الشيخ بضباطه ، وأطلعهم على حراجة الموقف الذي وصلوا اليه • وكيف ان الامدادات ستقطع عنهم ، وان احتلال حمص وحماء سيحول بينهم وبين الحصول على ما يعوزهم من سلاح وحاجيات • وقلبوا الامر على جميع وجوهه فوجدوا أنه لا بد من الاقتصاد ما أمكن باستعمال الذخيرة ، حتى يستطيعوا الاستمرار بالمقاومة ومتابعة الكفاح حتى النهاية • وصادر الشيخ تعليمات بهذا الصدد الى المجاهدين كافة • وحذرهم من اطلاق عيار واحد ، الا في معركة ، أو عندما تمس الحاجة • وأوفدت الرسل الى سائر المدن السورية تستحث الهمم ،

وتطلب من المواطنين النجدة والمعونات • وقيل للمواطنين ان
الثورة لا يمكن أن تستمر الا اذا استمرت تغذيتها من الخارج •
لان امكانياتها الداخلية لا تستطيع النهوض بأعبائها وتبعاتها •
ولقي ذلك النداء آذانا صاغية ، وحماسة بالغة ، عند أصحاب
الشعور الحي ، والمبادئ القوية •
وكانت حماه أول من استجاب لصرخة الثوار ، وفتحت لمعوتهم
الجيوب والصناديق •

دسائس بعض المتزعمين :

وعقب احتلال الشام أراد الفرنسيون أن يستغلوا أنانية
بعض المتزعمين من العلويين ، وغير العلويين • وهم دائما ، مع
الاسف الشديد ، مطايا ذلل للراكبين !
تقول أنانية « البعض » ، ولا تقول الجميع ، لان بين الزعماء
العلويين ناسا كراما ، يحتفظ لهم تاريخ الثورة بأحسن الذكريات ،
وأنصع الصفحات •

وقد أغري اولئك المتزعمون الناشرون بالوظائف ، وقضاء
المصالح ، وتشبث « الزعامة » ، وبذل المال • وطلب اليهم التدخل
مع الثائرين للاقتضاض من حول الشيخ ، حتى يسهل اقتناصه ،
والتغلب عليه •

واتخذ اولئك المريدون من احتلال الشام طريقا معبدة لدعايتهم
الخبیثة ، ودسائسهم المخجلة ! ووسيلة لمحاولة الاقناع والافحام •

ولكنهم باؤوا بفشل مريع • وتحطمت دعاياتهم ودسائسهم على
صخرة اليقين والايمان • وذهبت صرخات اولئك المتزعمين وكتاباتهم
أدراج الرياح • وضاعت وسط زمجرة المجاهدين ، وتصميمهم
على متابعة النضال •

وقد أثبت اولئك المتزعمون للناس انهم غير جديرين بالطاعة ،
كما أثبت الناس لهم أنهم غير جديرين بالاحترام •
وبقي الثائرون على ولائهم لقائدهم الشيخ ، وهم أكثر
ما يكونون رجولة ، وبطولة ، وحماسة •

هجوم رساك :

كان أول هجوم قام به الفرنسيون بعد احتلال الشام ، هجوم
الكاتبين « رساك » على الشيخ بدر ، من الجهة الجنوبية عن
طريق صافيتا •

وفوجيء اهالي قرية « المريقب » المواجهة للشيخ بدر والرسستن ،
والتي لا تبعد عن كليهما ، الا بضعة كيلو مترات ، بقنابل المدفعية
تصب عليهم من جبل القليعات وهو جبل شاهق منيع ، يفصله عن
جبل المريقب واد سحيق ، عميق الغور ، لا يستطيع المارة عبوره
الا بصعوبة كبيرة ، نظرا لارتفاعه ، وكثرة غاباته وصخوره •

وكان رساك وكتيبته قد نصبوا مدفيعتهم على رأس جبل
القليعات ، وبدأت تقذف حممها المسعورة ، على قرية المريقب ،
ومعقل الثوار حول الشيخ بدر والرسستن •

ولم يكن المجاهدون يحسبون حسابا لهذا الهجوم من هذه
الجهة ، نظرا لمناعة جبل القليعات ، وعلوه ، ونظرا للوادي السحيق
الطويل الذي يفصله عن قضاء صافيتا .

وكان العقيد سليم صالح آتئذ في تلك الجهة وليس معه الا
أربعة من المجاهدين وهم : احمد الحسن ، وسليم شاويش ، وعبود
وسوف ، وعلي سليم . فهبطوا من جبل المريقب تحت وابل من
رصاص العدو ، ونيران مدفعيته . ولما وصلوا الى أسفله اجتازوا
النهر بسهولة ويسر ، وتسلقوا جبل « القليعات » وقد غدوا في
مأمن من قنابل العدو ، نظرا لوعورة الجبل وعلوه ، والاشجار
الكثيفة المكتظة فيه .

وفوجيء رساك وجنوده برصاص المجاهدين ينهال عليهم من
الوراء . فذعروا واضطربوا ، ولم يكونوا يحسبون حسابا لهذه
المفاجأة . وسقط بينهم عدد من القتلى . وكان المجاهدون يختبئون
وسط الادغال وبين الصخور وهم يطلقون النار . واسرع رساك
وجنوده بالهرب ، وقد خلفوا وراءهم مدفعيتهم بعد أن عطلوها ،
وكل الذخيرة التي كانت معهم . وعادوا أدراجهم باتجاه صافيتا .
ولحقهم المجاهدون الى قرية « جورة الجواميس » ، ثم تبعوهم
الى قرب صافيتا . والكابتن رساك يحسب أن وراءه مئات
المجاهدين ، وليس وراءه الا اولئك الخمسة الاشواص .
وقد قتل أكثر من نصف جنود تلك الكتيبة .

وهذه المعركة وحدها دليل قوي على بطولة المجاهدين ،
ورجولتهم ، وشجاعتهم وبسالتهم •

المجاهدون يحتلون دريكيش :

واغتنم الشيخ فرصة اندحار رساك وكتيبته ، وكانوا يتخذون
من بلدة دريكيش مركزا للاغارة على الثوار من الخلف ، ولقطع
المواصلات بينهم ، وبين صافيتا ، فوجه حملة لاحتلال بلدة دريكيش
بقيادة العقداء : سليم صالح ، وجابر الحطانية ، واسبر زغيبي -
الذي كان من ألمع المجاهدين ، واشدهم بطولة واقداما - فاحتلوا
السراي ، واسروا حاميتها ، واستولوا على الاسلحة التي كانت
تدخر فيها • وعزموا على الفتك ببعض اعداء الثورة ، والمناوئين
لها ، لولا تدخل الزعيم المعروف انيس العمر ، الذي استقبل
المجاهدين أحسن استقبال ، وقدم لهم الزاد الكافي طوال اقامتهم
في بلدته ، بالاشتراك مع ابن عمه رشاد العمر ، ووجوه آل شمسين
الكرام (١) •

وتقم الفرنسيون بعدئذ على المرحوم انيس العمر • وتعقبوا
نجله الاكبر محمد الانيس ، ولو قيض لهم أن يقبضوا عليه حينذاك
لذكر اسمه بين الشهداء •

(١) آل شمسين من أقدم الاسر العلوية . وأكثر الاوقاف الخيرية في الاقضية
الجنوبية من الجبل وقفها آل شمسين من أملاكهم لاعمال البر والاحسان . وأكثر
هذه الاملاك قد أصبحت بعدئذ ملكيات خاصة .

واتتقموا منه فيما بعد فشجعوا « الغير » على اغتصاب املاكه،
واملاك اقربائه كما يعرف الناس في محيطه •

هجوم غورو من الشرق :

بعد الانكسارات المتوالية التي مني بها الجيش الفرنسي في
معارك السوده ، وفي هجوم « بولونجي » والتي لاقى منها الامرين ،
واصيب بخسائر فادحة ، وتضحيات جسيمة • وبعد الانهزامات
المتكررة ، وما جرت عليه ، وعلى حكومته وبلاده ، من سمعة
سيئة ، رأت القيادة الفرنسية ان يشرف الجنرال غورو بنفسه
على الحملات الحربية في بلاد العلويين •

ونحن اذ نقول « العمليات الحربية » ، فاننا نستقي هذا
التعبير الضخم للثورة من البلاغات الفرنسية نفسها التي كانت تشير
بصراحة الى عنف الثورة ، وقوتها ، وكثرة ضحاياها •
ورأى الجنرال غورو بخبرته العسكرية ، ومناوراته المعروفة ،
أن يهجم على معقل الثوار من الشرق ، بعد أن أعيا جيوشه
التقدم من الغرب ، حيث يضع الثائرين بين فكي الوحش ، او
دائرتي الرحى • وبنجاح هذه الخطة تتم عملية تطويق الثوار ،
ويقضي على الثورة •

وبعد ان احتلت الجيوش الفرنسية « حماه » ، انحدرت الى
مصياف - التي كانت تابعة لها فاحتلتها ، وتمركزت
فيها • وبعد ان أتمت استعدادها وتأهبها بادرت بالهجوم على

الجبل فاحتلت المرتفعات القريبة من مصيف ، والمعروفة باسم « جبال القماقم » وهي مرتفعات منيعة جدا ، وتشكل سلسلة من الجبال الشاهقة متصل بعضها ببعض ، وهي مكسوة بغابات كثيفة تحجب فرقا كاملة عن العيان ، ولم يكن ثمة إمكانية للهجوم على مواقع الثوار من الشرق ، الا من تلك المواقع .
وكان هجوم غورو ، هذا في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

تطويق جيش غورو :

وما ان بلغ الشيخ أبناء هذه الحملة من الشرق ، وكيف تم هجومها الصاعق بسرعة لم تكن منتظرة ، ولا مترقبة ، حتى اهتم لها اهتماما كبيرا . واجتمع باركان حربه ، وقرروا مداومة هذه القوة قبل ان تتوغل في الجبل كثيرا . وجمع المجاهدين ، ونسقهم ، ونظم صفوفهم ، وابقى قوة كافية في المناطق الامامية التي قد تتعرض لهجوم العدو ايضا ، وسير عدة كتائب مسلحة تسليحا كافيا الى الشرق وفق خطة مرسومة ، وترتيب محكم ، وكان هدفهم تطويق الجيش الزاحف وبعرته ، كما حصل لبولونجي وجيشه الضخم .

وبالنظر لمعرفة السكان بطبيعة ارضهم ، ومسالك جبالها ، وتشعب طرقها ، فقد بدأوا بتنفيذ خطتهم بهارة فائقة ، وسرعة مدهشة . ولما كانت طبيعة الارض هناك لا تمكن الجيش الفرنسي من التساند والانسجام ، وكان من المستحيل تسير

كتائبه في سبيل واحد ، فقد كان مضطرا لان يجعل زحفه وسط جبال عديدة ، وأودية كثيرة . وهذا ما سهل لقيادة الثورة أن تهاجم مؤخرة الجيش قبل ان تعرف المقدمة عن ذلك شيئا . فقد كانت قيادة الجيش الفرنسي مطمئنة الى ان مؤخرتها مصنونة ، ولا خطر عليها . لان مراكز الثوار من أمامها ، ولا قوى لهم في نواحي مصياف . ولهذا كان اهتمامها منصبا على ترقب الثائرين من الامام . ولم يكن يدور بخلدتها ان تنقل الثوار سيتم بهذه السهولة ، وهذه السرعة .

وكننت بعض كتائب الثائرين في أحد الاودية حيث استطاعت ان تعزل مقدمة الجيش الفرنسي عن مؤخرته . ونشب قتال عنيف بين الثوار والكتائب الفرنسية التي عزلت عن المقدمة ، فاضطرت الى الرجوع القهقري الى مصياف . والمجاهدون يصطادون أفرادها كما يصطاد الصائد الماهر سربا من العصافير . وكان الفرنسيون المتقهقرون في حال من الذعر والفوضى .

ووصلت كتائب الفرنسيين الامامية الى قرية عين « قضيب » الكائنة شرقي القدموس . وهناك تصدى لها المجاهدون المرابطون في تلك الناحية بعد ان جاءتهم امدادات كثيرة من مختلف مناطق الثورة ، ولحقت بها الكتائب التي استطاعت ان تعزل بعض فرق الفرنسيين عن بعضها ، واضطرت ما بقي منها للارتداد نحو مصياف كما ذكرنا . وهكذا اكمل الحصار على الجيش الفرنسي الزاحف

حول عين قضيب ، واطبق عليه الثوار من جميع الجهات . ولما لم يكن في تلك البقعة ينابيع ماء فقد برح العطش بأفراده حتى وصلوا الى حال شديدة من الاعياء ، وانهارت قواهم ، واصبحوا في حال انحلال ظاهرة . وبعد بضعة ايام من عملية التطويق وصلت للفرنسيين امدادات كثيرة عن طريق مصيف ، تتقدمها فرقة للمصفحات . وكانت الطائرات الفرنسية تجوس حول المناطق التي حصر بها الجيش ، وتدل القوات القادمة لنجدته الى المكان . واضطر الثوار الذين يرابطون شرقي الحملة المحاصرة الى الانكفاء شمالا حتى لا يقعوا في الشباك .

وهكذا امكن الجيش الفرنسي انقاذ البقية الباقية من تلك الكتائب التي أشرفت على الهلاك . وقد شوهذ اكثر افرادها يحملون على تقالات وراحلات ، وهم في حال من الاعياء والعطش شديد .

المؤامرة على حياة الشيخ :

وبينما كانت المعركة حول « عين قضيب » في ابان احتدامها وشدتها ، اذا باحد الرجال المنخرطين في صفوف الثورة يقترب من الشيخ ويطلق في الجو خمس طلقات نارية ، ثم يبتعد عن المكان بسرعة . وقد لفتت هذه الحركة الغريبة احد حراس الشيخ وهو « سليم شاويش » خادمه الامين . فأسرع الى الشيخ ينبئه بما رأى ، ويئنه هو اجسه ومخاوفه من هذه الحركة المريبة التي تتم عن

مؤامرة جديدة على حياة قائد الثورة ، وملهمها ، وبطلها ،
ورمزها . وقد اختير للقيام بها احد الثائرين ، الذين انتظموا في
صفوف الثورة للتجسس والتشويش ، والدس !

واتقل الشيخ فورا من ذلك المكان وهو يراقب ما حوله
بحذر . وما هي الا لحظات حتى بدأت قنابل المدفعية والطائرات
تتساقط بكثرة مذهلة على ذلك المكان الذي اطلق منه الجاسوس
رصاصاته الخمس . واصيب احد حراس الشيخ ويدعى سليم
زينه باحدى عشرة طلقة ، اخترق اكثرها جسده ، وظل يعالج منها
بضعة اشهر حتى شفي تماما .

وعرف بعد ذلك ان الجاسوس الذي اطلق الرصاصات الخمس
كان على اتفاق مع الفرنسيين على هديهم الى مقر الشيخ بهذه
الوسيلة .

ولهذا الجاسوس الذي يدعى ي . من قرية بريصين عدة
حوادث بالتجسس ، والتآمر على حياة الشيخ . وقد أبطلها الله
جميعا ، ووقع صاحبها بالخيبة والفشل . وصدق الله العظيم :
« ولا يحيق المكر السوء الا بأهله » .

ولقد أقصي ذلك الجاسوس بعد تلك الحادثة من صفوف
الثوار . وفرضت عليه اقامة جبرية في بيته ، وحذر عليه من الخروج
من قرينته تحت طائلة الموت .

حصار مصياف :

ادرك الشيخ ، وأركان حربه ، ان احتلال الفرنسيين مصياف ،

وابقائها في قبضة أيديهم يشكل خطرا مباشرا على الثورة، ويعرضهم
لإعادة الهجوم من الشرق ، والهجوم من الغرب منتظر في كل لحظة .
فيصبح المجاهدون في هذه الحالة بين نارين ، ويتعرضون لخطر
تطعن قواهم في الصميم .

لذلك قرروا مهاجمة مصيف ، واحتلال الجبال المشرفة عليها
وبهذا يسهل الدفاع عن الجبل العلوي من الشرق ، ما دامت
المرتفعات الحصينة بأيدي الثائرين .

وفي منتصف كانون الاول ، ١٩٢٠ ، شن المجاهدون غارة
كبرى على مصيف ، وأحاطوا بها من جهاتها الأربع ، احاطة
السوار بالمعصم وضيقوا عليها الخناق . وقد استبسلت حاميتها ،
واستماتت بالدفاع عنها وكانت رحي المعركة تدور حول السور
الذي يحيط بالمدينة . حتى ان المجاهدين كانوا ينادون الاهلين
ويطلبون منهم مساعدة الثورة ، حتى لا يتعرضوا للإيذاء والانتقام
وكانوا يطلبون ايضا من الجنود ان يسلموا انفسهم . ولكن
المدافعين استماتوا بالدفاع ، مثلما استمات المهاجمون بالهجوم .
وكان ذلك الحصار من اشد معارك الثورة بسالة وصلابة
واستماتة من الفئتين .

ولولا مناعة القلعة واشرافها المباشر على المدينة وما يحيط
بها ، وكثرة الجنود المحاصرين فيها ، ووفرة ما لديهم من السلاح
والذخيرة ، لما صمدت مصيف اكثر من ساعات قليلة .

ودام الحصار بضعة عشر يوما ، انقطعت فيها وسائل النجاة
عن المحاصرين • ومع ذلك فما فتئوا يقاومون بضراوة وعناد ،
ويناضلون • بشراسة وثبات •

وفي أبان احتدام معركة الحصار ، واشتدادها ، ظهرت في الافق
البعيد طلائع جيش لجب آت عن طريق حماء ، لنجدة المحاصرين •
فاضطر المجاهدون للتراجع ، واتخذوا لهم مواقع في الجبال المطلة
على المدينة من الناحية الغربية •

وقد استشهد في هذه المعركة عدد من المجاهدين • وكانت
خسائرهم جسيمة في المعدات والارواح •

الشيخ يعيد المنهوبات لاصحابها :

وكان الشيخ يعرف تمام المعرفة أن لحمة الثورة وسداها
هي في تنظيمها الداخلي ، وعطف الاهلين عليها ، وفي استقامة
التأثرين وامتناعهم عن القيام بأي عمل من شأنه الاخلال بسمعة
الثورة ، وكرامتها ، فقد كان يراقب اعمالهم بدقة ، ويبث العيون
والارصاد هنا وهناك ، لمعرفة مايجري بالخفاء من اعمال تتنافى
مع الشرع والاصول ، والاطلاع على كل شاردة وواردة منها •
وقد بلغه ان بعض الانانيين المنخرطين في صفوف الثورة بقصد
الاساءة والتخريب ، يعمدون الى نهب القرى ، وسلب الاموال ،
وقطع الطرقات ! وانهم يستغلون اسم الثورة ويحملون شعاراتها ،
ويقدمون على أعمال مخجلة تتنافى مع مثالياتها ، وغايتها ،
واهدافها •

وارسل عبد الكريم الرستم صاحب قرية « الصقيلية » يشكو الى الشيخ ما حل بقريته على ايدي بعض الثائرين • وكيف انهم نهبوا كل ما فيها من ماشية ، ومؤونة ، وأثاث بيوت • وغضب الشيخ • وذهب بنفسه الى تلك القرية الكائنة في منطقة مصيف ، على مقربة من حماه ، مستهدفا بذلك لاشد الاخطار • ولكن حرصه على سعة الثورة ، ومثاليته قد دفعه لذلك • ولم يعد من سفرته هذه التي استمرت شهرا ونيفا ، الا بعد أن أعاد كل المنهوبات الى أصحابها ، وعاقب المسيئين والمجرمين • وقد تخلى الشيخ عن الجبهة الغربية في سبيل المحافظة على سعة الثورة ، والحوول دون استغلال العناصر الداسة الخبيثة لها • ولكي يقطع دابر الخيانة والاجرام ، ويعيد الامن والنظام الى صفوف الثورة •

الفرنسيون يغتنمون الفرصة :

وقد اغتنم الفرنسيون فرصة غياب الشيخ في جهات مصيف ، ومعه أكثر المجاهدين ، وخيرة العقداء ، وقد أخلت الساحة في الشيخ بدر ، الا من أفراد قلائل كانوا يرابطون لحماية الثغور • وكان أكثر المجاهدين يتبعون قائدهم ، أنى اتجه ويسIRON خلفه أنى سار • مع ان الشيخ كان يأمر المجاهدين بحزم واصرار ألا يتخلوا عن أماكنهم في حماية الثغور • وكان أبان حصار مصيف يرسل التعليمات باستمرار منذرا المرابطين في الثغور ألا يتخلوا عن

مراكزهم في حمايتها ، لا ليلا ولا نهارا .
و .. اغتتم الفرنسيون فرصة غياب الشيخ في منطقة مصياف ،
ومعه أكثر المجاهدين ، فحزموا امرهم على توجيه ضربة قاصمة
الى عرين الثورة ، ومركز قوتها الشيخ بدر .

وثبت فيما بعد ان الهجوم الكبير الذي شنه الجنرال غورو
من الشرق ، لم يكن الا تغطية وتسهيدا للهجوم الذي كان يعده
من الغرب ، لان طبيعة الارض من هذه الجهة ، وسهولة المواصلات
فيها ، أيسر من الجهة الاخرى : الشرق .

وثبت أيضا ان الغاية من الهجوم الذي جرى عن طريق
مصياف كان لتحويل انظار قادة الثورة الى تلك الجهات ، وان
يضطرها لسحب اكثر المجاهدين الى هذه الجهة . وبذلك تتوزع
قوى الثوار ، وتخلو الساحة للجيش المهاجمة من الغرب .

وقد نجحت هذه المناورة الجهنمية أيضا نجاح .

وكان لتراخي بعض المجاهدين في حماية الثغور . وعودة
بعضهم الى قراهم لحراثة الارض ، وهم مطمئنون الى ان الحالة
لا تبعث على القلق ، لان الفرنسيين قد نقلوا الجبهة الى الشرق
بدلا من الغرب ، كان لذلك كله أثر كبير في نجاح الخطة الفرنسية
المحكمة ، وانهيار جبهة الثوار في الشيخ بدر والمناطق المحيطة
بها ، وهي عرين الثورة ، وقاعدتها الاساسية .

الهجوم الكبير على الشيخ بدر :

وفيما كان المجاهدون منهمكين في المعارك التي خاضوها، والتي كانوا يتهيئون لخوضها في مصياف وضواحيها، وكان الشيخ مهتما بالاشراف على تسيير هذه المعارك ، ورد المنهوبات الى أصحابها ، اذا بالجيوش الفرنسية تتقدم بزحفها الهائل نحو الشيخ بدر في جبهة تنوف على العشرين كيلو مترا . وكانت تتقدم دون ان تجد في طريقها مقاومة تذكر . فالمجاهدون وعلى رأسهم الشيخ كانوا منهمكين في القتال بالقرب من مصياف ، كما بينا آنفا ، والساحة خالية الا من حامية قليلة العدد موزعة هنا وهناك ! وتلك غلطة فادحة لا ريب فيها .

وكان العدو في هجومه الحثيث الى الامام يعتقل كل من يراه في طريقه من الرجال ، حتى العجائز والاطفال . ويفرض عليهم حراسة قوية في القرى . وكان جنوده المتوحشون ينشرون الذعر والرعب في كل مكان . . واحتل الجيش المرتفعات المحيطة بالشيخ بدر . ووزعت جنوده على كل هضبة ومنعطف . واستحالت تلك البقعة الواسعة من الارض الى معسكر مترامي الاطراف يحتشد وراء حواجز منيعة من الصخور والادغال . وكانت الطائرات ما تفتأ تجوس خلال الديار متلصصة مترقبة . وقد اغتنمها الجيش فرصة موالية للتنكيل والانتقام . فلم يجد امامه الا بعض الابرياء المسلمين . ومع ذلك فانه لم يتورع عن البطش

والفتك والتخريب • وقد احرق قرية « المريقب » ، وسائر القرى المحيطة بها ، وتركها طعاما سائغا للهب •

موقف الشيخ :

وكان الشيخ يومئذ في قرية « الصقيلية » حينما وصلتته انباء الحملة الفرنسية القوية • وعاد الشيخ مسرعا الى معسكرات المجاهدين بالقرب من مصياف • وكانت انباء جديدة قد وصلت عن احتلال القوات الفرنسية لمنطقة الشيخ بدر كلها دون مقاومة تذكر وروع الشيخ لهذا النبأ القاصم ، وأيقن ان فتح جبهة مصياف لم يكن الا مكيدة مدبرة لسحب قوى الثائرين اليها ، حتى تخلو الساحة للعدو •

واجتمع الشيخ بضباطه لدرس الموقف ، واتخاذ خطة سريعة • وعقد اجتماعا عاما للثائرين الموجودين في ذلك المكان • فوجد من بعضهم تخاذلا بينا ، وتراجعا مخزيا ، حينما علموا أن نساءهم وأطفالهم أصبحوا رهائن في ايدي العدو • وانقسم الثائرون على بعضهم • فمنهم من خارت عزيمته ، وقعدت همته ، ومنهم من ازداد حماسة واستبسالا •

وامر الشيخ باقصاء كل من لا يريد متابعة القتال ، عن عقيدة وإيمان ، وانسحب هؤلاء جميعا ، لاتقاذ نساءهم وأطفالهم عن أي سبيل من أيدي العدو •

وتلفت الشيخ حوله • فلم يجد الا أشخاصا قلائل يعتد

بهم في الملمات • وقد اعتز بهؤلاء القلائل ، متمثلا بقوله تعالى :
« وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » •

رجوع الشعلان :

وكان لتطور الموقف هذا التطور المؤلم أثر كبير في نفس
المرحوم « غالب الشعلان » • فقد أيقن انه قضي على الثورة ،
وتبخرت الامل التي عقدت عليها ، وتحطمت على صخرة عاتية
من الخيبة المريرة • وانه لم يعد بالامكان انقاذ الموقف ، ولا اصلاحه
واعادته الى ما كان • فخف الى الشيخ يستأذنه بالعودة الى
الصحراء •

وفي غمرة خائفة من اليأس والاسى ، ودع واحدهما الآخر •
وعرض الامير الشعلان على الشيخ صالح أن يرافقه الى
الصحراء حيث يجد فيها الامن والسلامة ، فاعتذر الشيخ عن قبول
هذه الدعوة الكريمة ، وأصر على العودة الى مكان ما في الجبل
لمتابعة نضاله ، واتمام رسالته • وليفعل الله ما يشاء •

وعاد الشعلان الى صحرائه مع بعض رجاله الاوفياء ، وبقي
الشيخ مع بعض رجاله الاوفياء يتأهبون للعودة الى ساح النضال •

حيرة الشيخ :

وقلب الشيخ الامر من جميع وجوهه ، وأجال الطرف يمنة
ويسرة ، باحثا عن بيئة صالحة لاستئنافه الثورة ، والهبات جذوة
القتال • وتنازعت الشيخ عوامل كثيرة • وساءل نفسه : أين يجب

المضي ؟ واين يجب المكوث ؟ ايبقى في المناطق الجنوبية يشكل العصابات ، ويقض مضاجع الجيش ، ويعمل على تهيئة وسائل الثورة من جديد ؟ أم يتجه الى الشمال ، وعشيرته في تلك الجهات عزيزة الجانب ، صعبة المنال ؟ أم يعبر الحدود ، الى ما وراء الحدود ، حيث ينتظره مستقبل غامض ، ومصير مجهول ؟ أم يعترف بالامر الواقع ، ويقر بهزيمته ، ويستسلم للفرنسيين •

أسئلة لم يجد لها جوابا • وعلامات الاستفهام هذه مرسومة على الافق البعيد • وانظار الشيخ ما تفتأ تنتقل بين هذه العلامات ، مستنبطة مستقرئة •

واحترم المجاهدون الباقون معه هذا الصمت ، وهذه الحيرة • وثبتوا أنظارهم في انظاره ، وقد وطدوا العزم على البقاء في ركابه حتى الموت •

الشيخ يتجه الى الشمال :

وبعد لاي قطع الشيخ جبل ذلك الصمت الطويل • وانفجرت شفتاه عن بسمة رضية هائلة • واعلن لمن حوله انه لن يترك الساح للمحتلين • وانه سوف يتم رسالته في الجهاد ، ويتحمل اعباءها الى النهاية •

ووقف الشيخ يخاطب جموع المجاهدين ويخبرهم انه لن يلقي السلاح • وانه سيسافر الى الشمال لاشعال نار ثورة دامية تقذف بالاجنبي الى البحر • وقال لهم :

من اراد منكم ان يربط مصيره بمصري فليتبعني • ومن اراد ان يستنكف فهو حر •

وسار الشيخ متجها الى الشمال وتبعه ثلاثة من المجاهدين وتخلف الباقون على ان يلحقوا به بعد أيام قليلة ، بعد ان يرتبوا أمورهم ، ويهيئوا وسائل أعمالهم ، ويضمنوا الى سلامة أسرهم وذويهم •

وهكذا انطوت صحيفة من حياة هذا البطل الخالد ، وابتدأت صفحات •

الفرنسيون يعدمون بعض المجاهدين :

واتخذت القيادة الفرنسية مقرا لها في قريتي « القمصية » و « الشيخ بدر » • ثم بدأت تعتقل الزعماء والمشايخ ، ووجهاء القرى • وشكلت مجلسا عرفيا ، وبدأت بسحاكمة المجاهدين •

وراجت سوق الدسائس والوشايات • وكثرت الاتهامات حتى انها لم تترك شخصا الا شملته •

ومن الصعب جدا احصاء جميع الاسماء التي حاکمتها المحكمة العسكرية الفرنسية فحكمتها بالسجن المؤبد ، أو بالسجن لمدد طويلة ومختلفة ، مع الاشغال الشاقة ••• فذلك شرح يطول • ولكن لا بد لنا من ذكر بعض من حكمت عليهم بالاعدام • علي زاهر ، قرية حمام واصل ، قضاء بانياس • محمود ضوا ، قرية العصبية ، قضاء بانياس •

- محمود علي اسماعيل ، قرية الحطانية ، قضاء بانياس .
 - ابو محمد الخلاعي ، أعدم في مدينة حماه .
 - جميل ماميش ، اللاذقية .
 - اسبر زغيبي ، قرية قرقتي ، قضاء بانياس .
 - جابر محمد ، قرية الحطانية ، قضاء بانياس .
 - محمد ابراهيم الشيخ ، قرية العنازة ، قضاء بانياس .
 - خليل الخطيب ، قرية برمانه المشائخ ، قضاء بانياس .
- و و و و الخ

واعدم الاربعة الاولون فوراً ، واستطاع الآخرون الهزيمة والنجاة . ولحق بعضهم بالشيخ الى الشمال ، وكان يخوض حينئذ معركة « فتوح » . وغصت السجون بالمحكومين بالسجن ، فأرسل قسم كبير منهم الى السجون في المدن الداخلية .

وبدأ الجيش الفرنسي بتحصيل الضرائب من القرى المحتلة عن ثلاث سنوات . فكان الاهلون يبيعون ماشيتهم ، وقسماً من أراضيهم لتسديد الضرائب الفادحة لاولئك السفاحين . وكان جباة الضرائب يرغمون الفقراء الذين لا توجد عندهم ماشية ، ولا أرض صالحة للبيع ، على تأجير بناتهم لبعض الاثرياء في المدن ، ومن ذلك الوقت نشأت عادة تأجير البنات لفترات طويلة ! ولم تكن معروفة عند العلويين قبل ذلك التاريخ . وهي نوع من الرق ، ووصمة عار في جين المدنية والحضارة .

وأما الزعماء الذين اعتقلهم الفرنسيون ، ومنهم الشيخ علي أحمد ميهوب ، ومحمد آغا اسماعيل ، ونجله الأكبر أنيس ، فقد بقوا رهن الاعتقال والاسر ما ينوف على السنتين . والجيش يصطحبهم معه الى المعارك التي كان يخوضها الشيخ في الشمال . وحينما تحدثم هذه المعارك كان يضعهم في طليعة أفواجه الزاحفة . ولكن ذلك لم يضعف من ايمانهم وبأسهم ، بل نماه ، وغذاه ، وقواه .

الشيخ في الشمال

ووصل الشيخ الى قرية « بشراغي » ، قضاء جبلة ، وكانت أبناء فشل الثورة في الجنوب ، قد ملأت الاسماع ، ووصلت الى سائر أنحاء الجبل . وقد اضطرب لها الناس ، وذعروا . وخيم على الجبل العلوي كله كآبة وأسى شديدان . وانتشر خبر وصول الشيخ الى بشراغي . فهرع للقياء كل سكان القرى المجاورة ، وكل من طرق مسامعه ذلك النبأ ، يتبركون برؤيته ، وينعمون بطيب لقاءه . وغمرت تلك الارحاء موجة من البشر والفرح ليس لها حد .

ودوت أخبار وصول الشيخ الى « بشراغي » ، وكان من البديهي أن تصل الى الفرنسيين . فأحبوا مبادته بالهجوم قبل أن يكمل استعدادده ، ويتأهب للدفاع . وقد تبين لهم ، من العيون

التي بثوها هنا وهناك ، أن المحاربين الأشداء ما يزالون بمنأى عن الشيخ ، وهم لم يلتحقوا به بعد .
ولم يكن حينئذ بين يدي الشيخ إلا النزر القليل من السلاح .
وتلك حال مؤسفة لو اردنا الافصاح عنها لاسودت وجوه ،
وخزيت نفوس ، ولكننا آلينا على أنفسنا في مستهل هذا الكتاب ،
ألا نذكر أحدا من المسيئين ، وأن نكن نؤمن ايمانا عميقا انه
لا يسوغ أن تنطوي هذه الذكريات دون أن يسجل فيها أسماء
الخونة المارقين . حتى تنال ما تستحقه وتستأهله من الدم ، مثلما
نال وينال المخلصون ما يستحقونه ويستأهلونه من المدح .

لمحة خاطفة عن تركيا

بعد أن انتهت الحرب العالمية الاولى احتلت قوى الحلفاء بعض
الاقاليم التركية . وكانت كيليكيا من نصيب الفرنسيين ، وهي
متاخمة للاراضي السورية . وجمع مصطفى كمال فلول الجنود
الاتراك المهزومين وشكل منهم جيشا لجبا ، وبدأ يشن حملات
عنيفة على القوات اليونانية والفرنسية .

ولما رأى مصطفى كمال أن ثورة عنيفة قد التهمت في جبال
العلويين ضد الفرنسيين ، وان القتال محتدم بين الثائرين بقيادة
البطل الشيخ صالح العلي ، وبين القوات الفرنسية المحتلة ، فقد
أحب أن يساعد على اذكاء نار هذه الثورة حتى تجمد قسما كبيرا
من القوى الفرنسية ، وتشغلها عن امداد القوى المحاربة في

الاناضول • والثورات ضد العدو الواحد ، في كل بلاد الدنيا ،
يدعم بعضها بعضا ، ويساعد بعضها بعضا •
ولذلك قرر مصطفى كمال مساعدة الثورة ، ومدها بالعون
الفني والمادي • ومن يدري ؟ فقد تكون له نوايا أخرى بعد تغلبه
على الفرنسيين •

مصطفى كمال يكتب للشيخ صالح :
وقد أرسل مصطفى كمال رسالة الى الشيخ صالح العلي
حملها أربعة من الضباط الاتراك ، ومعهم بعض قطع السلاح بمثابة
هدية من الاتراك للثورة •

وهذا نص الرسالة :

الى حامي الدوحة العلوية • وحافظ الشعائر الاسلامية •
والمجاهد في سبيل الله والدين ، ضد الكفار المعتدين ، الشيخ
الجليل صالح العلي • لا زال مسربلا بالعز والمجد آمين •
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ، جلت
سبحانه وتعالى صفاته ، وسمت آياته ، وعظمت قدرته ونعمته •
وبعد : أيها الاخ الامجد ، والسيد السند الاوحد ، لقد بلغنا
أنكم أشعلتموها حربا ضروسا ، ضد المعتدين الغاشمين ، أعداء
الدنيا والدين • وان النصر كان حليفكم ، والتوفيق رائدكم •
وصدق الله العظيم : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » •
ونحن نخوض هذه المعركة مثلكم ، وتقابل جحافل الاعداء ،

باخوانكم في الله ، ونكبدهم الخسائر الفادحة ، ونجعل أجسادهم
طعاما للغربان والحيثان • وصدق الله العظيم : « واقتلوا الكفار
حيث ثقفتموهم » •

ولما كانت غايتنا واحدة • وسبيلنا الى الله واحدة • ونحن
لا مطمع لنا الا تحرير بلادنا ، واجلاء الغاصبين ، أعداء الدنيا
والدين عنها ، فقد رأينا أن تتصل بكم لكي تتعاون معكم ، ويشد
بعضنا ازر بعض • وقد قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر
والنقوى ولا تتعاونوا على الاثم والعدوان » • وليست حربنا
عدوانا ، وانما هي لمنع الاعتداء • وقد قال تعالى : « وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة » • وقد أعددنا لهم القوة برضى الله وتوفيقه •
وسوف ينالون ما كسبت أيديهم وما اكتسبت • ولا يحق المكر
السيء الا بأهله ، صدق الله العظيم •

واننا أيها الاخ الاوحد ، والسيد السند مستعدون لان نمدكم
بكل مساعدة ، ولا نبتغي من وراء ذلك الا مرضاة الله ، ورفع
راية الاسلام • ونرجو أن تكون صلاتنا معكم شخصية ، لا علاقة
لاحد بها ، داخل بلادكم أو خارجها ، تمسكا بقول سيد الانبياء
محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « استعينوا على قضاء
حوائجكم بالكتمان » • وهذا أوفق وأنجح وأصلح ، وأعم للفائدة
المطلوبة والغاية المنشودة •

وقد أوفدنا لكم أربعة من خيرة ضباطنا • وكان سبق لهم أن

حاربوا في بلادكم جيوش الحلفاء المعتدين • وخدم بعضهم فيها
مدة طويلة فهم يعرفون طبيعة السكان ، وطبيعة الارض • فارجو
أن يكونوا عند حسن ظنكم وثقتكم ، وأن تستشيروهم بالامور
العسكرية لكي يكونوا لكم عوناً بخبرتهم وحسن تجاربهم •

واكتبوا لنا عن كل ما تحتاجونه ، وتريدون اطلعنا عليه •
ويجب أن تكون بيننا « كلمة سر » ، زيادة عن المكاتبة ، حتى
لا يستطيع جواسيس الاعداء أن يستغلوا مكاتباتنا ولا أن يفشوها
أو يفسدوها • وكلمة السر سوف يذكرها لكم مندوبونا لانه
لا يجوز ان تكتب على ورق • كما نرجو أن تعتمدوا من قبلكم
شخصاً أميناً أو أشخاصاً أمناء تعطونهم كلمة السر كلما
أوفدتموهم الينا • وربما اضطررنا ان نغير هذه الكلمة ونستبدل
بها سواها من وقت الى وقت •

اننا ايها المجاهد الكبير في سبيل الله ، والرجل المؤمن الصالح
الطاهر لا نبتغي الا مرضاة الله تعالى في حربنا ضد العدو المشترك،
وفي اتصالاتنا معكم • والله ينصركم بنصره ، ويؤيدكم بتأييده •
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون • والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته •

من اخيكم بالاسلام

مصطفى كمال

واستقبل الشيخ رسل مصطفى كمال بالترحاب ، واکرم وفادتهم ،
وأحسن معاملتهم ، وأنزلهم منزلا طيبا .

الشيخ يخبر فيصل :

ورأى الشيخ أن يكتب الى فيصل ، ويخبره عن رسالة
أتاتورك . ويستشير به بأمرها ، دون أن يعرف رسل الاخير شيئا
عن ذلك .

وفي صباح اليوم الثاني كان رسول الشيخ الى الملك فيصل
يحمل صورة عن رسالة القائد التركي ويتجه بها الى دمشق .
وكان الشيخ يشغل الضباط الاتراك خلال هذه الفترة بحفاوته
وترحابه ويتنقل بهم في بعض مناطق الثورة .

وعاد الرسول يحمل رسالة من الملك فيصل الى الشيخ ،
وفيها تحييد الاتصال مع مصطفى كمال ، وأخذ مساعدات عسكرية
منه ، على أن يكون ذلك كله عن طريق دمشق ، وبواسطة الحكومة
السورية ، حتى لا يخيل لمصطفى كمال أن الثورة في جبال العلويين
تعمل مستقلة عن دمشق .

ووافق الملك على ابقاء الضباط الاتراك في الثورة ، و اضافتهم
الى اركان حرب الشيخ على أن تخفى عنهم الامور الهامة ،
ولا يسكنوا من الاطلاع عليها . مثل معرفة كميات السلاح
والذخيرة ، ومصادرها ، وعدد المجاهدين بالضبط ، والجهات التي
يتدفقون منها ، ومواقع الاستحكامات الهامة ، وما أشبه .

ولكن الضباط الاتراك كانوا يصرون دائما على معرفة الكثير من هذه الامور ، وكانوا يدونون في ملفاتهم الخاصة كل ما يمكن جمعه منها . ولكن لم يظهر عليهم أي بادرة من بوادر سوء النية ، وسوء القصد ، وانه لمن الانصاف أن نسجل ذلك ، وأن نقرره امانة للحقيقة والتاريخ .

وكتب الشيخ جوابا لمصطفى كمال على رسالته . و اراد أن يوفد رسولا خاصا لحمل تلك الرسالة . ولكنه أراد أن يطلع عليها الضباط الاتراك قبل ارسالها .

وكانت الرسالة تحوي عبارات شكر وتقدير ، واستعداد لبذل الجهود اللازمة في رد المعتدين ، وايجاد تعاون مشترك مع المخلصين جميعا من أجل هذه الغاية .

ويذكر الشيخ في رسالته أن الاوفق والاصلح أن يكون اتصال القائد التركي بالحكومة السورية في دمشق ، لأن هذه الحكومة هي المسؤولة عن الصلات الخارجية للشورة .

ولما اطلع الضباط الاتراك على رسالة الشيخ تشاوروا فيما بينهم ثم قرروا أن يحملوا هذه الرسالة بأنفسهم الى مصطفى كمال . ورجع الضباط الاتراك الى تركيا ، على أن يعودوا .

(١) مما يؤسف له أن تفقد هذه الرسائل جميعا بعد وفاة الشيخ ، وقد كانت مستندات تاريخية ذات أهمية وقيمة بالغة . ولكن أيديا غير حريصة امتدت اليها ولم تعرف قيمتها فضاغت مع الاسف الشديد . ويحتفظ بعض المجاهدين بصورة عنها .

ولكنهم لم يعودوا • ولم يصل من القائد التركي أي خبر بعد هذا •

الجيش الفرنسي ينسحب من كيليكيا :

وازدادت الحرب في تركيا عنفا وشدة ، وقوة وحدة • واضطر الجيش الفرنسي للانسحاب من كيليكيا تحت ضغط حاجته المتزايدة للرجال ، وتحت ضغط الهجمات التركية العنيفة عليهم ، بعد أن أصبح الجيش التركي جيشا نظاميا يفوق اعداءه عددا وعدة •

وكانت الحكومة الفرنسية تطلب من فيصل السماح لجيوشها بالانتقال عبر الاراضي السورية بواسطة الخط الحديدي رياق — حلب لاعانة القوات الفرنسية المرابطة في تركيا • وكان مصطفى كمال يطلب من فيصل بالاحاح عدم السماح للقوات الفرنسية باستخدام هذا الخط ، حتى لا تستطيع ارسال الامدادات والمعونات للجيش الفرنسي الذي يحارب الجيش التركي • ويتعهد مصطفى كمال بتقديم كل معونة للحكومة السورية في نضالها ضد الفرنسيين •

ووقفت الحكومة السورية موقفها المعروف ومنعت القوات الفرنسية من الانتقال عبر الخط الحديدي الى الحدود التركية • وكان هذا المنع في طليعة الاسباب التي دفعت غورو لاحتلال دمشق ، أو التي احتج بها واستغلها لتنفيذ مآربه الاستعمارية •

وبعد أن جلت القوات الفرنسية عن تركيا تنكرت تركيا لهذه الوعود ووقفت من النزاع الفرنسي موقف اللامبالاة • وربما

كانت أميل لمساعدة فرنسة من مساعدة سورية • لان عداء تركيا للقومية العربية ، وسورية قلبها النابض ، معروف (١) •
وبعد أن جلت القوات الفرنسية عن تركيا تجبعت هذه القوات كلها في سورية • وحشدت لمقاومة الثورات المحلية التي كانت قد نشبت فيها • وكانت ثورة المرحوم ابراهيم هنانو في حلب والاقضية التابعة لها قد شبت واتسع نطاقها ، ومثلها ثورة صبحي بركات في الاسكندرونة (٢) •

الشيخ يتصل بابراهيم هنانو :
أوفد الشيخ في ١٠ شباط ١٩٢١ ، المجاهد المعروف حبيب محمود للاتصال بالمرحوم ابراهيم هنانو ، وعرض حاجة الثورة الى السلاح ، والى ضباط فنيين يساعدون الشيخ في ادارة العمليات الحربية بعد عودة الضباط الذين كان اوفدهم الملك فيصل ، عقب انهيار المقاومة في الشيخ بدر •

واستقبل هنانو رسول الشيخ بالحفاوة والترحاب ، وأظهر له كل استعداد للمساعدة بالمال والسلاح • وأرسل معه أربعة ضباط كان لهم أثر ملحوظ في ادارة العمليات الحربية التي دارت بعدئذ •

وكان تعاون الثورتين وثيقا • وكانت ثورة هنانو أكثر غنى

(١) راجع كتاب « من الاحتلال حتى الجلاء » للدكتور نجيب الارمناني •

(٢) راجع الفصل الاول عن الثورات المحلية في مستهل هذا الكتاب •

واستعدادا من ثورة الشيخ ، بعد ان انتقلت الى الشمال ، وليس في حوزة قائدها الا عدد محدود من البنادق الحربية ، ذلك لان ثورة هنانو كانت تمدها جهات مختلفة ، وتمولها . وكان ابراهيم هنانو يرسل كثيرا من الامدادات الى الشيخ . وكان قائدا الثورتين يعتبران ثورتيهما ثورة واحدة ، تساند كل واحدة منهما الاخرى وتدعمها^(١) اذ انه حينما كانت تحتدم المعارك في جبهة هنانو كان المجاهدون يخفون من جبهة الشيخ لنجدة اخوانهم ، بالنظر لقرب المسافة بين جسر الشغور والحفة .

وكثيرا ما هجمت كتائب من ثورة هنانو لنجدة اخوانهم حينما كان العدو يحاول التغلغل الى الجبل من جهة الشرق بغية تطويقه .

ومن الانصاف للحقيقة والتاريخ أن تقرر هنا حقيقة واقعة وهي : ان استمرار الثورة في الشمال ، واحتدامها ، وثباتها كل تلك الفترة الطويلة ، انما يعود فضل كبير فيه للمرحوم ابراهيم هنانو .

وهي حقيقة يجب ان تذكر وان تسجل .
الشيخ يوفد رسولا الى تركيا :
وأوفد الشيخ صالح رسولا الى تركيا يحمل رسالة الى مصطفى كمال ، ومعه كلمة السر .

(١) راجع كتاب الايضاحات السياسية ، واسرار الانتداب الفرنسي في سورية ، وملاحم من نضالنا القومي . وتاريخ الثورات السورية .

ولكن كلمة السر قد تبخرت بعد جلاء القوات الفرنسية عن
تركيا ، وصفاء الجو فيها للحكومة الكمالية الجديدة !
• ولم يستقبل مصطفى كمال رسول الشيخ
• ولم ير منظرا يسره ، ولا وجها يبشره
• وقفل الرسول عائدا بخفي حنين
وثبت للشيخ أن موقف الاتراك السابق ، كان للضغط على
الفرنسيين ليس الا ••

ولما تحققت مطامعهم ومطامحهم ، عادوا الى عدائهم القديم
لكل ما هو عربي •• يؤثرون مصالح الاجنبي على مصالح جيرانهم!
ويعملون على تهديم كيانهم ، وتمزيق بلادهم ، وتسكين الاستعمار
فيها (١) •

ووقفوا نفس الموقف من المرحوم ابراهيم هنانو ، مع انهم
كانوا قد شجعوه لاعلان الثورة ، ووعدوه بالمساعدة • وبعد
اتفاقهم مع الفرنسيين كانوا يلقون القبض على المجاهدين ويعيدونهم
الى سورية ، او يسلمونهم الى السلطات الفرنسية على الحدود •
وهذا ليس بمستغرب من خلق الاتراك ، ولا بمستبعد عنهم •
ولنعد الآن الى متابعة الاحداث •

(١) ما تزال تركيا حتى الآن تقف في جميع المجالات الدولية ضد القضايا العربية
وموقفها من العرب في قضية فلسطين معروف • وسيذكره العرب في حاضرتهم
ومستقبلهم الى الابد •

معركة فتوح (١) :

في اوائل تشرين الثاني ، ١٩٢٠ ، دعا الشيخ وجوه القرى القريبة من « بشرافي » للاجتماع بهم على مقام « الشيخ حيدر الزهر » . والمذاكرة معهم بشأن الثورة ، ووجوب استمرارها حتى تخلص البلاد من نير الاحتلال .

(١) أبيات من قصيدة طويلة منسوبة للشيخ في وصف معركة فتوح :

ما كنت أحسب أن أرى بهوان	يوماً وأن يعدو علي زماني
حتى نزلت من البلاد بفتية ...	عقل الكهول ، وهمة الشبان
شم الأنوف يزين قوة بأسهم	يوماً على الوطن العزيز بجان
لما دعوتهم لنصرة دينهم	بيض الوجوه أعزة غران
وأتى العدو يريدني في حيهـم	جبل منيع راسخ الأركان
وغدت أيادي المارقين من العدى	قام الجهاد ، وبأسهم لباني
حتى إذا وقع القتال وروعت	بأشارة من غادر خوان
أبصرت ذلك الحين نصري مشرقاً	توحي الي مشيرة بينان
يا يوم فتوح ، ويوم شبابه	أبطالنا الأرواح في الأبدان
يوم أغر ، وفتية عربية	في وجه كل مجاهد مطعان
فيه التقى المتحاربون ، فيومهم	أفديك من يوم بكل زمان
رجل يذود عن البلاد ، وآخر	ترمي العدو بوابل النيران
ضعفت قوى جيش العدو فأصبحوا	فرد . ولكن الرجال اثنان
صرعى على وجه الصعيد تنوشهم	مستعمر قد باء بالخسران
وتفرقوا مشتتين على الثرى	متسربين من النجيع القاني
متخاذلين يرف فوق رؤوسهم	ضبع الفلا ، وكواسر العقبان
	بعد اجتماع الشمل في العمران
	شبح البلى ، ونواقع الغربان

وبلغ الفرنسيين أمر ذلك الاجتماع فسيروا خمسمائة جندي
لاعتقال الشيخ ، على حد زعمهم ، ومنع الاجتماع • واتخذ
الجنود الفرنسيون طريقا لهم في « وادي فتوح » ، وهو واد تقع
على جانبيه هضاب مرتفعة تشرف على مداخله ومخارجه اشرافا
تاماً •

وكان الجيش يسير سيرا وثيدا الخطى ، بطيء الحركات ، كأنه
واثق من نجاحه ، مطمئن الى سلامة الهدف الذي يسعى اليه •
وبلغ الشيخ أمر هذه القوة الزاحفة لقتاله • ولم يكن حوله
آنئذ من الرجال المسلحين غير ثلاثة : ابراهيم خليل شعبان ،
وابراهيم حبيب ، وعبدو مرشد ، وبعض العزل الذين لا يحملون
سلاحاً ، ولم يتصرفوا يوماً على استعماله •

هيئات لم تكن المدافع عنهم شيئاً ، ولا بلغوا بهن امانى

هاب البعيد لقاءكم والداني	باعصبة الصيد الفطاريف الاولى
تشكو العدو كثرة الاشجان	هذي مواطنكم تئن حزينه
من كيد كل منافق ملسان	ومن الكرامة ان تصونوا مجدها
وعدوكم من عنصر الشيطان	فلانتم جند الاله وحزبه
تنحط عنه أعزة الاكوان	لا ترهبوه انكم في معقل
صرح العروبة ثابت الاركان	صونوا البلاد من الدخيل وشيدوا
كي لا نعود للذة وهوان	لا تفشلوا عند الصدام ولا تهوا
حزم الرجال وعزمهم صنوان	ان التعاضد خير ما ترجونه
يسمو برفقته على كيوان	فتمنطقوا بالحزم تبنا معقلا
حسن الرضى والعفو والغفران	ما زال (صالح) راجياً من ربه

وأُسرع « آل عيد » لاستنفار أهالي قرية « بشراغي » ، والقرى المجاورة لها وهي : « سنديانا » ، و « جيبول » ، و « الحمام » ، و « آل سيف الدين » من قرية « الكنيسة » الذين أبلوا في معارك الشمال أحسن بلاء • فهبوا يحملون بنادق الصيد من قديم وجديد • وبلغت الحماسة ببعضهم ان اسرعوا وهم يحملون العصي والفؤوس كأنهم ذاهبون لسوق قطع من الغنم ، أو حفر خندق في الارض^(١) • وكان لتجبرهم ، ورباطة جأشهم ، وشدة بأسهم ، واقدامهم ، أثر كبير في لقاء الرعب في نفوس افراد تلك القوة الزاحفة • مما سهل للشيخ ورجاله الثلاثة مهمة القضاء عليها ، وكسرها شر كسرة •

واستمرت المعركة طول النهار • واتتهت باتتهائه • وحينما خيم الظلام على الوادي السحيق ، خيم عليه سكون رهيب مخيف • ولم يستطع النجاة من رصاص الشيخ ورجاله الا واحد وسبعون رجلا تسللوا تحت جناح الظلام ، بعد أن تركوا معداتهم وأسلحتهم وظلوا معتصمين في سراي « عين الشرقية » حتى أرسلت القيادة العسكرية جيشا لا تقاذهم • فعاد بهم الى هضبة « كلبو » قرب قرية « قصابين » • وقتل يومئذ اثنان من قرية « زاما فقط » •

(١) ومن الطرائف التي تروى عن هذه المعركة ان امرأة عجوزا شوهدت وهي تركض وفي يدها منجل حصاد • فسئلت : ماذا ستعملين بهذا ؟ فأجابت وهي راكضة : سأقطف رأسا بكل ضربة فتأمل بسالة هذا الشعب ، وقتاله وتصميمه على الجهاد •

ودوت اخبار النجاح في هذه المعركة حتى غمرت انحاء الجبل كله . ورددت أوديته وهضابه صدى « الله أكبر » والنصر للعرب » حتى كان لها صدى هائل في قلوب المؤمنين ، ونفوس المخلصين . وبدأ الناس يتقاطرون أفواجا للتطوع في الثورة ، والانخراط في صفوف المجاهدين .

وكان للسلاح الذي غنمه المجاهدون في هذه المعركة الضروس تأثير كبير في انجاح المعارك التي حصلت بعدئذ في تلك الجهات . واجتمع ممثلو بعض العشائر في ناحية « البودي » ، وكان يرأس ذلك الاجتماع المقدم ابراهيم صالح ، وعاهدوا الشيخ على السير تحت لوائه حتى الموت .

معركة وادي جهنم :

وكانت معركة فتوح ايذا ناباستمرار الثورة والتهابها ، فتحولت وجهة الجيش الفرنسي الى تلك الجهات . وسير حملة قوية كانت تستهدف تطويق قرية « شبراغي » ، وموقع الشيخ حيدر الزهر^(١) واحتلالهما ، والقضاء على الثورة الجديدة في الناحية الشمالية ، قبل أن يتسع نطاقها ، ويكثر انصارها .

وفي الوادي القريب من قرية « أبي قبليس » الذي أطلق

(١) ورد ذكر موقع الشيخ حيدر الزهر ، والشيخ محمد جوفين مرات عديدة

في الكتاب الذهبي الفرنسي .

عليه لقب « وادي جهنم » (٢) ، لكثرة الضحايا التي وقعت فيه
من جيش العدو ، كانت أولى الاصطدامات الهائلة ، بعد أن تم
تشكيل ثلاثة فيالق من المجاهدين •

(٢) من الشعر المنسوب الى الشيخ صالح العلي في وصف معركة وادي جهنم

من قصيدة طويلة :

فالنأي يا على ضواحيه حوم
خبر من حديثه قد تقدم
بشظايا نار وجيش عرمرم
أتت تبقي بلادي مفنم
وانتضيت الايمان بالله لهزم
عن نية العدى يتكلم
فلى من بينهم كل ضيفم
واقيات لمن الى الله سلم
بأن صرح مجدكم قد تهدم
على الفاصبين فهو محرم
فل جيش المستعمرين وحطم
كسوار اذا أحاط بمعصم
كقضاء من المهيمن مبزم
والموت خيال بأفقههم يتجهم
فتسيل النفوس في النقع عندم
والطائرات ، والله أعظم
من الله فوق رأسي خيم
لوجدت الاشلاء لحما بلادم
وتهاوت كواسر الطير حوم

حول الطرف دون وادي جهنم
وتصفح ذي قاره ما هو الا
زحف الجند من فرنسا لحربي
وجموع يضيق عن بعضها الرحب
فتصدت للجهاد وحيدا
ودعوت الكمأة للحرب ، والمدفع
الجهاد الجهاد ، يا علويون
وادرعنا من الثبات دروعا
صرخة من فمي دوت في بني الغرب
حولوا طرفكم عن الوطن الحر
ورميناهم ببوابل نار
وأحطنا بهم على ذروات
ما أراني في ذلك الحين الا
ان تراءيت يصعق القوم
ابعث الموت بالرصاص عليهم
عظموا بالعتاد ، والجيش ، والكثرة ،
ما وقاهم صوت المدافع ، والنصر
لو رأيت الجموع في القاع صرعى
عصفت صرصر الهلاك عليهم

وقد هزم الجيش الفرنسي في هذه المعركة أيضا شر هزيمة •
وقتل من رجاله عدد كبير كما استشهد في تلك المعركة بعض المجاهدين ،
بعد أن قتل أحدهم خمسة عشر جنديا وحده •

معارك مختلفة :

وظل الفرنسيون في حملاتهم المتكررة على منطقة الثورة ، حتى
يحولوا بين المجاهدين والتسركز هناك • ووقعت خلال هذه الفترة
اصطدامات كثيرة بين الثائرين وجنود العدو ، كان أبرزها معركة
« تل صارم » بالقرب من قرية « بسوطر » ، واستشهد في هذه
المعركة بعض المجاهدين ، كما قتل عدد من الجنود ، ومعركة

وتبارى المجاهدون يسدون عليهم	من حولهم .. كل مخرم
يا جلال التاريخ في صفحات المجد	خلد عنا حديثا مترجم
من رأى مثلنا وللموت سلطان	فناء على النفوس محكم
نتبارى الى الحروب ، ولا نرهب	موتا حيالنا يتجههم
ونفذه من نفوس الاعادي	فوق ما يبتغي غداء فيتخهم
الف الموت حربنا وسباع البر	والطير من فصيح وأعجم
حيث سرنا تظل موكبنا الطير	وتقفو الوغى فرادى وتوأم
قد كفلنا أقواتها وأزلنا	سقبنا من اذاه كانت تألم
لو درى الاجنبي قوة بأسى	ما تحرى أمر القتال وأبرم
لا وقى الله يا فرنسا سراياك	من الموت لا حمى لا سلم
ذاك وادي جهنم فاصطليبه	وانهلي ما ظمئت صابا وعلقم
ها هو المجد باسمنا يهتف الدهر	ويهدي التاريخ سفرا منم
والدنى ألسن تصوغ ثناء	والاهازيج باسمنا تترنم

« جب عسوس » الكائنة بالقرب من « نهر السن » • ولم تقع فيها ضحايا من الطرفين •

استئناف المعارك في الجنوب :

لما كان الفرنسيون ، قد حشدوا أكثر قواهم في منطقة الثورة الجديدة ، فقد قرر الشيخ أن يرسل كتيبة من المجاهدين الى الجنوب ، منطقة الثورة الاولى ، لاستئناف العمليات الحربية هناك ، واشغال الفرنسيين عن استعداد الشيخ للهجوم على مدينتي اللاذقية وجبله ، واحتلالهما ، بالاشتراك مع قوات ابراهيم هنانو التي كانت تعسكر يومئذ في مدينة جسر الشغور المتاخمة لمحافظة اللاذقية • وقد دارت في الجنوب معارك كثيرة ، أهمها :

معركة الدويلية :

في ٢٣ كانون ثاني ٩٢١ نشبت معركة صغيرة في قرية الديلية الكائنة شمال غربي القدموس ، بين عشرة مجاهدين ، وكتيبة من الجيش الفرنسي كانت في طريقها من مصيف الى بانياس • وقد عسكرت بالقرب من القرية المذكورة • واستأسد المجاهدون ، رغم قلة عددهم ، ووفرة خصومهم • فاستطاعوا أن يجلوهم عن القرية ، بعد ان قتل مجاهد منهم ، وجرح آخر • وقد خسرت الكتيبة ستة جنود ، وعددا من الجرحى •

معركة الديميس :

وفي ذلك المساء جاءتهم الاخبار ان كتائب فرنسية ستمر في

طريقها من بانياس الى القدموس • فكمنوا لها عند قرية « بارمايا »
الكائنة شرقي بانياس • وبينما هم يربطون هناك بلغهم أن بعض
اخوانهم محاصرون في « قلع الدربكية » الواقع بالقرب من قرية
« الديميس » • فهرع المجاهدون الى ذلك المكان • واذا بالقلع
هذا يقع على رابية تشرف على أرض منبسطة من جهة الشرق ،
وسلسلة هضاب مرتفعة مكسوة بالاشجار • وكان لا بد للمجاهدين
أن يلجوا تلك الارض المكشوفة قبل الوصول الى مكان القلع •
فأقدموا على ذلك • وكانت مغامرة خطيرة ، ومجازفة كبيرة •
وصب الفرنسيون نار رشاشاتهم عليهم ، وقد أصبحوا أمامهم في
الارض العراء • فاضطر المجاهدون للانكفاء والعودة الى مكانهم
بين الصخور المنيعة التي تحيط بذلك الوادي الفسيح • وشجع
ذلك اخوانهم المحاصرين ، فخرجوا من « القلع » ، وشقوا طريقهم
وسط الرصاص الذي كان يتساقط عليهم ، وهم يزحفون على
بطونهم ، حتى وصلوا الى مكان اخوانهم • وحينئذ أخلي « القلع »
بعد أن استشهد سبعة من المجاهدين ، وجرح عدد آخر • ولولا
البطولة النادرة التي أظهرها المجاهدون لأبيدوا عن بكرة أبيهم ، أو
أخذوا أسرى •

• وقتل من جنود العدو عدد لا يستهان به •

وقد أظهر عباس حبيب من قرية « الاندروشة » بطولة نادرة
المثال في هذه المعركة •

معركة رأس ماسم :

أدرك الفرنسيون خطورة الموقف ، وان قوى المجاهدين بدأت تتكاثر وتزايد . فبدأت قواتهم العسكرية تزحف وتتخذ لها مناطق سيهل منها الهجوم على منطقة الثورة . بعد تطويقها والاحاطة بها . وقد وجهوا عدة كتائب باتجاه (جبل الدرا ب) ، واحتلال جبل (رأس ماسم) ، وكان ذلك في ١٥ كانون الاول ، ١٩٢١ ، وعلم المجاهدون بخطة الفرنسيين الرامية الى تطويقهم ، فكانوا اسرع منهم بالوصول الى ذلك الجبل . حيث أقاموا فيه استحکامات قوية ، وسدوا المنافذ المؤدية له . ولما أطلت كتائب الفرنسيين أصلاها المجاهدون نيرانا حامية . فاضطرت للتراجع حتى قرية قصاين . وعسكرت في هضاب « كلبو » . وحفرت في جوانبها الاستحکامات مما ينم عن نواياها باستئناف الهجوم .

معارك البودي :

أسسها « معارك » نظرا لكثرتها ، وحدتها ، وتشعبها ، ووقوعها في مناطق متعددة .

في النصف الاول من شهر كانون الثاني ، ١٩٢١ ، بعد أن فشل الفرنسيون باحتلال « رأس ماسم » ، والاستقرار فيه ، عمدوا الى الهجوم على القراحلة الشمالية ، بعد أن ثقلوا قوات كبيرة الى تلك الجهات . وسيروا عدة كتائب الى قرية « عين شقاق » بقصد الالتفاف حولها . ولم يتح لهم التمرکز في ذلك

المكان اذ فاجأهم العقيد ابراهيم صالح ، البودي ، بهجوم عنيف مع عبد الهادي عباس ومجاهدين كثيرين . وكان لهذه المفاجأة أثر كبير في التغلب على تلك الحملة ، ومصادرة ما تحمله من عتاد وسلاح . وكان من بين الاسلحة المصادرة ثلاثة مدافع كبيرة صالحة للاستعمال . ولم يستطع المجاهدون الانتفاع بهذه المدافع واستعمالها ، لانه كان يعوزهم الخبراء والفنيون . وهكذا بقيت مع المدافع التي صودرت في معارك مختلفة الى نهاية الثورة حيث صادرها الفرنسيون مع بقية الاسلحة التي غنمها المجاهدون في مختلف المعارك .

وريع الفرنسيون لهذه الهزيمة الجديدة ، ينسئ بها جيشهم وهم في مستهل حملة جديدة ، يهدفون من ورائها الى القضاء على الثورة . فسيروا قوات كبيرة تسكنت من احتلال قرية «عين شقاق» وتابعت سيرها الى قرية « البودي » مدار الحركات الثورية في تلك الجهات ، ومقل الثوار الحصين .

وهناك بالقرب من الهضبة المسماة « زهر المزرعة » ، والكائنة شرقي « عين شقاق » ، قابلهم العقيد ابراهيم صالح ، وعبد الهادي عباس وبرفقتهما كثير من المجاهدين . واستبسل الفريقان ، وتشبث كل منهما بمكانه لا يتزعزع عنه . ووصلت نجدات كبيرة من القرى المجاورة لمعونة الثوار . وقد استطاعت أن تحدث ثغرة عميقة في صفوف الاعداء ، مما أرغم هؤلاء على الانسحاب الى

مدينة جبله بعد أن تركوا وراءهم عددا من القتلى دفنوا في قرية « عين شقاق » بالقرب من بيت الفقيد المرحوم نصور الحسن .

وادر ك الفرنسيون بعد هاتين الموقعتين ، والفشل الذريع الذي منوا به أنه من غير الممكن احتلال « البودي » من الامام فسيروا جحافلهم الى « القرداحة » ، بغية النفاذ منها الى « البودي » من الشرق والشمال . وقد لقيت هذه الحملة مقاومة عنيفة ، وعنيدة من ابطال « الكلبية » المغاوير الذين أقاموا في وجهها سدا منيعا من الرجولة ، والبطولة ، والاقدام . ولكن ضغط العدو المتواصل ، وكثرة الجيش الزاحف ، ووفرة ما لديه من عتاد ، وسهولة المواصلات في تلك الجهات ، قد مكنت العدو من احتلال « القرداحة » ، والتنكيل بأحرارها الميامين .

وفوجى أهالي قرية « البودي » باحتلال الجيش الفرنسي موقع « كنف البير » . ولم يشعروا الا والقنابل تتساقط عليهم من ذلك الموقع تساقط المطر . فهب « ابراهيم صالح » ورفاقه الابطال ، وتصدوا لتلك الحملة القوية ، بكل ما أوتوه من ضروب الشراسة والبطولة والعناد . وكانت كرتهم هذه من العنف بحيث أرغمت الفرنسيين على اتباع خطط مأكرة ، وأساليب خادعة ، فتظاهروا بالتراجع تاركين وراءهم بعض الجنود يختبئون وراء الصخور والادغال . وتريث المجاهدون قبل اللحاق بهم . وما طلع الفجر حتى وجدوا أنفسهم وقد ارتدت عليهم تلك الكتائب ،

وحاصرتهم من جميع الجهات ، ثم احتلت قرية « البودي » وأشعلت فيها النار •

وجن المجاهدون وهم يرون السنة اللهب تتصاعد من مساقط رؤوسهم ، ودور سكناهم ، وفقدوا الصبر والأتزان ، فالتقضوا على الفرنسيين الحائلين بينهم وبين « البودي » أنقضاؤا النسور • وهنا دارت معركة عنيفة رهيبة استعمل فيها السلاح الأبيض • وتضاءلت قوة السلاح أمام قوة الرجال وبسالتههم واستماتتهم • ولم تغب شمس ذلك النهار حتى كان الفرنسيون قد اندحروا أسوأ اندحار ، وكسروا شر انكسار تاركين وراءهم عددا كبيرا من القتلى والجرحى •

وقد استشهد في هذه المعركة الضارية كثيرون من المجاهدين منهم : محمد اسعد دوبا ، وحسن سليمان يوسف ، البودي ، وصالح عمران يوسف ، « العرقوب » •

معركة الاجرد ورأس ملوخ :

بعد انخزال الفرنسيين في معارك « البودي » عمدوا الى حشد قوات كبيرة في مدينة جبله ، وتعزيز كتائبهم في بقية الجهات المحتلة ، بعد ما ترامى اليهم عن تهيو الثوار للهجوم على جبله واحتلالها • وسيرت القيادة الفرنسية جيشا عرمرما ضخما ، مجهزا بكل أسلحة الهجوم ، تخفزه الطائرات ، وتحميه المدفعية والدبابات • وكان ذلك في ٢٠ كانون الثاني ، ١٩٢١ ، وكانت وجهته قرية

« بشرافي » مركز قيادة الثورة في الشمال • وقبل أن يصلوا الى التلال المرتفعة فوق تلك السهول المنبسطة عاجلهم الشيخ بالهجوم • وهنا بدأت أعنف معارك الشمال • وكان الى جانب الشيخ بعض الضباط الذين أوفدهم ابراهيم هنانو لمساعدته في قيادة الثورة • وقد بدا على تلك المعركة طابع نظامي دقيق ، من حيث الكر والفر ، والهجوم والدفاع ، ومحاولة الانكفاء والالتفاف و • • ما أشبه • واستبسل الفريقان أيما استبسال ، واستمات كل منهما بالدفاع والهجوم • وكان الشيخ ورجاله يحتلون مواقع أكثر استراتيجية وأهمية • ولكن ذلك لم يحل بينهم وبين فداحة الخسائر التي نكبوا بها • ولولا أن وفدت لنجدتهم كتائب من المجاهدين آخر النهار لحلت بالمجاهدين كارثة أدت بهم الى مصير وخيم ، ولتمكن العدو من محاصرتهم والاحاطة بالمواقع التي يحتلونها من سائر الجهات • ولكن كتائب المجاهدين المنجدة قضت على محاولة الحصار والتطويق • وكان لوصولها المفاجيء تأثير معنوي ومادي في سير المعركة • فاضطرت مينة الجيش الزاحفة للانكفاء تحت ضغط المجاهدين المستميتين ، وتبعتها بقية كتائب الجيش • وأرغم العدو على التراجع والانسحاب بعد أن مني بخسائر فادحة في الاموال والارواح •

واستشهد عدد من المجاهدين ، في طليعتهم العقيد احمد عبد الحميد • وكان من قادة الثورة البارزين والمحنكين ، وكان

لاستشهاده أثر عميق في نفوس الثائرين جميعا ، وفي طليعتهم
الشيخ^(١) كما استشهد ابن عمه خليل محمد ، وعلي وطيفة ،
وسليم نيوف ، وحمود محمود • وجرح مجاهدون كثيرون •
واصطبغت تلك البطاح بلون الدم القاني حتى أصبحت وكأنها
مظلية باللون الاحمر •

وغنم المجاهدون سلاحا كثيرا واعتدة حربية ضخمة •

مناورات العدو واحتشاداته :

بعد الخسائر الفادحة التي مني بها الفرنسيون ، والهزائم
المتوالية التي نكبوا بها ، انسحبوا من المواقع التي كانوا
يحتلونها في الجبال الشمالية • وعسكرت قواهم على طول الساحل
الممتد بين مدينتي جبلة وبانياس • وكانت كثافة الجيش في قرية
« البرجان » و « نبع السن » •

وكان الفرنسيون يرسلون بعض القطع الميكانيكية لترصد
الناس على الطرقات ، وتتعبهم ، وتقتل بعضهم ، وتنهب وتسلب
وتخرب • وكان المجاهدون يشتبكون مع هذه القوات ، التي
كانت تتبع سبل القرصنة ، ويلحقون بها خسائر ، ولا يسلمون
هم من بعض الخسائر •

(١) في حفلة عيد الجلاء ، ١٧ نيسان ١٩٤٦ ، نوه الشيخ بخطابه عن بطولة
المجاهد احمد عبد الهادي ، وعن أسفه العميق لانه لم يعيش حتى يشهد بنفسه هذا
المهرجان •

وكانت غاية الفرنسيين من ارسال هذه الدوريات اما جس النبض ، أو الهاء الثائرين واشغالهم دائسا ، والاحتفاظ بالمبادرة أن تظل بأيديهم •

وكانت المدفعية البعيدة المدى ، والطائرات المتلصصة ما تقتأ تقذف حممها على مناطق الثوار ، دون أن تستطيع التسديد الى هدف معين ^(١) • والغاية من ذلك التدمير ، اشاعة الرعب والذعر والفوضى •

العدو يحتل جبل قرفيص :

وفي ١ آذار ، ٩٢١ ، زحفت كتائب فرنسية قوية عن طريق « عرب الملك » و « البرجان » لاحتلال جبل « قرفيص » والقرية التي تقع على سفوحه ، والمطل على « نهر السن » • ودارت رحى معركة عنيفة استمرت يومين كاملين انتهت بانتصار القوات الفرنسية بعد أن تكبدت خسائر فادحة ، واستشهد عدد من المجاهدين بينهم « احمد عليما » ، كما جرح عدد كبير منهم في طليعتهم العقيد يوسف عيد •

وقد كهل للفرنسيين احتلال جبل قرفيص نقطة ارتكاز هامة •

(١) كان أهالي بعض القرى مجتمعين ، كعادتهم ، في عرس حافل يرقصون ويهزجون • وقد شاهدت احدى طائرات الاستطلاع هذا التجمع • فتخلتة اجتماعا لشن هجوم ، وما هي الا فترة وجيزة حتى كان سرب من الطائرات يحوم فوق تلك المنطقة ويقذفها بقنابله المدمرة • وكان في ذلك العرس بعض المجاهدين الذين تمكنوا من اسقاط احدى تلك الطائرات • وأصيب عدد من النسوة والاطفال بجراح مختلفة.

ومكنه من التحكم في الجبهة الجنوبية لمنطقة الثوار •

معركة جور البقر :

وفي ١٥ آذار ، ١٩٢١ ، زحف الفرنسيون على قرية « جور البقر » ، و « تل ايرس » من مركز « البرجان » • فقابلهم المجاهدون بنيران حامية ، وبسالة لا تضاهى • وسروا أقدامهم في خنادقهم لا يرحونها • ودافعوا عن مواقعهم دفاع المستميت واستمرت هذه المعركة حتى منتصف الليل ، ثم انجلت عن اندحار العدو بعد أن تكبد خسائر فادحة •

واستشهد في هذه المعركة بعض المجاهدين ، منهم المرحوم علي فضل صارم •

غزوات الثوار :

كان الثوار خلال هذه الفترة يشكلون العصابات حيث تكمن لدوريات العدو ، وقواته المتنقلة ، فتهاجمها ، وتوقع بينها الخسائر الفادحة ومن ثم تعود الى قاعدتها •

وكثيرا ما هاجمت هذه العصابات أماكن تركز العدو ، بعد أن تكون قد شغلته بهجوم صوري ، يقوم به بعض المجاهدين في مكان آخر بعيد • وحينما يلعلع الرصاص ويتجه الجيش الى تلك الناحية كان الثائرون يباغتون العدو من المكان الذي أرادوه للهجوم ، وتهيأوا • وقد نجحت معهم هذه الخطط نجاحا هائلا وكانت تكبد العدو خسائر بالاموال والارواح •

هجوم الثوار على جبلة :

• كان الشيخ كما قلنا يهد السبيل ، ويتهيأ لاحتلال جبلة . وكانت المخابرات قد جرت بينه وبين ابراهيم هنانو على أن يكون الهجوم مشتركاً ، حيث تقوم قوات هنانو المرابطة في جسر الشغفر بالهجوم على اللاذقية يعاضدها المجاهدون في قضاء الحفة يقودهم عسر البيطار ، بنفس الوقت الذي يبدأ فيه هجوم قوات الشيخ صالح على مدينة جبلة ، والمعسكرات المحيطة بها .

وكان الشيخ دائب التنقل في مناطق الثورة ، لاعطاء توجيهاته ، ولتفقد الاستحكامات ، وتعزيز جبهة الدفاع .

وفي احدى الفترات التي كان فيها الشيخ بعيداً عن مركز القيادة دفعت الحمية والعاطفة بعض العقلاء للهجوم على ثكنات الجيش الفرنسي واحتلالها ، والهجوم على جبلة بنفس الوقت .

وكان هؤلاء العقلاء يعتقدون انه لا بد من أن يحققوا أملهم وطموحهم باحتلال المواقع التي يتركز فيها العدو ، ويتخذ منها تكأة قوية للهجوم عليهم ، واصلاًتهم نيراناً حامية بين وقت وآخر . وإذا لم يتمكنوا من تحقيق أملهم كاملاً فانه لا بد من ان يغنموا قسماً كبيراً من العتاد الحربي الذي أصبح نادر الوجود . وهم لا سبيل اليه الا عن طريق ما يستخلصونه من الجيش الفرنسي نفسه .

وجهز العقلاء محمد عيسى ، وعلي مفلح ، ومرشد شيخا

حملة قوية من المجاهدين سارت تحت لواء « الشيخ علي عبد الحميد عيد » • وقسمت هذه الحملة الى خمس فرق : اتجهت اولها الى مدينة جبلة ، وكان يرأسها عبود المرشد • والثانية الى البرجان وكان يرأسها محمد سلمان • والثالثة الى « عرب الملك » ، وكان يرأسها محمد صالح عيد • والرابعة الى « قرفيص » ، وكان يرأسها علي حسن زينة • والخامسة الى « القاموع » وكان يرأسها جبور مفلح •

واختاروا منتصف الليل وقتا مناسباً للهجوم • ولكن العدو ، بواسطة جواسيسه ، كان وكأنه على موعد معهم • وما ان وصلوا الى قرب الاسلاك الشائكة ، وقد بدأوا ينشرون فوقها « بسطا » من الصوف ^(١) لا تنفذ منها الاسلاك الشائكة واذا بنيران العدو المترقب يلقظ تنهال عليهم من كل جانب وكان بعضهم قد تخطى الاسلاك ، وبعضهم ما يزال في محاولته ••• وساد المجاهدين ذعر واضطراب وفوضى • وهنا كان لا بد لهم من الارتداد ، وكان بعضهم بين الاسلاك ، وبين العدو الذي هبت كل كتائبه لاطلاق النار •

واسر بعض المجاهدين ، واستشهد منهم خمسة عشر ، على

(١) هذا النوع من « البسط » ينجد في القرى • ويستعمله سكان الارياض وهو بانسجامة وتماسكه أشبه بلوح من الخشب لا تنفذ منه الابرة الا بصعوبة •

رأسهم المرحومان « عزيز حربا » قرية جيبول ، وسليمان محمد خليل •

ومني المجاهدون بهزيمة نكراء كان لها أسوأ الوقع في نفوسهم ، وفي نفوس المواطنين المخلصين كافة •

ولما علم الشيخ بما حصل عاد مسرعاً الى عرينه ، ففصل بعض العقداء نظراً لتهورهم قبل استشارته ، والرجوع اليه ، وهو القائد الذي لا يجب ان يصدر امر الا منه او بتوجيهه ، وأبعد عدداً من المجاهدين عن حظيرة الجهاد •

وساد الجبهة شيء من الجمود ، ما عدا الدوريات من الطرفين ، حيث تصطدم مع بعضها أحياناً ، وما عدا الهجمات التي تشنها العصابات التي كان يرسلها الشيخ لقطع الطريق على قوات العدو ، او بعض الاغارات المحلية لاستخلاص بعض الذخيرة او ايقاع بليلة وذعر في صفوف الفرنسيين •

وكان العدو من جانبه يقذف منطقة الثورة بمدفيعته ، ويرسل دورياته الميكانيكية على الطرقات ، والى منافذ الجبال •

الموقف العام :

أما موقف الشائرين المرابطين في الجبال فانه لم يطرأ عليه أي تغيير ، أو تبديل أساسي • وظلت الجبهة الشمالية متماسكة العرى ، متحدة الخطى ، منيعة الجانب صعبة المنال •

وعجز الجيش الفرنسي رغم وسائله الكثيرة عن احتلال الجبال

ما عدا جبل قرفيص ، أو النفاذ إليها • وظلت قواته الكثيفة مرابطة في الساحل ، تحميها المصفحات ، وتخفرها الطائرات • والثائرون كامنون في أعلى الهضاب ، وعلى سفوح الجبال يترقبون ويتهيؤون ولكن فكّي « الكماشة » ، كانا قد قاربا الالتقاء من الشمال والجنوب • وقد أصبح الثائرون في وضع اقتصادي وعسكري لا يحسدون عليه ، بعد أن أوشكت ذخيرتهم على النفاد ، ونضبت روافدها ، وقلت مواردها •

تموين الثورة :

لا غرو ان احتلال الفرنسيين البلاد السورية كان ضربة قاسية على الثورة ، وايدانا باخامادها ، والقضاء عليها • فبعد أن كان فيصل يمونها بكل ما تحتاج اليه من عتادحربي ، ويمدها بمساعدات مادية متوالية ، أصبحت وهي أحوج ما تكون الى من يساعدها عن طريق البيع ، ولو بأثمان مرتفعة •

وقام ابراهيم هنانو بقسط وافر من هذه المهمة ، حينما نشبت ثورته في بعض أقضية حلب • ولكنه بعد أن اضطر لالقاء السلاح ، والخروج من البلاد ، أصبحت الثورة في جبل العلويين ، ولا مورد لها الا ما تستخلصه من أنياب العدو •

وكان العدو يعرف حاجة المجاهدين الملحة للذخيرة ، وان استمرار الثورة يتوقف على مدى ما ينتزعونه من جنوده حين الالتحام ، فعمّم على جنوده ألا يخلفوا وراءهم في ساح الوغى ، مهما تكن نتيجة المعركة ، أي قطعة سلاح صالحة ، أو أي طلقة

أو قذيفة نافعة • وكان من العسير جدا أن يستطيع المجاهدون الظفر بأي قطعة سلاح صالحة للاستعمال • وحتى في المعارك التي كان الفرنسيون يضطرون فيها للانسحاب والتخلي ، مرغمين ، عما يحملون من سلاح وعتاد كان الجنود يحرصون على اتلاف كل تلك المعدات قبل أن يجلوا عنها حتى لا يستفيد منها رجال الثورة ، الذين كانوا يعتمدون الى حد بعيد على الاسلحة التي كانوا يغمونها من العدو •

ولا ريب أن أكفء المؤمنين بعروبتهم وقوميتهم ، وبحقها في الحياة الحرة الكريمة ، سواء في المهجر ، أو المدن السورية ، وفي الجبل العلوي نفسه ، كانت ما تزال تندى بالتبرعات الخيرة للمجاهدين • ولكن رغم الحاجة القصوى لهذه التبرعات كانت الفائدة منها في شراء السلاح معدومة ، بعد ان بثت حول الثورة العيون والارصاد من كل جهة ، وفي كل مكان • وأصبحت قطعة السلاح لا توجد الا بشق الانفس مهما دفع في سبيلها ثمن باهظ • وتطوع مجاهد معروف اسمه محمد الارناؤوط لاستيراد الاسلحة من فلسطين عن طريق لبنان • ووصلت الصفقة الاولى بأمان • وكانت الثورة بحاجة ماسة الى تغذية دائمة لا تنقطع ، حتى لا تنقطع باقطاعها سبل الحياة •

وعاد محمد الارناؤوط مرة اخرى • ومرة اخرى تعاقد على صفقة كبيرة من السلاح يبلغ ثمنها عشرات الالوف من الليرات الذهبية • ورتب ارسالها بواسطة قوافل يتعهد بعض اللبنانيين

المستأجرين ايصالها الى حدود الجبل العلوي ، نهر الكبير •
ووصلت القافلة الاولى وهي محملة على أربعة عشر جملا •••
وتابعت سيرها حتى وصلت قرية « تل وعاي » التي تقع جنوبي
مدينة صافيتا على بعد بضعة عشر كيلو مترا • وهناك أدرك القافلة
الصباح فاضطرت للتوقف • وكان للفرنسيين عيون في كل مكان ،
وعرف الفرنسيون بالقافلة فأسرعوا لمصادرتها • وعلموا أن هناك
قوافل اخرى ما تزال في الطريق • فنصبوا لها الكمائن ، وصادروها أيضا •
ووقع هذا النبأ وقوع الصاعقة على الثوار • وأدرك الشيخ
أن الثورة قد اقتربت من نهايتها ، وانه أصبح يحارب بلا أمل •
ولكنه أبى الاذعان للامر الواقع ، ورفض الاستسلام •

معسكرات الجيش الفرنسي :

في تلك الاثناء كان الجيش الفرنسي قد أكمل استعداداته
وتأهبه للهجوم • وحشد قواته الميكانيكية الهائلة في الامكنة
التي كانت تحيط بمناطق الثورة من جميع الجهات : من جسر
الشغور ، الى اللاذقية ، الى جبلة ، فبانياس ، فطرطوس ، فصافيتا ،
فتلكلخ ، فمصياف • اذ كانت تحتشد في تلك الانحاء كلها قوى
فرنسية هائلة • وذلك عدا عن الاماكن التي كان يحتلها الجيش
في قلب الجبل ، والتي كانت تشكل نقطة ارتكاز هامة في تلك
المناطق الحصينة •

وحرص الفرنسيون على أن تحتشد قواتهم الرئيسية في
الاماكن المؤدية الى منافذ الجبال ، ومسارب الاودية • وهم يرمون

من وراء ذلك كله الى ان تنطلق تلك القوى الكثيفة بأسرها في وقت واحد ، مستهدفة مناطق الثوار .

ولم يأل الفرنسيون جهدا باعتقال جميع الاشخاص الذين كان يشتبه بأن لهم علاقة مع الثورة ، أو اتصالا مباشرا ، أو غير مباشر ، مع الشيخ . وكانوا يحتفظون بأولئك المعتقلين في ثكناتهم العسكرية بمثابة «رهائن» يتخذونها وسيلة لتشييطهم أنصارهم ، وأقربائهم ، ومؤيديهم . وكانوا حريصين على أن يظهر هؤلاء المعتقلون في الامكنة التي يحتشدون بها ، أو يمرون منها . وكانوا يمكنونهم أيضا من الاتصال بالناس لتشييط هم المؤيدين والاقرباء ، كما أسلفنا .
معنوية الاهلين :

ولابد لنا من وقفة قصيرة ندرس بها وضع الاهلين في الجبل العلوي ، وحالهم ، ومعنوياتهم . ونلم ولو المامة خاطفة بأحوالهم المعنوية والمادية بعد انقضاء هذه المدة الطويلة على قيام هذه الثورة في جبلهم المحدود .

وانه ما من ريب أن ثورة كبرى كثورة الشيخ صالح تستغرق هذه المدة الطويلة ، الطافحة بجسيم الاعمال ، وجسيم الخسائر ، في مثل تلك البيئة الساذجة ، والارض الضيقة الشحيحة .

أجل ، لا ريب أن ثورة كتلك الثورة الرهيبة ، قد اضطرت نيرانها ، واشتعلت ، في بقعة من الارض تشكو من كثافة السكان ، وضيق الموارد ، وقلة الانتاج . وأهل الجبل مضطرون الى تدارك أسباب معيشتهم من خارجه ، نظرا لضيقه ، وفقرهم ، ولقلة وسائل

العمل والانتاج • وكان ذلك الحصار الذي فرضه الفرنسيون على الجبل من شتى نواحيه عائقا قويا في سبيل الساعين وراء الرزق والباحثين عنه هنا وهناك ، لا ريب ان ذلك الحرمان الذي سببته ثورة دامية أدت الى حصار رهيب — لو تمكن لسد منافذ النور والهواء — كان من شأنه أن يترك رواسب عميقة من الألم المكبوت في قرارة النفوس •

ومع ذلك فقد تحمل أبناء الجبل تلك الضائقة التي ألمت بهم من جراء ذلك الحصار ، وعنف تلك الثورة ، بقلوب لا تعرف الوهن ، وعزائم لا تعرف الضعف • ورغم ان تلك الضائقة كانت تؤدي بحياة الكثيرين منهم ... فان أكثر الناس كانوا مجمعين على الاستمرار بالنضال ، حتى يكتب الله للمؤمنين النصر ، أو الاستشهاد • ولكن مثل هذا الايمان ، ومثل هذا الصبر حدا •

وبعد أن عرف الناس أن موارد الثورة من السلاح قد انقطعت ، وانه لم يعد ثمة أمل بالاستمرار ، وجد بعض قادة السوء ، ودعاة الهزيمة منفذا لدعاياتهم ، ودسائسهم ، ونفاقهم •

وان ذلك لما يعيب ويشين • ولكن التاريخ حافل بأمثال هذه الحوادث التي لا ينجو من حقيقتها الموحجة أي شعب متحضر ، مهما بلغت حضارته ، ومهما بلغ ايمانه بالحياة ، حينما يرى أنه لم يعد له أمل ، ولم تبق له بقية رجاء •

وان أكثر الشعوب جلدا وصبرا ، وتحملا في سبيل فكرتها القومية لا تستطيع أن تتحمل أكثر مما تحمله العلويون من أعباء

جسام ، ومصاعب عديدة ، في غضون تلك الفترة الرهيبة .
وما نريد أن نسجل هنا على العلويين انهزام الروح قبل انهزام
الجسد ، ولا ان نصممهم بوصمة التقاعس ، والتخاذل ، والاستسلام ،
ولكننا ونحن نؤرخ للاجيال المقبلة لا نستطيع اغفال حقيقة وواقع ،
ولا التهرب من ذكرهما ، والاعتراف بهما ، وهو ان فقدان الامل ،
بعد فقدان السلاح ، قد كان له تأثير كبير في اضعاف المعنويات ،
وتأثير كبير عند الهجوم الفرنسي الكبير ، في المرحلة الاخيرة .
الهجوم الاخير :

كان ذلك في ١٥ حزيران ، ١٩٢١ ، حينما هجم الجنرال « نيجر »
بجيوشه الجرارة ، وقذف بها في مختلف الاتجاهات جاعلا هدفها
جميعا معقل الشيخ في قرية بشراغي .
وتدفقت الجيوش الفرنسية من سائر المسارب والمنعطفات ،
كما يتدفق السيل الجارف من أعالي الجبال .
وابتدأت هذه الكتائب بالتدفق من « قرفيص » الى « الدراب »
الى « بشراغي » الى « بسماخ » الى « عقبة الزرزار » الى
« وادي جهنم » الى « الحيلونة » الى جبل « النبي صالح » الى
جبل « النبي متى » على جبهة واسعة طولها عشرات الكيلومترات .
وفقدت قيادة الثورة اشرافها المباشر على سير المعارك ، وأفلت
من يدها أمر الرقابة على الجبهة التي تدور فيها معارك القتال ، بل
على الجبهات . . لان القتال كان في كل قرية ، ومنعطف ، وهضبة ،
يوجد فيها مخايب للشوار ، ومعازل لهم . واصبحت كل فئة من

هؤلاء تعمل مستقلة عن الاخرى ، وهي تستوحي طرق القتال من توجيهها وتفكيرها . واتخذ الانهزاميون من تفكك الجبهة مجالا رحبا للعمل على نشر الانباء المثبطة للهمم والعزائم . ونشطت حركة هؤلاء بين أوساط الثائرين نشاطا ملحوظا ، وكان لهم يد طولى بزرع الشك واليأس في نفوس المواطنين ، وحمل بعضهم على القاء السلاح .

حاجة المجاهدين الى السلاح :
ونضبت الذخيرة ، والمجاهدون في أمس الحاجة اليها . والمعركة دائرة الرحى ، رهيبة ، عنيفة ، فاصلة ، . وكان لتسلل القوى الفرنسية الى مناطق الثورة المختلفة ، وفصل بعضها عن بعض ، والاحاطة به من كل جانب ، تأثير كبير في فقدان الذخيرة ، وندرة السلاح . اذ انه حينما تكون الجبهة متماسكة متساندة يشد بعضها ازر بعض ، ويدعم فريق أخاه .

وكان المجاهدون وهم في زحمة الاحداث ما يزالون يرجون وصول نجات و امدادات سريعة . وأشاع الانهزاميون بينهم خبر الاستيلاء على الاسلحة التي كان ينقلها محمد الارناؤوط . ففت ذلك في عضدهم ، ودفع اليأس القاتم الى نفوسهم . ومع ذلك فلم يستسلم منهم الا قلة لم يعد بمكنتها متابعة النضال . وظلت الكثرة الكاثرة تناضل وتقاوم أياما طويلة حتى فقد كل ما تحمله من ذخيرة ، ولم تنفذ رغبتها الجارفة في حب الجهاد والاستشهاد .

اتهاء الثورة :

ان الثورة لم تنته دفعة واحدة في جميع الاماكن . بل أن
كتائب من المجاهدين موزعة هنا وهناك ظلت تقاتل لوحدها حتى
آخر طلقة كانت تحملها . والمجاهدون الذين كان لديهم مقادير
أكثر من الذخيرة ظلوا يحاربون ويقاومون حتى لم يعد مع أحدهم
طلقة واحدة . فروح الثورة ، ومبدأ الجهاد كانا متأصلين في نفوس
المجاهدين جميعا . حتى أن احدا منهم لم يستسلم الا بعد أن
تهدت منه الذخيرة ، ولم يعد له أمل بالحصول على المزيد منها .
فاضطر الثائرون للتسليم .

وهكذا انتهت تلك الثورة الجبارة . وانطوت بانطوائها
صفحة مجيدة من صفحات المجد والنضال ، والكفاح والجهاد .
الاتقام من السكان :

ما عرف التاريخ القديم والحديث أمة أكثر همجية من الفرنسيين
حين ينتصرون ، وحين ينتقمون . والاتقام بعد النصر من صفات
الحيوان ، وليس من صفات الانسان . فالرجل الشريف يترفع عن
الاساءة الى خصمه بعد أن يهزمه ، ويتغلب عليه . ولكن الفرنسيين
يزدادون وحشية وهمجية بعد انتصارهم ، ويعمدون الى وسائل
تخط من قيم البشر ، وتتدننى بهم الى أسفل درك الانحطاط .
والا فها ذنب المدافعين عن كرامتهم ، والذائدين عن حياض
بلادهم ، والناذرين أنفسهم واموالهم لخدمة عقائدهم ومبادئهم ؟
هل يعتبر الذين يدافعون عن بلادهم ، في بلادهم خونة

مجرمين ، ولا يعتبر اولئك الذين يعتدون على الناس ، في بلاد
الناس ، ويحاربون في عقر دورهم ، ويقاثلون الوطنيين للاستيلاء
على وطنهم ؟ !

هؤلاء حقهم في الاعتداء مشروع ! واولئك حقهم في الدفاع

غير مشروع !

واذا كانت فرنسا ترى في دفاع السوريين عن بلادهم جريمة
منكرة ، وخيانة حمقاء ، وخروجا على قواعد العدل الدولي ،
فلماذا لم تر في مقاومتها للمهاجمين الالمان ، جريمة وخيانة ، وخروجا
على القواعد الدولية ؟ ! • أم أن للقوة منطلقا يحل لها ما يحرمه
على بقية الناس ؟

انه لمن سخط القدر أن يكون بين الناس ظالمون ومظلومون ،
وحاكمون ومحكومون ، ومستعبدون ومستعبدون •

انه لمن سخط القدر ان تتولى امور بلادنا حقبة طويلة من
الزمن دولة رعناء كفرنسة لا تعرف ضميرا ، ولا شرفا ، ولا كرامة •
رجال آمنون ابرياء ، ونساء آمنات بريئات ، استباح الجيش
الفرنسي الدخيل ، بعد انتهاء الثورة وقبل انتهائها ، حرمة أمنهم ،
وقداسة طهرهم ، فأعملوا بهم تسكيلا وتقتيلا • • وعاملوهم أسوأ
معاملة ، يعامل بها انسان من حيوان ! فنهبوا قراهم ، ثم أحرقوها !
وعذبوا أجسادهم ، ثم أعدموها ! وتفننوا في ضروب الاذى
والانتقام ، ما لم يتح لغيرهم ان يقدم عليه ، أو يتفنن به • • !
ان الوحشية والاستعمار صنوان متلازمان ، وخلان لا يفترقان •

وخجل التاريخ ، وندي جبينه حياء ، من فظائع الفرنسيين ،
في جبال العلويين . واما الشرف والكرامة فانهما لم يخجلا من
فرنسة ، لانهما لم يعرفا فرنسة .
اين الشيخ ؟

ومنّى الفرنسيون أنفسهم بالقبض على الشيخ ، فأحاطوا بعينه
من جميع الجهات . وخيل اليهم أنهم قد سدوا عنه منافذ النور ،
ومسارب الماء والهواء .

ودامت الحال أياما ، وهم يأملون أن ترتفع الراية البيضاء ،
وان يعلن الشيخ الاستسلام . وراعهم أن الراية لم ترتفع ، وان
العرين ما زال محكم الاغلاق في وجوههم .
وجاءتهم الانباء ان الشيخ في غير هذا العرين . وان للاسد في
كل أرض يطؤها عرينا .

وكانت صدمة عنيفة استشاطت لها نفوسهم غيظا وغضباً .
واضطربت لها ألما وحقدا . . وأيقنوا أن النهاية لن تكون الا بعد
ان يتم القبض على القائد الاول ، والبطل الاول ، والمجاهد الاول .
ونشطت جواسيسهم هنا وهناك . . وأعلن عن جائزة كبيرة
لمن يدل على مكان الشيخ . . . وكثر الوعد والوعيد ، والرجاء
والتهديد . ولكن ذلك لم يجدهم تفعا ، فالشيخ ما يزال في مكان
عصي ومجهول ، يتهيا للثورة ، ويتأهب للقتال . ولم يكن بالامكان
اعادة الجيش الفرنسي الى ثكناته الاولى ، ما دام الشيخ حرا
يتنقل هنا وهناك . وقد يعمد لاشعال ثورة جديدة كما فعل بعد

ان احتل الجيش منطقة الثورة في الجنوب ، فأشعلها الشيخ أكثر حدة وضراما في الشمال • وبقيت تلك الجيوش الجرارة تعسكر في الجبال، وهي تشق الطرقات، وتبني الشكنات ، وتقيم الاستحكامات • وما دام الشيخ في مكان عصي مجهول ، لا يهتدي اليه الفكر ، ولا تناله الايدي ، فان الفرنسيين سيظلون في حركة دائبة، ونشاط مستمر ، وقلق جد عظيم •

الفرنسيون يحكمون على الشيخ بالاعدام :
لما فشل الفرنسيون بالقاء القبض على الشيخ ، ومحاكمته وجاهايا ، التأمّت محكمتهم العسكرية ، وأصدرت حكمها باعدام الشيخ • ونشر هذا الحكم في بلاغ مطبوع وزعته الطائرات على سائر أنحاء الجبل • ومع هذا البلاغ تهديد باعدام كل من يؤوي الشيخ في بيته ، أو يراه ولا يخبر عنه السلطات الفرنسية ، ومعه أيضا وعد بجائزة مائة ألف فرنك فرنسي لمن يرشد الى مكان الشيخ • ولم تمض أيام قليلة ، حتى عمم هذا البلاغ على جميع الاهلين في الجبل العلوي كله • واستولى الهلع والقلق على نفوس الناس خوفا على حياة قائدهم ، وزعيمهم ، وشيخهم • وود كل مخلص أن يكون بيته ملاذا للشيخ ، يحميه من أعين الاعداء ، ولو أدى الامر الى تعذيبه ، وأفضى به الى الاعدام •

وضحك المخلصون من تهديد الفرنسيين ووعيدهم ، مثلما ضحكوا وسخروا من الجائزة التي وعدوا بها كل خائن يقبل على نفسه أن يكون « يهوذا » جديدا • • يتحمل لعنة الاجيال •

ورددت الهضاب والادوية كلمة : لا • اللهم : لا •
اختفاء الشيخ :

وكان الشيخ في اختفائه لا يستقر في مكان ، ولا يخلد الى
الهدوء في مكان • وانما كان دائب التنقل والتجول من مكان الى
مكان • • وقد أمعن في اخفاء مظهره حتى كان أقرب المقربين
يلتبس أمره عليه •

وصدف مرات عديدة أن التقى به جنود فرنسيون ، في أمكنة
مختلفة ، من مناطق الثورة ، فكانت صورته الموزعة عليهم تختلف
عن هذا الفتى الوسيم ، ذي الهيئة التي تدل على الصلاح والبراءة ،
لا على القسوة والعنف • وكان كلما التقى به جنود فرنسيون تنقذه
منهم رباطة جأشه ، وسرعة خاطره •

حدثنا الشيخ أنه أقام على جبل « الشيخ حيدر الزهر » أياما
مختبئاً بين صخوره المنيعه ، وأشجاره الكثيفة • وليس معه الا
خادم أمين ، كان يصطحبه معه في غدواته وروحاته ، ولم يكونا
يسيران معا على طريق واحدة ، الا ما ندر ، وانما يلتقيان معا في
مكان معين ، حتى لا يستلقتا الانظار • ولما نضب الزاد من الشيخ
حاول الانتقال الى مكان آخر ، واذا بكتائب فرنسية تحاصر ذلك
المكان ، وتحيط بالجبل من جهاته الاربع • ولم يعد هناك أمل
بالنجاة مهما تعددت المسالك ، وكثرت السبل ، لان الفرنسيين
كانوا على علم بوجود الشيخ ، في ذلك المكان ، فأحاطوه بسيج
كثيف من الجنود •

وتوضأ الشيخ ، ثم صلى • وسلك الطريق الرئيسية الى قرية قريبة من ذلك المكان • وهو هادىء الاعصاب ، ثابت الخطوات • وبادر الجند بالسلام • وسألهم ماذا تعملون هنا يا اخوان ؟ فأجابوه : لقد بلغنا ان الشيخ مختبئ في هذا الجبل ، فجننا للقبض عليه • فقال لهم : كلنا نبحث عنه • والذي يتوفق منا يكون أسعد حظا • ثم تركهم ومشى • فلم يعترضه أحد • والفضل في ذلك يعود الى رباطة جأشه ، وسرعة خاطره ، ومبادهتهم بالسلام والحديث • وهذا لعمرى منتهى الاقدام •

وحدثنا الشيخ : انه كان يسير مرة على طريق • وشاهد حركة غير عادية في منعطف قريب منه • وكان هناك جنود فرنسيون ولم يكن ثمة مجال للرجوع ، لانه كان على مرأى منهم ، وكان خادمه على مقربة منه ، فأومأ اليه أن يتقدمه ، وأن يتظاهر بالسذاجة والخوف ، والغباء • وتقدم الخادم ، فأوقفه الجند ، وتجهروا حوله ، وتعرض المسكين ، لما يتعرض له المساكين عادة • • من اولئك الزبانية القساة ، من التحقير والاهانة ، والشتم ، والخادم يستغيث بينهم ، ويرتعش من الالم والخوف •

ووصل الشيخ فصاح بهم : لماذا تعذبون هذا الفقير ؟ فأجابوه : هذا من « بدوان » صالح • فضحك الشيخ بسلء فيه ، وقال لهم : ما أشد جنونكم • • أمن المعقول أن ينتقي الشيخ صالح جنوده من أمثال هؤلاء المساكين ؟ وهل يتركهم يمشون في الطرقات منفردين ؟! واختلف الجنود فيما بينهم ، بين مصدق هذا الكلام ، ومكذب

له ، وازداد الخلاف بينهم • فاغتنم الشيخ هذه الفرصة ، وتابع المسير • ولحق به الخادم بعد ذلك بقليل •

وحدثنا أيضا : ان حضر صلاة الجمعة في مسجد بيت الشيخ يونس ^(١) وسمع الخطيب بعد الانتهاء من خطبة الجمعة يقول : « اللهم انصر عبدك ، وابن عبدك ، المعتز بعفوك وجندك ، المجاهد في سبيل الله والوطن ، الشيخ صالح العلي سلمان • واحمه من كيد الكائدين ، وبطش الظالمين ، يا رب العالمين » • فبكى الشيخ حتى بلل لحينه الشابة • وغادر المسجد قبل أن يشعر بأمره أحد •

واستبد به الشوق يوما ، ولجَّ به الحنين لزيارة قبر والده في قرية « مريقب » ، القرية من الشيخ بدر ، فقرر القيام بهذه الزيارة مهما اعترضه من الصعاب والعقبات • وأقدم على تلك المغامرة الخطيرة دون خوف ولا وجل • وأمعن في التكرامعانا شديدا ، واقترب من الضريح بصفته زائرا ، فلم يعترضه أحد ••• وهناك توضأ ثم صلى • ثم أشرف بعد الصلاة على بيوته التي احتلها الجنود ، وقد غدت خرائب وأنقاض •• وراعه هذا المشهد المؤلم ، فالجيش موزع في كل مكان •• في المرتفعات ، والادوية ، والطرقات ، وفي القرى يطرد أبناءها لكي يحل محلهم في سكنى البيوت • ثم قلب البصر في مسالك تلك الجبال ، وقسمها السماء ، التي شهدت أعنف صراع بين قوى الايمان ، وقوى البغي والعدوان،

(١) مسقط رأس المؤلف .

فاذا بها وكأنها ثكنة عسكرية متصلة الحلقات ، متساندة الجدران .
وآلم الشيخ ذلك المنظر الرهيب . وداخله شعور الخوف على
حياة رجاله المخلصين ، وجنوده المشردين ، وأوشك أكثر من مرة
أن يسلم نفسه ، فيريح ، ويستريح .
ولكن النفوس التي فطرت على العزة والكرامة ، تأبى الخنوع
والهوان . وما نفس الشيخ الا من تلك النفوس الكبيرة التي
لا تسكت على ضيم ، ولا تسكن لذل ، ولا تعترف بهزيمة محيطة ،
ولا تدعن لجبروت طاغ . فنحى فكرة التسليم ، وصمم على
السير والاختفاء ..

وابتعد الشيخ ، ونفسه تقطر ألما وحزنا ، على تلك المعازل التي
استبيحت حرمتها ، والمواطنين الذين أهينت كرامتهم ، وأسيت
معاملهم ... وقد أوشكت ذرات التراب اليابسة ، أن تتعرف على
تلك الخطوات الرتيبة الوئيدة ، فتقفز الى عل وهي تردد أنشودة
الجهاد ، وتهيب بالمجاهدين المؤمنين ، أن يتبعوا شيخهم وقائدهم
المجاهد الصالح .

ما يزال الشيخ يذكر تلك اللحظات الرهيبة ، وقد أوشكت
ذكرها أن تغطي على كل الذكريات ، وتطغى عليها .
وسقطت دمعة من عين الشيخ ، أخصبت بها الارض ، وأمرعت ،
وما تزال تخبب وتمرع ..

قلق الفرنسيين :

ودام اختفاء الشيخ سنة كاملة . والفرنسيون يجدون في

أثره ، ويتعقبون خطاه ، وهم في حيرة دائمة من هذا الاختفاء ،
الذي يبعث على القلق ، ويضاعف الخوف . وجنودهم يملأون الجبل
العلوي من أدناه الى أقصاه . وتتحمل الحكومة الفرنسية نفقات
ترهق موازنتها المرهقة ، وليس بمكنتها إعادة الجيش الى ثكناته
الاولى ، وتسريح المتطوعين منه ، الا بعد أن يتم الاستقرار .
ولا يمكن أن يتم الاستقرار مادام الشيخ موجودا ، في الجبل نفسه ،
وفي كل يوم أكثر من شائعة ، عن التهيؤ لحركة جديدة ، وثورة
عديدة . وان الشيخ قد مديده الى الانكليز ، وان رسلا من تركيا
قد عبروا الحدود الشمالية ، ومعهم كمية كبيرة من السلاح . وان
الامدادات ترسل عن طريق البحر ، وتُدفن في الرمال ، حتى يتسنى
لرجال الشيخ نقلها الى مخابىء حصينة و و . . . الخ .

وكانت هذه الشوائع تترك آثارا عميقة في نفوس القادة
الفرنسيين ، وقلبوا الامر على جميع وجوهه . واستشاروا أنصارهم
من أبناء البلاد ، واجمعت الكلمة على وجوب العفو عن الشيخ ، حتى
يسلم نفسه ، وتسلم النفوس القلقة ، من القلق والهلع والاضطراب .
العفو عن الشيخ :

لما عجز الفرنسيون عن اعتقال الشيخ ، وعموا عن الاهتداء الى
مقره ، رغم تأكدهم من وجوده في الجبل ، وان هناك من يعضده
ويؤيده ، ويسنده ويحميه ، رغم التهديد والوعيد ، والاغراء
بالوظائف والمال ، وجدوا أنه لا مندوحة لهم ، كما ألمعنا في الفصل
السابق ، عن العفو عنه ، حتى تهدأ الحال ، وينعم الفرنسيون بالاستقرار

«صدر قرار «العفو» ، عن الشيخ • ومثلما أذيع قرار اعدامه بواسطة الطائرات ، أذيع قرار العفو عنه بواسطة الطائرات أيضا • واننا اذ نذكر كلمة « العفو » ، تنتزى نفوسنا ألما وحزنا • فالشيخ من غير الجناة ، وهذه الكلمة ، الآثمة ، لا تستعمل الا بحق المجرمين الجانين • ولكنه تعبير اصطلاح عليه ، ونحن مضطرون لاستعماله كما ورد في تلك القرارات •

وكان قرار العفو يحمل توقيع الجنرال غورو ، ووعدا عسكريا أنه لن يلحق الشيخ اذى ، ولن يناله سوء • وامت اخبار العفو عن الشيخ أنحاء الجيل كله خلال فترة وجيزة • موقف الشيخ :

واطلع الشيخ على قرار العفو الذي كانت توزعه الطائرات ، وهو يومئذ قريب من قرية « بشراغي » عاصمة الثورة في الشمال • وكان الشيخ على علم تام بكل ما يقوم به جيش العدو من تنكيل وتعذيب ، واضطهاد للاهلين ، ومن بطش وفتك وتخريب ، وانتقام لئيم • حتى ان الضابط الفرنسي « رسالك » وكان يومئذ ، ليوتنان ، كان يقذف بمن يشبه بهم من أعلى دار الحكومة ، دون شفقة ولا رحمة • وكانت تلك وسيلته في الاعداء • وقد أحرق الفرنسيون قرى كثيرة بمجرد الاشاعة ان الشيخ قد لجأ اليها ، واختبأ فيها • ومن هذه القرى قرية « عين الذهب » و « المعورة » ، صافيتا ، وقرى كثيرة غيرها في الشمال • وادرك الشيخ ان لا خلاص للاهلين ، من تنكيل الفرنسيين

وبطشهم ، الا باستسلامه الى اعدائه الموتورين • وأيقن أن ذلك هو الوسيلة الوحيدة للتخفيف عن كاهل الشعب المرهق ، وراحته مما يلقي من مظالم الاحتلال ، وانتقام المحتلين •
وحينئذ •• قرر الشيخ الاستسلام •

استسلام الشيخ :

وكان قرار الاستسلام رهيبا جدا ليس على الفرنسيين فحسب ، بل على كل من كانت له صلة بالثورة من قريب أو بعيد •
واوفد الشيخ من يخبر مستشار جيلة بقراره ، ويستقدمه الى قرية « بشرافي » حيث يلتقي واياه فيها •
واضطربت أسلاك الهاتف وهي تنقل النبأ • وأسرع المستشار بعد أن بلغ القيادة الفرنسية ، ومعه المرحوم احمد الحامد متصرف جيلة في ذلك الحين ، وبعض الضباط الفرنسيين •
وأخذ المستشار ومرافقوه بمظهر الشيخ الوقور ، وبطلته المهية الاخاذة •

ورفع الضابط الفرنسي يده بالتحية العسكرية عندما اقترب من الشيخ •• وأحنى رأسه عندما مد الشيخ يده لمصافحته •
وذهب الشيخ ، والمستشار معا ، لمقابلة الجنرال « بيلوت » في اللاذقية •

حديث الشيخ والجنرال :

واستقبل الجنرال « بيلوت » سماحة الشيخ بما يليق به من الحفاوة والترحاب ، وسأل الشيخ عن الدافع الى تلك الثورة ،

والباعث على تلك الحرب الضروس •

• واختصر الجواب ، فقال : « انه حب الوطن » •

وسأله الجنرال عما أخره عن الاستسلام • فأجابه الشيخ :

« لم يكن ذلك خوفا من الاستشهاد في سبيل الله والوطن ،

وانما صونا لكرامة الجهاد » •

ثم قال له :

« والله لو بقي معي عشرة رجال ، مجهزين بالسلاح والعتاد ،

لما تركت ساحة القتال » •

• وأعجب الجنرال بهذه الصراحة ، وأطراها على مسمع الشيخ •

وعرض عليه آخر الامر أن يقيم الى جانبه في السراي ، يشاطره

الحكم ، ويتحمل معه التبعات والمسؤوليات •

• ورفض الشيخ هذا العرض •

• واستغرب الجنرال هذا الرفض • وسأل الشيخ عن السبب •

فأجابه في صراحته المعروفة :

— ان الله تعالى يقول في كتابه الكريم : « ولا تركنوا الى الذين

ظلموا فتمسككم النار » •

ولما ترجمت هذه الآية الى الجنرال انتفض غيظا وغضبا ...

وقال : هل نحن ظالمون ؟

فأجابه الشيخ بجرأة ، وشجاعة وقوة أعصاب :

« لولا أنكم ظالمون لما جئتم الى هذه البلاد ... وهذه فظائع

جنودكم في القرى التي أحرقوها ، والبيوت التي هدموها ،

والجرائم التي ارتكبوها و ...

ووقف الجرنال مغضبا يقاطع الشيخ ويقول له :

اننا سنحترم قرارنا بالعفو عنك ، فلا نمسك بأي أذى أو مكروه . ولكن عليك أن تقيم في بيتك فلا تغادره الا بأذن من القيادة الفرنسية ، في المنطقة التي تقيم فيها .

ورافق الشيخ الى عرينه سكرتير خاص ، ظل مقيما الى جانبه مدة طويلة . وكان مكلفا باطلاع الفرنسيين ، على كل شاردة وواردة من حياة الشيخ ، وعلى أسماء من يزورونه ، وكل حركة يقوم بها .
عزلة الشيخ (١) :

وعاد الشيخ الى عرينه في الجبل ، وكان يستقبل في المدن والقرى التي يمر فيها استقبال الفاتحين .

وانزوى في بيته . وفرض على نفسه عزلة تامة . وانصرف الى انسانيته المترفة ، يشبع نزعتها ، ويرضي طماحها . والى تدينه العميق يعب من معينه الصافي ، ويعرق نفسه فيه .

ولم يخرج الشيخ من عزلته الهادئة الا في المواقف الوطنية التي

(١) أخبرني السيد حسني الاوسطه انه كان مديرا لناحية القدموس . وزار الشيخ مودعا بعد ان صدر قرار بنقله من تلك الناحية . واطهر للشيخ عدم رضاه من هذا النقل . وتناول الشيخ قلما وورقة وكتب رسالة الى احد اصدقائه يخبره فيها ان مدير الناحية يناسبه العداء ، ويقف منه موقفا نابيا . ويبت حوله العيون والارصاد ، ويحاول تاليب الناس عليه . وأعطى مدير الناحية هذه الرسالة . وقال له : اجتهد ان تصل الى المستشار بأي طريقة كانت . ووصلت الى المستشار . ولما اطلع عليها صدر قرار بابقاء السيد حسني الاوسطه في مكانه لانه يناسب الشيخ العداء . وهذه القصة تعطي صورة واضحة عن موقف الفرنسيين من الشيخ .

كانت تتطلب الجهر بمصالح البلاد .
 وحینما احتدمت معركة الوحدة والاتصال سنة ١٩٣٦ كان
 الشيخ أول من لبى نداء الواجب ، وأبرق الى المراجع المسؤولة
 مؤيدا وحدة البلاد السورية . وقد حضر بنفسه اكثر المؤتمرات
 الوطنية التي عقدت في سبيل وحدة الصف ، وتحقيق الآمال القومية .
 وكان كلما دعا داعي الوطن ، يكون الشيخ أول من يلبي ،
 وأول من يهرع لنجدة البلاد . وحینما قام الفرنسيون باعتداءاتهم
 المنكرة على دمشق سنة ١٩٤٥ وهب الشعب غاضبا ثائرا كان الشيخ
 أول من سعى الى حشد الصفوف والتهيئة للقتال . وأبرق الى
 المراجع المسؤولة يومئذ تلك البرقية المدوية يقول فيها :
 « سيوف المجاهدين تتململ بالاعمداد . وثقوسهم في غليان
 واضطراب . لا تقبل أن تمتحن كرامة الامة ، وتخرق حرمة الاستقلال .
 اننا للمعتدين بالمرصاد . وسيرى الظالمون أي منقلب ينقلبون » .
 وكان لهذه البرقية وللمواقف المشرفة الكريمة التي رافقتها ،
 صدی هائل ، ودوي عميق في سائر أنحاء البلاد . وقد انتهالت
 البرقيات على الشيخ مجذبة مؤيدة شاکرة . وأبرق اليه المرحوم
 سعد الله الجابري رئيس مجلس النواب يومئذ يقول :
 « ان برقيتكم قد هزت الضمير الوطني . وأيقظت الشعور
 القومي . وهيجت في ثقوس المخلصين حب الجهاد ، والرغبة في
 الاستشهاد » .

وجمع الشيخ من حوله عددا كبيرا من بقايا السلاح ، ومن

المجاهدين الذين ما برحوا يحنون الى الجهاد ، ويتطلعون الى اليوم
السعيد الذي يعودون فيه الى ساح النضال . وعزم على أن يزحف
بانصاره على الثكنات العسكرية في بانياس وطرطوس ومصيف
لاحتلالها . ولكن ظروف المحافظة يومئذ لم تكن تسمح بذلك .
فأوفدت الحكومة السورية قائد سرية طرطوس السيد صبحي
المحتشم ترحو الشيخ عدم القيام بأي عمل عسكري يزيد في حرجة
الموقف وتعقیده . لان الوضع في محافظة اللاذقية يختلف عنه في
بقية المحافظات . اذ ان بعض الاقطاعيين كانوا يتهاون للوقوف
الى جانب الفرنسيين عندما تنشب حركة ما ضدهم . وحينئذ ينقسم
الشعب على نفسه ، وتقع الكارثة .

وهكذا اضطر الشيخ لارجاع السيف الى غمده من جديد .
وهو في حال التوثب والانتظار .

تكریم الشيخ :

وتنادت الاوساط الوطنية ، في مختلف المحافظات السورية ،
لاقامة حفلة تكريم ، للمجاهد الاول الشيخ صالح العلي ، في مدينة اللاذقية .
وألفت لجنة من كرام القوم كان يرأسها السيد أسعد هارون ،
وكان لي شرف امانة سرها ، والاشراف على ترتيبها وتنسيقها ،
وكل ما يتعلق بها من أمور .

وساهم الامير مصطفى الشهابي ، محافظ اللاذقية يومئذ ، مساهمة
فعالة في انجاح تلك الحفلة ، واطهارها بذلك المظهر الرائع الفخم .
وتفضل فخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية

السورية ، يومئذ ، فأهدى وسام الاستحقاق السوري الممتاز للمجاهد الكبير ، مع كلمة ثناء واطراء القيت في الحفلة الكبرى^(١) . ومثل المحافظات السورية ، كلها ، وفود كانت تضم مجاهدين ، وسياسيين ، وادباء ، ووجهاء . فكان وفد دمشق برئاسة السيد نجيب الرئيس نائب دمشق ، ووفد حلب برئاسة السيد احسان الجابري الشخصية العربية الكبرى ، ووفد حمص برئاسة السيد سليمان المعصراني ، نائب حمص الذيلقى كلمة السيد هاشم الاتاسي . ووفد حماه برئاسة السيد نجيب البرازي ، نائب حماه . ووفد جبل الدروز برئاسة المجاهدين الكبيرين السيدين علي عبيد ، ومحمد عز الدين الحلبي . وساهمت الاوساط العربية في لبنان ، بهذا المهرجان القومي الكبير . فكان وفد جبل عامل برئاسة العلماء الاجلاء الشيخ احمد رضا ، والشيخ سليمان الظاهر ، والشيخ عارف الزين . ووفد بيروت برئاسة الاستاذ كامل مروة . ووفد طرابلس برئاسة الشاعر الاستاذ علي منصور الحايك . واشتركت محافظة اللاذقية كلها بتلك الحفلة الكبرى وأبناء الجبل ، بقايا السيوف العربية الماضية . كما اشتركت فيها فرق الكشاف السوري ، وموسيقى الميثم الاسلامي في حمص . وسهرت اللاذقية كلها مع فرق الكشاف ، التي كانت تطوف بمشاعلها وموسيقاها أحياء المدينة ، التي ارتدت في تلك الايام حلة قشبية من الزهو والفخار .

(١) كان الشيخ صالح العلي ، طوال حياته ، موضع تقدير واحترام الرئيس القوتلي وموضع عنايته ، ورعايته . وكان فخامته في جميع المناسبات القومية يطري جهاد الشيخ صالح ونضاله ضد الاستعمار . كما يطري نراهته وتصفوفه واخلاصه الشديد .

وكانت ليلة بيضاء ، ويوما حافلا ، لم تر اللاذقية مثيلا لهما في تاريخها الحديث .

وتعاقب الشعراء والخطباء على المنبر يعددون مآثر الشيخ ، ويتحدثون عن صوفيته ، ومثاليته ، وجهاده الرائع ^(١) . ونصبت مكبرات الصوت في شوارع اللاذقية ، وساحاتها العامة ، وقدر عدد الذين احتشدوا داخل السينما وخارجها بعشرة آلاف شخص ، عدا أهل المدينة الذين احتشدوا في الشوارع والساحات العامة . والزعماء الذين قاوموا الثورة وناهضوها ، هبوا لمقاومة الحفلة التكريمية التي أقيمت للشيخ . ومثلما فشلوا في مقاومة الثورة ، باؤوا في مقاومة الحفلة بفشل ذريع .

وفاة الشيخ :

وتوفي الشيخ في ١٣ نيسان سنة ١٩٥٠ ^(٢) بعد أن قضى بضعة أشهر في المستشفيات ، وتوفر على الاشراف على معالجته ، الطبيب الألماني الشهير ، الدكتور كارل كورت ، الاخصائي بأمراض القلب ، بتكليف من فخامة رئيس الجمهورية الاسبق السيد هاشم الاتاسي . ودفن الشيخ في قرية الرستن ، الشيخ بدر : طرطوس ، وسط قبة كبيرة ، الى جانب مسجد ، بناه الشيخ في حياته . ووقف اعضاء مجلس النواب دقيقتين حدادا على الفقيد الكبير . وأبنه عدد كبير منهم . كما أقر المجلس اقتراحا تقدم به المؤلف ،

(١) ستشر في كتاب مستقل الخطب والقصائد التي القيت في حفلتي التكريم والتأبين .

(٢) توفي الشيخ في بيت الشيخ محمد الحامد في مدينة طرطوس .

وعدد من زملائه النواب ، بتسمية الشكنة العسكرية في طرطوس ،
وشارع في دمشق ، واللاذقية ، وحمص ، وحماء ، وحلب باسم
« الشيخ صالح العلي » تقديرا لاياديه البيضاء ، ومواقفه الكريمة ،
وتخليدا لذكراه (١) .

وأقيمت للفقيد حفلة أربعين في مدينة اللاذقية ، كان للمؤلف
أيضا شرف تنظيمها ، وتنسيقها ، والاشراف عليها . وقد اشترك
فيها رئيس مجلس الوزراء ، وبعض الوزراء ، والنواب ، وكبار
الموظفين ، والادباء ، والوجهاء وعدد كبير من المواطنين ، كما
اشترك فيها بعض ادباء لبنان وعلمائه وسياسيه .
واقيت فيها كلمات رائعة ، وشعر خالد رفيع .

وكانت هذه الحفلة الرائعة برهانا على وفاء الناس ، وتقديرهم
الفضل ، وعرفانهم الجميل ، الا تلك الفئة ، نفس الفئة ، التي
خاصمت الشيخ في حياته ، فقد استمرت في خصومتها الى ما بعد
وفاته !! غفر الله لها ، وهداها الى سواء السبيل .

وارتفع الشيخ على مناكب الخلود . وأشرف من قمة المجد
المؤثل على مواكب البشر ، وهو في خلوده الدائم هازي بالمغترين .
وصية الشيخ :

وتوفي الشيخ عن أربع زوجات ، وثلاث بنات . وما يزيد عن
ثلاثين الف دونم وقفها كلها لاعمال الخير والبر والاحسان ، وبناء
مسجد في قرية « الرستن » ومستوصف ، ومدرسة متوسطة ،

(١) تجمع وزارة الارشاد والثقافة اقامة نصب تذكاري للشيخ في منطقة الثورة .

في الشيخ بدر ، والاتفاق عليهما • كما انه خص زوجاته وبناته بما يكفل لهن حياة خيرة كريمة من بعده •

ونصب خمسة اشخاص كرام للاشراف على تنفيذ وصيته ، وهم : الشيخ احمد محمد رمضان ، الشيخ ابراهيم صالح عيد ، الشيخ صالح بدر ، الشيخ كامل العيسى ، الاستاذ سلمان محمد سليمان • والشيخ احمد محمد رمضان ، هو كبير الاوصياء ، ومعقد الامل والرجاء ، بعد الشيخ •

لقد كان الشيخ صالح العلي قدوة في حياته ، وظلت سيرته الخيرة الصالحة قدوة بعد وفاته ••

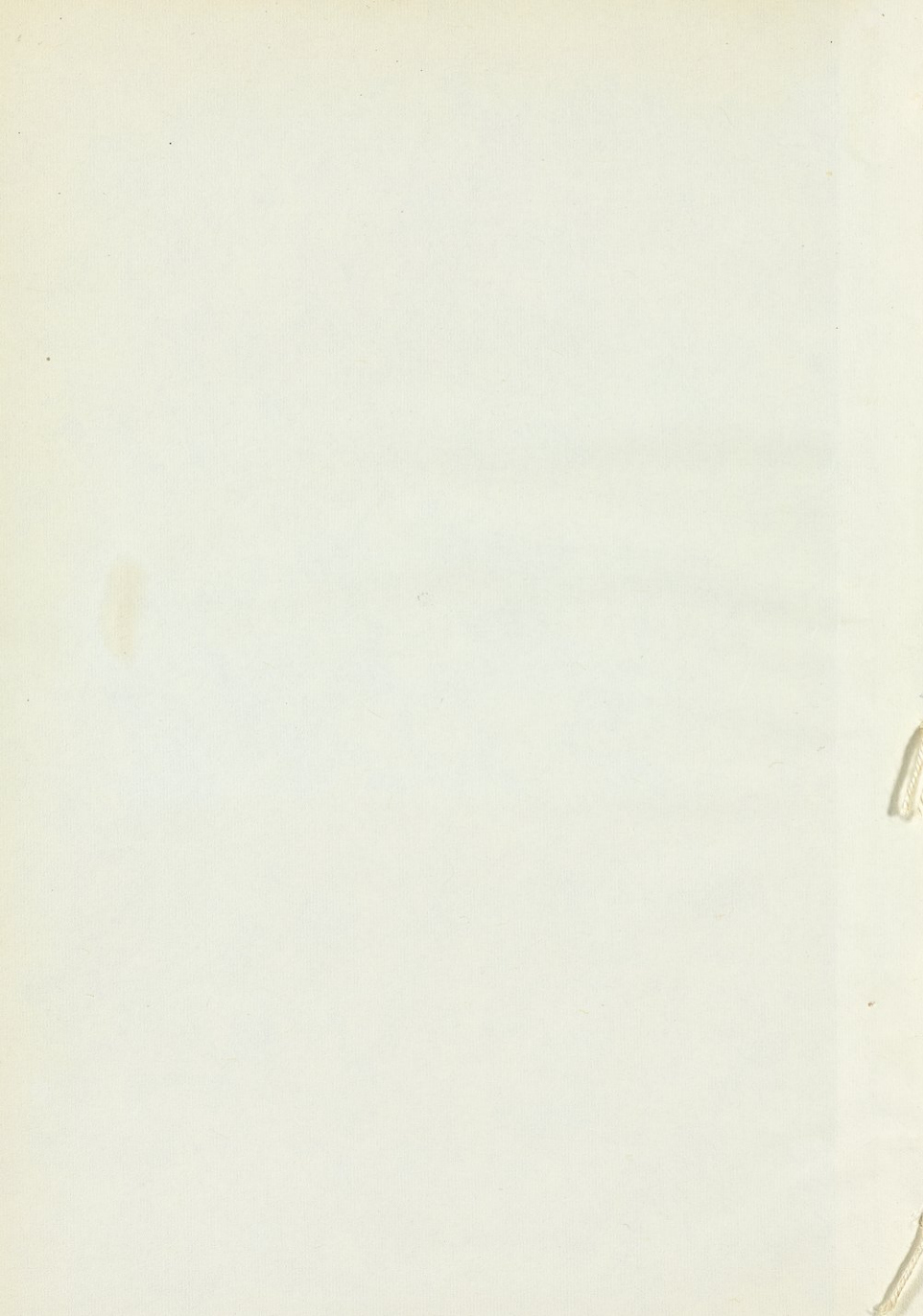
يرحمه الله ••

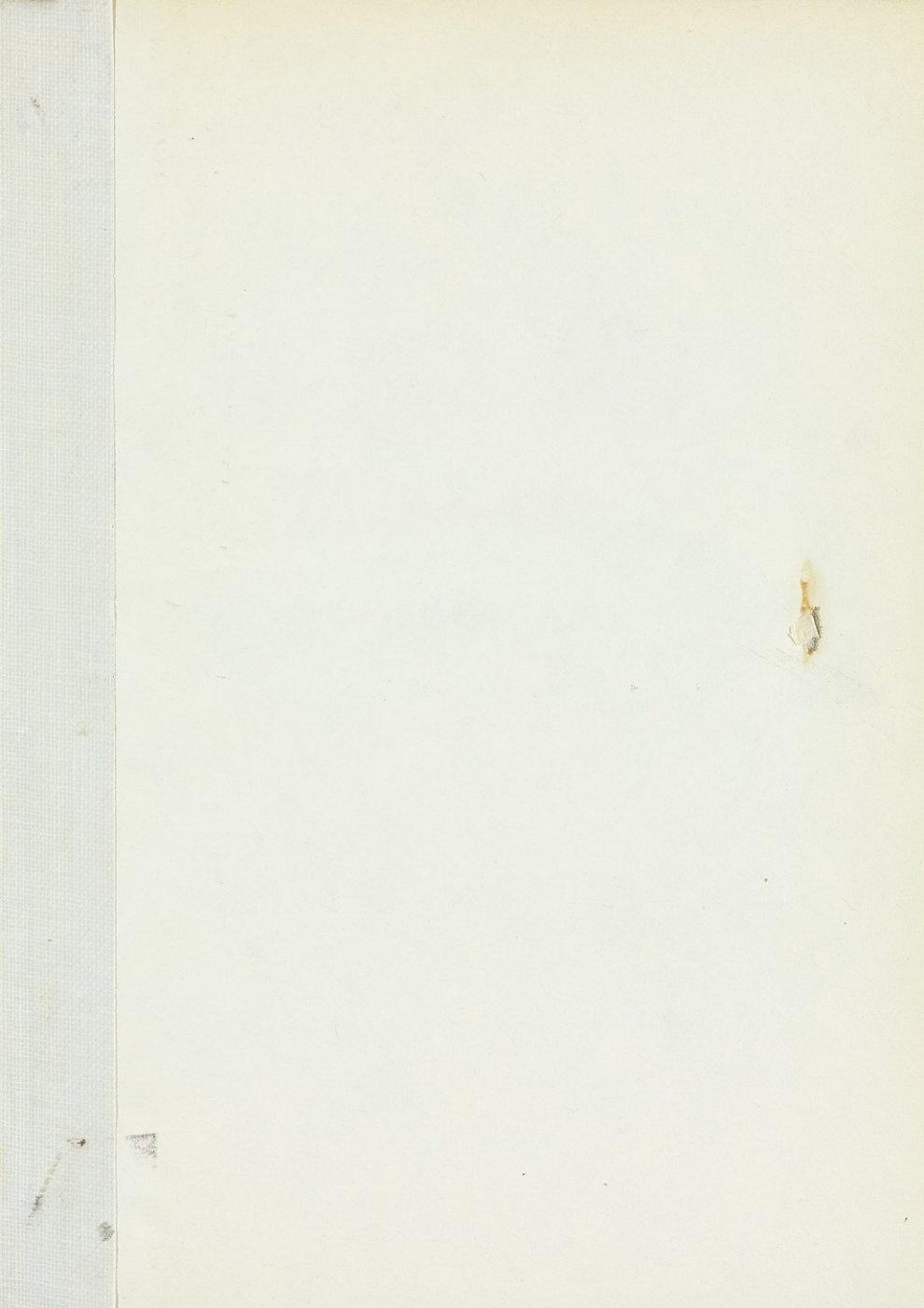
لا

فصل
في
الاسماء
والاعقاب

١٢

ملتزم
الطبع والنشر
دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر
بدمشق





LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

